منشورات جامعة دمشق
كلية التربية

علم النفس العسكري

الدكتور
سليم غامة
استاذ مساعد في جامعة دمشق - كلية التربية
قسم علم النفس

المدققون العلميون الدكاترة
- فخر الدين القلا - فاطمة الجيشي - ملك مخول

جامعة دمشق

تطور الكائنات الحية وبقاء الأصلح والأنسب في معركة الحياة .

ومنذ ذلك الوقت بدأ العلماء في دراسة سلوك الحيوانات المختلفة ، غرائزها وذكائها وعملية التعلم لديها .. كما ازداد اهتمامهم بدراسة مراحل النمو النفسي للفرد وتأثره بكل من الوراثة والبيئة إلى جانب اهتمامهم بدراسة الفروق الفردية بين السلالات المختلفة .

ولما جاء الطبيب النمساوي فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) أثبت بشكل قاطع وجود حياة نفسية لاشعورية إلى جانب الحياة الشعورية ، بل ليست الحياة الشعورية إلا جزءاً يسيراً من الحياة النفسية بأسرها .

وهكذا توسع ميدان علم النفس وموضوعه ، بعد أن ظل قروناً يقتصر على دراسة الخبرات الشعورية ويسمى (علم الشعور) ، ولقد كان فونت يقول إن علم النفس هو علم الشعور وأن منهجه الرئيس هو التأمل الباطن ... وبإضافة إلى اعتماد علة النفس حتى الآن على هذا العلم إلا أن فرويد ابتدع (أسلوب التداعي) بغية الكشف عن العوامل النفسية اللاشعورية التي تؤثر في السلوك ، ومع تطور الأبحاث والدراسات تشعبت مباحث علم النفس واستقلت لتشمل العلوم التالية ونكتفي بذكرها بإيجاز :

علم النفس الفارقي :

يدرس مابين الأفراد والجماعات أو السلالات من فوارق في الذكاء والتخلف والشخصية والاستعدادات والمواهب الخاصة كما يدرس أسباب هذه الفوارق .

علم نفس النمو :

يدرس مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الفرد في حياته والخصائص السيكولوجية لكل مرحلة والمبادىء العامة التي تصف مسيرة هذا النمو والارتقاء ، ومن فروعه (سيكولوجية الطفل - والمراهقة - والرشد والشيخوخة) .

علم النفس الاجتماعي :

يدرس سلوك الأفراد والجماعات في المواقف الاجتماعية المختلفة ، إنه يدرس صور التفاعل الاجتماعي أي التأثير المتبادل بين الأفراد بين الآباء والأبناء - بين التلاميذ والمدرسين - بين العمال وصاحب العمل - بين العمال بعضهم بعض - بين المعالج والمريض - بين الرئيس ومرؤوسيه ، ومن صور التفاعل الاجتماعي التعاون والتنافس ، والحب والكره والارتياب والمحاكاة والتشجيع والتعصب والايحاء ، كذلك يدرس نتائج هذا التفاعل ومنها تكوين الآراء والعواطف والمعتقدات وشخصيات الأفراد .

علم نفس الشواذ :

يبحث في نشأة الأمراض النفسية والعقلية والإجرام وأسبابه المختلفة مع محاولة لوضع أسس للعلاج .

علم نفس الحيوان :

يبحث في سلوك الحيوانات المختلفة ويحاول أن يجيب عن أسئلة مثل هل تستطيع الحيوانات أن تفكر ، وكيف تبدو لها الأشياء الموجودة في العالم الخارجي؟ أليديها قدرة على التذكر ؟ وماهو مداه ؟ .

علم النفس المقارن :

يقارن بين سلوك الإنسان والحيوان وسلوك الطفل وسلوك الراشد وسلوك الإنسان البدائي وسلوك المتحضر وسلوك الشخص السوي والسلوك الشاذ .

علم النفس التربوي :

يطبق مبادىء علم النفس وقوانينه على ميدان التربية والتعليم وكل مايقوم في هذا الميدان من مشكلات كضعف التلاميذ في اللغة وتدريس القراءة للمبتدئين.

علم النفس الصناعي :

يهدف إلى رفع مستوى الكفاية الانتاجية .

علم النفس التجاري :

يهتم بدراسة دوافع الشراء وحاجات المستهلكين .

علم النفس الجنائي :

وهو فرع من علم نفس الشواذ يدرس العوامل والدوافع المختلفة التي تتظافر على احداث الجريمة ويقترح أنجع الوسائل لعقاب المجرم وعلاجه وإصلاحه .

علم النفس القضائي :

يدرس العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية التي لها أثر في الدعوى الجنائية (قاضي متهم - مجني عليه والشاهد) .

أما علم النفس العسكري : فإنه يتقصى الدراسة والبحث في الموضوعات التالية :

١ – فهم سلوك المقاتل أو الجندي وتفسيره .

٢ – التنبؤ بما سيكون عليه سلوكه مستقبلاً في زمني السلم والحرب .

٣ – ضبط سلوكه والتحكم فيه بتعديله وتحسينه .

ويستتبع هذه الغايات الثلاث الحقائق التالية :

أ – فهم الدوافع الحقيقية أو الدوافع الزائفة التي تحرك العسكري المقاتل .

ب – فهم نواحي القوة والضعف في شخصيته ومالديها من امكانيات واستعدادات عالية هنا .

جـ – معرفة أسباب مايبدو من سلوك الزملاء من انحراف وزيغ .

د – الكشف عن العوامل التي تفسد التفكير أو تعطل عملية التعلم لدى العسكري أو الفرد . من هنا فإن الجيوش الحديثة تستعين بخبراء نفسيين لتحقيق مايلي :

١ – وضع كل مقاتل أو عامل في الجيش في المكان الذي يتناسب مع استعداداته وذكائه وسمات شخصيته .

٢ – تدريب هؤلاء جميعاً بالطرائق العلمية على اتقان أعمالهم في أقصر وقت ممكن وبأقل جهد .

٣ – دعم الروح المعنوية لدى المقاتلين في الجيش .

٤ – تحسين العلاقات الإنسانية بين المقاتلين .

٥ – محاربة الدعايات والاشاعات المعادية .

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

العسكريين مما أضعف مكتبتنا العربية في هذا المجال .

لذا فإن علم النفس العسكري هذا يشكل مساهمة متواضعة مني آملاً أن تليه دراسات أكثر عمقاً وشمولاً .

والله الموفق ...

دمشق في ٢/٤/١٩٩٦

د. سليم بطاينة

جامعة دمشق Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الأول

- العنف والعدوان .
- الحرب والحرب الخاطفة .
- التعصب والتمييز العنصري .

Damascus University

العنف والعدوان - الحرب والحرب الخاطفة - التعصب والتمييز العنصري

العنف :

يعرف (بيرفيو) العنف بأنه ضغط جسدي أو معنوي ، ذو طابع فردي أو جماعي ينزله الإنسان بالإنسان ، بالقدر الذي يحمله على أنه مساس بممارسة حق أقر بأنه حق أساسي أو بتصور للنمو الإنساني الممكن في فترة معينة (١-١٤) .

وإن تعريف (بيرفيو) هذا يبرز النقاط التالية :

١ - يبدو العنف في موضوعه ، متعدد الأشكال ، وقد ينظر اليه بيسر أكبر، على أنه مساس بسلامة الإنسان الجسدية . ولكن ثمة ضغوط أو تهديدات تضاهي بعنفها الجراح أو الموت نفسه .

٢ - لايمكن تعريف العنف إلا من خلال آثاره ، فلا يقوم عنف إلا بقدر مايقوم إرادة بشرية به ولايتحدث إلا بطريقة القياس عن عنف عاصفة أو عن تصرف لأسد النمرة . إن هذا الاعتبار يدخل عنصراً ذاتياً في تقويم الفعل العنيف، سوف يختبر صعب ما هذا أو ذلك من القيود المألوفة أمراً طبيعياً ، كالاعتقال - الوقائي أو عقوبة الاعدام فيما يفضح غيره طابع هذه الاجراءات القمعية إذ يتهمها بإنزال العنف بالإنسان في ممارسته حقوقه . فإن حدود العنف تختلف باختلاف

٣ - بما أن العنف بغرض ارادة بشرية ، فإن سيطرة أوسع على الكون لابد أن تنال بالعنف أوضاعاً كانت لفترة طويلة حتميات تاريخية ، وإن سوء التغذية أو ازدياد الوفيات ، وكلاهما قديم قدم البشرية ، يصيبان بالنسبة إلى الشعوب التي تكابدهما - أوضاعاً عنيفة في الحلقة التي تعمل فيها الأمم القوية بدافع اللامبالاة أو الأنانية ، استخدام الوسائط التقنية والاقتصادية الكفيلة بتقليص هذه الكوارث اليوم .

٤ - في الطريقة التي يمارس بها العنف لابد من التمييز بين صيغة ايجابية وصيغة سلبية ، فإن الكلمة نفسها توحي على الأرجح بعمل مباشر ضد الغير ومع ذلك فإن الأوضاع العنيفة التي لاتشبه بالضرورة من مبادرة ايجابية ، بل من تواطؤ المسؤولين الصامتين عن سلبيتهم ، ليست أقل الوسائل انتشاراً في النزال العنف بالآخرين .

٥ - إننا دون أن نبدي رأياً في فلسفة ما للتاريخ ، نستطيع أن نأخذ علماً بأن الإنسانية تخوض اليوم معركة جماعية من أجل السيطرة على الكون وعلى السيرورة الاجتماعية . إن أشكال هذه المعركة تختلف باختلاف التصورات المبدعة التي ابتكرها النمو الإنساني ، لذا تبدو التدخلات في صورة إيجابية مرة وسلبية مرة أخرى ولكنها في كل مرة تهدد أو تعوق ظهور الظروف الأكثر انسانية (١ - ١٧) .

العنـــــوان :

يصف علم النفس العنوان بأنه حالة النضوية في ردها على فعل عنواني ما،

ويربط بين العدوان Agressin والوطأة أو الضغط Stress .

وترى نظرية كانون (Kanen) الفيزيولوجية ان العدوان يمكن أن يحدث بفعل الغضب الذي يؤدي بدوره إلى جملة من التغيرات الحياتية تنشأ عن تأثير الجملة العصبية الودية والغدد الكظرية .

إن هذه التغيرات تهيء العضوية لمجابهة أزمة ، من خلال تحريرها كمية من السكر من قبل الكبد ، يمكن استخدامه على صورة (غلوكوز) كمصدر للطاقة ، وعلى طرح سريع لمنتجات التعب ، كالتدفق السريع للدم الذي يجعل الجروح أقل خطورة ، وعلى حركة الدم من الجملة الهضمية نحو العضلات ، مما يتيح لها أن تعمل بفاعلية أكبر .. وبالمثل فإن التغيرات التي تحدث في أثناء الخوف والاضطرابات الانفعالية إنما تؤلف الأساس الفيزيولوجي للسلوك العاطفي العنيف بصورة عامة ، فعندما نستثار أو نخاف أو نغضب ، فإننا ندرك بعض الأمور التي تحدث في أجسادنا ، ولكننا لاتعي كل مايجري فيها ، ولكن علماء النفس الفيزيولوجي الذين يدرسون هذه الأحداث قادرون على قياس معدل ضربات القلب وضغط الدم وانسيابه في أجزاء الجسم المختلفة وفعالية المعدة والجهاز الهضمي المعوي ومستويات مختلف المواد ، كالهرمونات في الدم ، ومعدل التنفس وعمقه وعدة شروط جسدية أخرى (٢-١٨٢) .

أما كلينبرغ (Clenberg) فيقول أنه لم يكشف أحد عن أساس العدوان من حيث هو عدوان (٣ - ٣٧) ولكن مارغريت ميد (M-Mead) تؤكد بأن غريزة العدوان ليست موجودة عند قبائل الأرابيش ، وعلى هذا فإنها تصنف العدوان ضمن الغرائز أو الدوافع المكتسبة لاالفطرية ، إلا أن الفرويديين عموماً مقتنعون بأنه يوجد فيما جميعاً عدوانية أكيدة على الرغم من أنها أغلب الأحيان

مستكنة ، إنها قد تعبر عن وجودها خلال الطفولة بعاطفة عدائية ضد الأب ، وإنها تتجه فيما بعد إلى جماعة بكاملها ، وهي تزداد خطورة بما تفرضه الجماعة على الفرد من مراقبة وزجر فتنمي في الفرد الرغبة في الانتقام وقد تكون الحرب بمثابة مخرج مقبول اجتماعياً لهذه العدوانية ، ويمكنها بالتالي أن تستقبل بحماسة من جانب كبير من الجماعة (٣ - ٤١) .

ولئن كان السلوك العدواني واسع الانتشار في المملكة الحيوانية فإن أرينك فروم يقول إن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يقتل ويفترس بني جنسه (٤ - ٤) ومهما يكن من الأمر ، لابد من الاشارة مبدئياً إلى أن العدوان كثيراً مايكون متصلاً بميول أخرى كالمحافظة على الجنس والبقاء والأنوسة ، ولايجب أن نعده غاية في حد ذاته .

الحـــرب :

الحرب ظاهرة بشرية قديمة قدم التاريخ نفسه ، تحدث بين الفينة والفينة لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو عقائدية أو سياسية ، وغالباً مانتهي باحتلال أحد الفريقين المتحاربين جزء من أراضي الفريق الآخر أو احتلالها كلها ، فإذا جرى احتلال أراضي العدو كلياً أو جزئياً مع بقاء المؤسسات الوطنية في الاقليم المحتل قائمة تكون أمام حالة (احتلال حربي) وأما إذا تمكن العدو من فرض الاستسلام على حكومة الدولة المغلوبة ، والقضاء على المقاومة قضاءً كاملاً وإزالة المؤسسات الوطنية القائمة في الاقليم الذي احتله فاننا نكون أمام حالة (فتح) أو (إخضاع) كما يفضل المؤلفون الأنكلوساكسون تسميتها (٥-٢٧) .

ورغم أن الفقهاء قد ميزوا ، منذ العصر الوسيط ، بين (الاحتلال الحربي الذي سموه باللاتينية Occupatio Bellria و(الفتح) الذي سموه Debellatio

جنيف (المواد ٤٧ – ٤٨) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩) ، وقسماً من قواعد (القانون الجزائي الدولي) وكل مبادىء حقوق الإنسان ، وبخاصة تلك التي وردت في الاعلان العالمي الصادر في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨ ، ثم تبلورت في الميثاقين العالميين لحماية حقوق الإنسان ، اللذين جرى التوقيع عليهما في آخر سنة ١٩٦٦ .

ومن هذا يتبين لنا أن قانون الاحتلال لايتطبق تمام الانطباق على قانون الحرب فهو أوسع منه من جهة وأضيق منه من جهة أخرى :

– فهو لايشمل مثلا أعراف الحرب وعاداتها (الهدنة ، التسليم ، الحصار ، الأسلحة الممنوعة والمسموح بها ...) لأن مكان تطبيق هذه الأعراف والعادات هو ساحة القتال وليس المنطقة المحتلة ، التي هي منطقة هدوء نسبي إذا قورنت بساحة القتال .

– وهو يشمل ، بالمقابل ، حقوق الإنسان ، وهذا ليس له أية علاقة مباشرة بقانون الحرب .

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن قواعد (قانون الاحتلال الحربي) ، بشكل خاص و (القانون الإنساني) بشكل عام لم تبلغ هذه الدرجة من الكمال دفعة واحدة وانما مرت بسلسلة من التطورات المهمة خلال القرون الماضية ، ففي القرون الغابرة كانت وسائل الحرب جميعها مشروعة بالنسبة للمتحاربين ، إذا كانت تتم خلال الحروب ، أبشع أنواع الجرائم من تمثيل وقتل بالجملة واغتصاب واسترقاق ، بدون أي تمييز بين المقاتلين كالجند ، وغير المقاتلين من رعايا العدو كالشيوخ والنساء والأطفال .

وكان الفلاسفة الصينيون والهنود أول من اهتم بمعالجة قوانين الحرب منذ

قديم الزمان حيث نجد أن الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) والفيلسوف الهندي (مانو) قد ذاعا بعدة حكم ووصايا في هذا المجال : فمن أقوال مانو مثلا في احدى وصاياه : على المحارب ألا يقتل عدواً استسلم ولا أسير حرب ، ولاعدواً نائماً أو أعزل ، ولاشخصاً مسالماً غير محارب ، ولاعدواً مشتبكاً مع شخص آخر (٩ - ٥٦٠) .

ثم أتت الديانة المسيحية فأدخلت بعض أساليب التعامل الإنساني في حروب ذلك العهد بفضل ماحملته من روح تسامح في تعاليمها .

ولكن أول من أدخل الروح الإنسانية إلى الحرب بشكل ملزم هم العرب المسلمون ، حيث نجد أن بعض الآيات القرآنية ووصايا الرسول عليه السلام وخلفائه إلى قادة جيوش الفتح ، تحوي معظم المبادىء الإنسانية التي نراها اليوم في قوانين الحرب ، والتي تضمنتها معاهدات جنيف للتعاقبة منذ عام ١٨٦٤ حتى يومنا هذا .

فالقرآن الكريم أتى بكثير من الآيات تحدد قواعد (شريعة الحرب عند العرب) وبخاصة فيما يتعلق بوجوب الانذار قبل الحرب ، ونظام معاملة اسرى الحرب ، وقوانين القتال للشروع ... والرسول (ص) أتى بكثير من الأحاديث التي تتعلق بقوانين الحرب بالاضافة إلى وصاياه التي كان ينوه بها على مسمع جنده الفتح وقادتهم ، حيث نراه يقول في وصية له لأحد قادته : (لاتقتلوا شيخاً كبيراً ولاطفلاً صغيراً ولامرأة ، ولاتغلوا ، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) ونراه في وصية أخرى يشدد على عدم ايذاء غير المحاربين من جيش العدو بقوله : لاتقتلوا ذرية ولاعسيفاً) (١٠ - ٥٢٥) .

وتكاد وصايا الخليفة أبي بكر إلى قادة جيوشه تنص على جميع أحكام

البحث في مبادىء قانون الحرب جميعه بشكل عام حيث نرى الفقيه السويسري فاتيل يقول مثلا في تعريف الحرب : (هي ملاحقة الحق المغتصب بالقوة ، وانها داء لابد منه ، ولكن يجب أن تكون له حدود واضحة ، وأن لاتتناول السكان الآمنون العزل عن السلاح (١٤- ٧٣ و ٨٣) .

وقد بلغت ازدهار هذه المبادىء ذروتها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بفضل كل من مونتسكيو ومعاصره روسو ، حيث نجد الأول يقول في تعريفه القانون الدولي كلمة عادلة وقابلة للتطبيق دوماً (إن القانون الدولي يرتكز على مبدأ مؤداه أن الأمم المختلفة يجب أن تقوم في حالة السلام بأكثر مايمكن من الخير ، وفي حالة الحرب بأقل مايمكن من الشر ، وذلك بدون اضرار بمصالحها الحقيقية (٨-٨)، واما روسو فهو أول من نادى بأنسنة الحرب في الغرب ، حيث كتب في مؤلفه (العقد الاجتماعي) يقول : (الحرب ليست علاقة بين رجل ورجل بل هي علاقة بين دولة ودولة والأشخاص العاديون في حالتين الدولتين لايكونوا أعداء الا بصورة عرضية ، ليس بصفتهم رجالاً ولا كمواطنين وانما كجنود فقط (١٥ -١١٩) .

وفي هذا العصر نفسه تقريباً ظهر في التعارف الدولي مايسمى رسائل الأمان التي يتبادلها قادة الجيوش المتحاربة بين بعضهم للاعتراف ببعض المدن أو المواقع كمناطق حيادية لايجوز خرق حرمتها ومن هذه الرسائل التي تبادلها الأمير (ده سوبيز) قائد الجيش الفرنسي مع الدوق بروزنزويك قائد الجيش البروسي ، ١٧٦٢ (١٦-١١) .

وكان للثورة الفرنسية وماحملته من أفكار تحررية ، ومن تقديس لحقوق الفرد في بيان حقوق الإنسان والمواطن الذي أصدرته ، أثر كبير في تعميق احترام

حقوق الإنسان في السلم والحرب معاً . ولذلك نرى أن الحروب التي دارت في أوربة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر قد طورت الروح الإنسانية على شكل أعراف دولية تلزم بها الدولة المتمدنة بشرط المعاملة بالمثل ولكن لم يظهر أي تدوين لقواعد الحرب حتى ذلك الوقت .

ولم يبدأ مثل هذا التدوين إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مع ازدهار حركة التدوين ككل ، حيث تنادت الدول إلى عقد مؤتمرات دبلوماسية لتدوين أعراف الحرب وكان أول هذه المؤتمرات مؤتمر باريس لعام ١٨٥٦ ، الذي وضع مبادىء الحرب البحرية ، وآخرها اتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤ .

وأما مايتعلق بموضوع (حقوق السكان في المناطق المحتلة) من أصل هذه الاتفاقيات فهي اتفاقيات لاهاي لعام ١٨٩٩ وعام ١٩٠٧ ، واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ . ومايهمنا من هذه الاتفاقيات بشكل خاص هو لائحة الحرب البرية الملحقة باتفاقيات لاهاي لعام ١٩٠٧ واتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ التي حوت ، ولأول مرة ، قواعد تحمي أفرادا لايشتركون للقوات المسلحة وليسوا جرحى أو مرضى أو أسرى أو غرقى وهم فئات الأشخاص الذين حمتهم اتفاقيات جنيف السابقة (١٦-٩٥٠) .

ومن جهة أخرى فإن هيئة الأمم المتحدة أعلنت على عاتقها حماية حقوق الإنسان لذاته فأقرت اتفاقية منع إبادة العنصر ؟ في ١٩٤٨/١٢/٩ والإعلان العالمي لحقوق الإنسان) في اليوم التالي ١٩٤٨/١٢/١٠ .

ومنذ ذلك التاريخ لم تكف لجنة حقوق الإنسان في هيئة الأمم المتحدة عن تعميق مفهوم هذه الحقوق ، وعقد الاتفاقيات الدولية من أجل الدفاع عنها ، وأهم هذه الاتفاقيات الميثاقان المتعلقان بحقوق الإنسان ، اللذان جرى التوقيع

عليهما في ١٩٦٦/١٢/١٦ ، والأول يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية ، والثاني بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية . وهذان الميثاقان مهمان جداً من الناحية الدولية، لأنهما حولا حقوق الإنسان من مجرد توصيات كما كانت عليه في الاعلان العالمي لعام ١٩٤٨ ، إلى قواعد دولية اتفاقية يلتزم بها الموقعون على الميثاقين المذكورين (١٧-٩) .

الحرب الخاطفة :

وتسمى أيضاً (الاقتراب غير المباشر) وهي نظرية في الاستراتيجية العسكرية نشأت منذ نحو خمسين عاماً ، وقد طبقها الألمان في عام ١٩٤٠ تحت تأثير وإلهام الجنرال الألماني (جودريان) وفي هذا الصدد يقول الكاتب والناقد العسكري البريطاني (ب.هـ) ليدل هارت في كتابه (تاريخ الاستراتيجية) : يعتبر احتلال الألمان لبولندا عام ١٩٣٩ واجتياحهم لأوروبا الغربية عام ١٩٤١ مثلا رائعاً في التاريخ العسكري على قيمة نظرية الحرب السريعة الآلية وقد وضعت هذه النظرية في انكلترا ، ثم استخدمها الألمان .

والحرب الخاطفة أو السريعة أو الاقتراب غير المباشر أو الهجوم غير المباشر هو الهجوم الذي يتجنب الاتقضاض المباشر على المراكز القوية في جبهة العدو ويبحث عن النقاط الضعيفة ليتسرب منها ، ويستغل النجاح على خط المقاومة الأضعف والأقل توقعاً من جانب العدو . وتعرف هذه الفكرة في المصطلحات الاستراتيجية التقليدية باسم المناورة ذات الطابع المتغير ، أي الاقتراب غير المباشر من الهدف الاستراتيجي المطلوب أو يمكن أن نسميه المناورات على المؤخرات . تهدف حركة الالتفاف الاستراتيجي حول خط العدو للوصول إلى مؤخرته إلى تجنب كل مقاومة ممكنة فعالة خلال تنفيذها هذه الحركة وبعد انتهائها أيضاً .

والملك فهي تسلك أقل السبل مقاومة ، أي على خط التقدم الأقل توقعاً من جانب العدو . وبطبيعة الحال لايشكل أي سير مباشر نحو موضوعة العدو عموماً استراتيجياً غير مباشر ، لأن فن الاستراتيجية ليس على هذا النحو من البساطة المفرطة . فمن الضروري القيام بهجمات تضليلية في مناطق أخرى سواء من الناحية المادية أو من الناحية النفسية ، قبل القيام بالهجوم الرئيسي غير المباشر ، حتى يمكن تأمين أفضل ظروف النجاح لمثل هذا الهجوم عن طريق تشتيت انتباه العدو ودفعه إلى توزيع امكاناته على عدة مراكز أو توجيهها نحو أهداف عميقة ، بحيث يتعذر على قيادته أن تحشد القوى اللازمة في الوقت المناسب للتدخل بشكل مؤثر وحاسم على نتيجة المناورة غير المباشرة هذه وبذلك تفقد هذه القيادة حرية العمل يتسنى عليها عملياً تغيير اتجاه عملياتها الرئيسة خلال المعركة الحاسمة . وهذا لأنه قد يبدأ مثل هذا الهجوم بشكل غير مباشر بالنسبة لجبهة العدو ، ولكن متابعة التقدم على الموصلات بعد ذلك بشكل مباشر قد يدفع العدو إلى تعديل مواقعه وعندئذ يجد المهاجم أن حركته غير المباشرة قد انقلبت إلى حركة مباشرة على جبهة جديدة معكوسة ، لان من الضروري ، لمنع العدو من تغيير اتجاهه ، القيام بحركة مشاغلة أو أكثر قبل القيام بحركة التدمير الرئيسة .

هذا وقد قدم ليدل هارت عرضاً رائعاً لنظرية الحرب المناطقية في كتابه السابق ، وذلك من خلال عملية استقراء تاريخي لابرز معارك التاريخ الحربي الأوروبي منذ الحروب اليونانية القديمة حتى الحرب العالمية الثانية انتهى منها باستنتاج رئيسي في مجال علم الاستراتيجية ، وهو أن استراتيجية الاقتراب غير المباشر هي الأكثر الاستراتيجيات نجاحاً متى نفذت بشكل سليم يتفق وظروف كل حالة أو موقف قتالي .

التعصب والتمييز العنصري المطبق في دولة العدو الصهيوني :

من الحقائق المعروفة في علم النفس الاجتماعي أن التعصب كظاهرة اجتماعية يمكن أن يوجد في العديد من المجتمعات كنتاج لتفاعل عمليات ونظم اجتماعية وممارسات سياسية مختلفة . غير أننا في التجمع (الإسرائيلي) نجابه حالة خاصة ذلك أنه بالإضافة إلى ظواهر التعصب التي يمكن ردها إلى التفاعلات الاجتماعية المعقودة بين جماعات اجتماعية متعددة المذاهب والأصول والثقافات .

فإن القانون الاسرائيلي بما يتضمنه من تبريرات قانونية وتشريعات ، يدعم التعصب والتمييز العنصري داخل اسرائيل ، وهو لذلك ترجمة أمينة للصهيونية باعتبارها عقيدة عنصرية .

ويقرر جورج تامارين في دراسة له حول هذا الموضوع ، أن خطورة هذه النصوص القانونية تتمثل في الآثار التي تتركها في أذهان الناس والتي تجعلهم في طاعتهم لهذه النصوص يحترمون القيم الكامنة وراءها ويعتقدون في سلامتها وصحتها ، على الرغم من أنها قيم وحشية وعنصرية (١٨-٦٧) .

وإن التمييز العنصري في اسرائيل ، يتضمن كل صور عدم التسامح التي هي أساس قانونية في اسرائيل تتركز في ثلاثة ميادين :

١ - اعتماد تشريعات تتضمن تمييزا عنصرياً موجهاً ضد الأقلية العربية .

٢ - خرق حرية الاعتقاد بوساطة الإكراه الديني .

٣ - الغاء بعض حقوق الإنسان الأساسية بوساطة قوانين تمييزية .

ويرى تامارين أن أخطر القوانين المضادة للديمقراطية والتي تتسم بطابع رسمي ، هو القانون الخاص بتنظيم المحاكم الجماعية الصادر عام ١٩٥٣ ، والذي

و صورة معدلة لتشريع صدر أيام الانتداب البريطاني على فلسطين ، وينص هذا القانون على أن مسائل الأحوال الشخصية يحكم فيها على أساس قوانين الشريعة اليهودية . وهذا القانون يعتبره جورج تاسارين أكثر القوانين الرجعية للأسباب التالية :

أ – لأنه يخلق موقفاً عنصرياً عن طريق منعه للزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود ، وأيضاً بين بعض فئات يهودية أخرى ، وهو بالتالي يخالف مخالفة صريحة الفقرة (٢) من إعلان حقوق الإنسان الذي أصدرته الأمم المتحدة .

لأن هذا القانون – من وجهة النظر الاجتماعية النفسية – أحد المصادر الرئيسة للتعصب ويؤثر أيضاً في القسم المتعصب غير المتدين من الجمهور الاسرائيلي وذلك بتدعيم الرفض إزاء الأغيار .

ب – أنه يخلق فئة مستقلة من القضاء لاتحكم وفق قوانين الدولة ، وفي الوقت نفسه فهو يمارس التمييز ضد المرأة التي لاتكون قاضية دينية ، وأيضاً يميز بين فئتين من العاملين ، الفئة التي يسمح لها بالمرافعة أمام المحاكم الدينية ، والفئة التي لايسمح لها بذلك .

جـ – يتسبب في التشكيك في صحة عقود الزواج والطلاق التي ابرمت خارج اسرائيل وفق القانون المدني ، وهو بالتالي يخرق القواعد المستقرة في القانون الدولي الخاص .

د – يدعم مبدأ عدم المساواة بين اليهود وغير اليهود ، ذلك أن غير اليهود لايقبلون كشهود أمام المحاكم الدينية .

هـ – يخرق حرية الاعتقاد ، وذلك باجبار الأشخاص غير المتدينين أن

يتزوجوا أو يطلقوا من خلال ممارسة طقوس دينية تقليدية ، وأحياناً يتطلب منهم الارتداد عن عقيدتهم حتى يسمح لهم بالزواج .

و – ينكر ولاية المحكمة العليا الاسرائيلية حقها في صحة الزواج الممنوحة وفقا للقوانين الدينية ، ويرجع تاماريز صعوبة هذا القانون الذي يتضمن بثناياه نظرة عنصرية لكل شخص ليس يهودياً ، إلى العقلية المتحجرة للجيل القديم من الصفوة السياسية الحاكمة وهذا الجيل القديم المتشبث بمبادىء الصهيونية مايزال يرى أن تدعيم الدين من شأنه تدعيم الأواصر بين المواطنين اليهود الذين ينتمون إلى المجتمع الاسرائيلي .

وإذا أضفنا إلى تلك القوانين الجائرة التي طبقت ومازالت تطبق على العرب الفلسطينيين في اسرائيل ، لأدركنا كيف يكتشف المجتمع الاسرائيلي عن وجهه العنصري الصريح في التعامل مع العرب الذين كانوا يوماً الأغلبية وأهل البلاد الأصليين .

من خلال ذلك يتبين لنا كيف أن الصهيونية ايديولوجية عنصرية فكراً وممارسة . فمن الناحية الفكرية تنطلق من منطلق شوفيني قائم على أساس أن اليهود شعب الله المختار وبأنهم أفضل من بقية الشعوب ، ولديهم تفوق حضاري ومدني عن الآخرين ... الخ ، ومن الناحية العملية تمارس السلطة الاسرائيلية الحاكمة في اسرائيل منتهى العنصرية من خلال اضطهادها للعرب ومن خلال تربية النشىء على التعصب والحقد على العرب ، وتستبيح باسم القوانين العنصرية التي تهضمها حقوق العرب المشروعة ، ولكن كم علمنا التاريخ بأن مثل هذه الحركات السياسية لم يكتب لها النجاح ومصيرها الفناء والاندحار على غرار ماحصل لألمانيا النازية وايطاليا الفاشية .

الفصل الثاني

تاريخ التربية العسكرية

أولاً : التربية العسكرية في العصور القديمة .

ثانياً : التربية العسكرية في العصور الحديثة .

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

تاريخ التربيـة العسكرية

أولاً : التربية العسكرية في العصور القديمة :

من البداية ، يمكن القول ، إن مانتفهه التربية بشكل عام ، والتربية العسكرية بشكل خاص هو :

- بناء الفرد بدنياً .
- بناء الفرد فكرياً .
- بناء الفرد نفسياً واجتماعياً .

فهل حققت التربية العسكرية قديماً هذه المبادىء الثلاثة أم أنهـا ظلت وقفاً على مبدأ أو اثنين منها ، أم أنها أخذت بالمبادىء الثلاثة مجتمعة ؟

قبل أن نسترسل في الحديث عن التربيـة العسكرية عبر العصور لابد من القول لكل تربية أهدافها وغاياتها واخلاقياتها التي تشربتها من الثقافة والعادات والتقاليد لهذا المجتمع أو ذاك . فالتربية عند قبائل الاراپش مثل تعني تهيئة الأفراد للعمل إما في الأرض أو في المنزل ، إنهم يهيئون الشابات للعمـل في الحقـول ، أمـا الشبان فمهمتهم رعاية الأطفال في المنزل ، ولذلك فإن الزوجـة تذهب للعمـل في الأرض والحقل أما الأب فله البيت للطبخ ورعاية الأولاد .

والتربية عند بعض القبائل في افريقيا الوسطى تعني تهيئة الفرد ليكون قوياً أمام خصمه فحسب ، وبعبارة أصح يكفي أن يشعر خصمه بأنه قوي ، فإذا ماالتقى به تراجع عن مصارعته واكتفى بكسر عدد من العصي أمامه تعبيراً عن قوته،

وتأكيداً على أنه لايهابه .

من ذلك يظهر أثر التربية في الاختلاف حول طريقة استخدام القوة أو العنف ، إن هذا الأثر يظهر أيضاً في الاختلاف حول أصل بعض الدوافع الفطرية والمكتسبة ، ففي الوقت الذي يرى أغلب علماء الاجتماع ان دافع التملك هو دافع فطري فإن مارجريت ميد ترى أنه دافع مكتسب بدليل أنه غير موجود لدى مجتمع الاراپيش ... وتستشهد (ميد) بعبارة جان جاك روسو القائلة : إن أول إنسان سوّر قطعة أرض وقال هذه لي ، ووجد حوله أناسٌ بلغت بهم السذاجة حد تصديقه ... هو مؤسس المدينة الحديثة

هاهنا تبدو التربية العسكرية إن جازت التسمية - وليدة المدنية الحديثة حيث بدأ الفرد يشعر بأن حياته تحف بها المخاطر ، فتجعله تعرضه للقتل والظلم والاضطهاد على يد أخيه الإنسان ، فانهمك في اعداد نفسه جسدياً لمواجهة الخصم ... تقول انهمك في الاعداد البدني فحسب لأن التربية العسكرية زمن الفرس ، وقدامى المصريين ، واسبارطة وأثينا واليونان قد نحت هذا المنحى .

آ - التربية العسكرية عند الفرس :

تبدأ التربية العسكرية عند الفرس في الأسرة ، فالملك في الأسرة الفارسية سلطة مطلقة ، وهو السيد المطاع المعزز ، وعمل اهتمامه يركز في أن يدرب أبناءه على الفضيلة ، وأن يسهر على صحتهم وأن يجعل منهم مقاتلاً نافعين للدولة .

ويخبرنا (هيرودوت) أن الفرس كانوا يعلمون أبناءهم أموراً ثلاثة : ركوب الخيل ، ورمي السهام ، وقول الحق . وكانوا يتعهدون فيهم جملة من الصفات الخلقية الحميدة : كالطاعة ومحبة الآباء والعدل والشجاعة والاعتدال والتعلق

بالشرف والسعي إلى إرضاء هرمزد روح الخير (١٩-٤٣)

ويصبح الطفل بعد سن السابعة بين يدي الدولة ، حيث يتعلم الجري والمبارزة ورمي السهام ورمي الرمح . وبين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من العمر كانت تتم التربية العسكرية ، فكان يطلق الشاب أولا حزام الرجولة ، ثم يقسم أن يتبع تعاليم زرادشت وأن يخدم الدولة بإخلاص ثم يساعد بالتدريب على المبارزة والنزال واستخدام السلاح . وبين الخامسة والعشرين والخمسين من العمر يخرط الفرس في الجندية فيشاركون في الحروب والغزوات ، وفي الخمسين من العمر يغدو الأفضل الناس وأعلمهم معلمين .

ويمثل الفرس معلميهم ويضعونهم بعد موتهم في مصاف القديسين .

ويتضح أن نظام التربية هذا كان ييسر للدولة السيطرة على التربية وينتقص من حق الأسرة أطفالها ، اضافة إلى ان التربية البدنية تولي عناية كبيرة على حساب التربية الفكرية .

ومع هذا استطاعت التربية الفارسية أن تحقق نتائج قيمة ، فعرفت فارس العديد من الكتاب والشعراء الكبار على مر العصور ، كما استطاعت أن تكون قوة عسكرية ذاع صيتها ومكنت الإمبراطورية الفارسية ووسعت حدودها (١٩-٤٥).

ب - التربية العسكرية عند قدماء المصريين :

أولى المصريون القدامى اهتماماً خاصاً بالتربية ، ومن وصية أحد حكمائهم لابنه : (امنح قلبك للعلم واحبه كما تحب أمك ، فلا يعلو على الثقافة شيء ... واذكر يابني أن مهنة من المهن محكومة بسواها ، إلا الرجل المثقف فإنه

بحكم نفسه بنفسه) (١٩-ص٤٧) .

وكان هؤلاء المصريون يرون في المعرفة وسيلة لبلوغ الثروة والمجد ، والمفاضل عندهم أشبه بالخيول الأبكم . وقد دفعتهم هذه النظرة إلى الاكثار من المدارس ، ولعل مصر أكثر بلدان العصور القديمة عناية بالتربية وأحفلها بالتعليم كما يقول ماسبيرو . وينتسب المعلمون جميعهم تقريباً إلى الطبقة الأولى ويستهدفون بخاصة الابقاء على سيطرة الكهنة وسلطان الطبقات العليا واخضاع الطبقات الدنيا لها .

ففي سن الرابعة يعيش الطفل مع ألعابه من دمى وتماسيح وسواها ، ولم تكن تربيته وعرة لينة ، فمنذ السنة الأولى من عمره يسير عاري القدمين حليق الرأس ، طعامه الرئيس خبز الذرة ونسغ شجر البردي المشوي ، وتقدم له أمه شيئاً بعد شيء بعض المبادىء الأولى الدينية والخلقية . وكانت المدرسة تسمى بيت التعليم ، ويشتمل منهاج الدراسة على الدين وآداب السلوك والقراءة والكتابة والحساب والسباحة والرياضة البدنية . وكان يغلب على الدراسات العليا طابع الدراسة الفنية والمهنية . ويبدو أن مصر القديمة عرفت الأشكال الأولى من التخصص ، فكان كل من الكتّاب والمهندسين والبناءين والأطباء والكهنة يتلقى اعداداً مناسباً لمهنته المقبلة . ولم يكن الحاربون يحصلون سوى على ثقافة أولية تضاف إليها معلومات خاصة حول المهنة ، ويعتقد أن كل فرقة عسكرية كانت تضم هيئة من الموسيقيين (١٩-ص٥٠) .

جـ - التربية العسكرية في اسبارطة :

كانت دولة اسبارطة ارستقراطية مع بعض مظاهر ديمقراطية ، وكان الأطفال يدربون منذ الولادة حتى سن السابعة من قبل الأسرة ، ثم يؤخذون من البيت ليكونوا تحت رعاية المساعدين المربين ويعيشون في ثكنات عامة ، ويقسم

الأولاد الى زمر صغيرة تحت رعاية أحدهم ، ثم يخضعون إلى تدريب عسكري ومدني ويحضرون الاجتماعات .

ولم يكن ثمة اهتمام جدي بالناحية الفكرية ، إذ كانوا يدربون على مبادىء القراءة والكتابة وحضور الشبان لاجتماعات الكبار وسماع محاوراتهم السياسية والعامة وكان الاعتماد منصبّاً على الأناشيد الدينية والوطنية الحماسية في تعليم الناشئين المفاهيم الأخلاقية .

وكان الاهتمام الكبير منصباً على التربية الجسمية والخلقية ، وتحتوي التربية الجسمية والرياضية على الركض والقفز والرقص الايقاعي ورمي القرص والمصارعة والملاكمة ، ثم التدريب على الحرب واستعمال الأسلحة ، وكان الصيد هو التسلية الأساسية .

ولم يكن هناك من تدريب مهني للصناعات والأعمال ، بل كانت الغاية من هذه التربية هي تهيئة جنود ماهرين شجعان ، يعرفون السيطرة على النفس ، لايرهبون ، يحتملون كل المشاق والشدائد يطيعون أوامر السلطة ، جنود قادرين على العمل المشترك مع الزملاء والرفاق .

وكان مفروضاً في كل اسبارطي أن يكون معلماً ومدرباً .. فكان يعين لكل شاب اسبارطي مرب ومدرب يختاره ويتخذه صديقاً يحترمه .

د – التربية العسكرية في أثينا:

هناك فرق بين أهداف التربية وطرائقها في اسبارطة وأثينا فقد كان الأثينيون يريدون من التربية تهيئة مواطنين يهتمون في حياتهم بالعقل ويتصفون بالحكمة والعدالة في القيام بالواجبات المدنية المختلفة المطلوبة من الدولة، إلا أنهم في الوقت

نفسه أحرار في التصرف بأوقات فراغهم وفي فهم وتفسير واعجاباتهم الاجتماعية، كما ينبغي أن يكونوا أقوياء الأجسام وشجعاناً في الحروب مثل هؤلاء المواطنين لم يكن في الإمكان إعدادهم عن طريق نظام تربوي يخضع خضوعاً مطلقاً لحكم استبدادي كما في اسبارطة.

وبينما كانت اسبارطة تقصد تعليم الأسرة فإن أثينا كانت تسعى إلى الاحتفاظ بها كوسيلة لتطور الشخصية وتكيفها، ولذلك فقد وضعت على كاهلها عبء التربية ومسؤوليتها. فقد كانت المدارس كلها مدارس خاصة ولم تكن الدولة تتولى مباشرة سوى ذلك الجزء من التربية بين السادسة عشرة والعشرين، هذا الجزء الذي يكاد يقتصر على الرياضة البدنية والإعداد المباشر للخدمة العسكرية.

ففي سن السادسة عشرة كان الشاب يعفى من إشراف مربيه، ويبدأ بالتدرب على الألعاب الرياضية لمدة سنتين حيث يندمج مع من هم في سنه من الشباب البالغين. وفي هذه المرحلة كان يدرب على يد موظف حكومي هو (مروض الغلمان وكانوا تحت إشراف المرشدين الأخلاقيين).

وبعد أن ينتهي الشاب من هاتين السنتين للإعداد التدريبي، ويثبت للموظفين المسؤولين أنه تشبع بالنواحي الأخلاقية والجسمية اللازمة للمواطن المستنير فإن اسمه كان يدرج في قائمة المواطنين الأحرار عندئذ يبدأ بأن يقسم يمين الإخلاص للدولة وللآلهة ولتقاليد الشعب الخلقية وكان يعلن في اجتماع عام أن هذا الشاب أصبح جندياً، وكان يقوم بهذا الإعلان والده إن كان حياً، أو تقوم به الدولة إذا كان الطفل يتيماً فقد أباه في الحرب. وكان عليه أن يتدرب على استخدام الأسلحة وعلى النظام العسكري قبل أن يباشر واجبات المواطن الكامل وحقوقه. تلك

كانت فترة التدريب العسكري المفروضة لدى جماعة اليونان وكانت تختلف مدتها من سنتين (وفيما بعد سنة واحدة في أثينا) إلى عشر سنوات في اسبارطة.

وكان الشاب الأثيني يقضي السنتين الأوليين من ١٦ إلى ١٨ سنة في الجمباز تحت إشراف الأب أو الوصي أما السنتان الأخيرتان فكان يقضيهما تحت إشراف موظفي الدولة المباشرين.

وكان على الشاب أن يقضي السنة الأولى في ثكنات عامة أو في معسكرات بجانب المدينة وأن يخضع للتدريب العسكري الصارم في استعمال الأسلحة وفي التدريب على إدارة شؤون الدولة أما في السنة الثانية فقد كان الشاب الأثيني يعيش عيشة الجندي النظامي ويزوّد بواجباته ولقد تصور بعضهم أن هذا الواجب كان يقوم به الطلبة لحماية المدينة وحراسة مقاطعات الإقليم ولكن هذه المسائل معروفة على وجهة التحقيق وطوال مدة الإعداد العسكري كثيراً مما يعوّد الطلبة على الاشتراك في الأعياد الاجتماعية والدينية. وفي هذه الحفلات كان الإعداد الديني والإعداد الوطني يرتبط تمام الارتباط بتزويد الشاب بطرائق الاستمتاع بنعم هذه الحياة وبتزويدهم تربية جسمية متزنة. وفي ختام السنة الأولى كان الشاب يخضع لامتحان على استخدام الأسلحة. وفي ختام السنة الثانية كان يمتحن في واجبات المواطن.

هـ – التربية العسكرية لدى الرومان:

لقد كان الانشاء الروماني يرمي إلى تفضيل أهمية البيت، ولقد تجلى هذا بوضوح في أسس تصوراتهم الفكرية والاجتماعية التي تضمنتها جمهورية افلاطون إذ أهملت قيمة البيت بعدّه وسيلة من وسائل التربية. ولقد كانت الحال بعكس هذا في روما، إذ كان الاتجاه يرمي إلى إعلاء شأن المنزل. فسلطة الأب القوية كانت

عاملاً من عوامل زيادة قيمة المنزل ووظيفته وعلت من الأسرة وحدة اجتماعية، وبذلك تأكدت قيمة البيت الخلقية، وكذلك اتضحت أهميته القانونية والاجتماعية.

وكان الأب مسؤولاً عن إعداد أبنائه إعداداً خلقياً واجتماعياً كما أن الأم كانت لها منزلة هامة أعلى بكثير من منزلة مثيلاتها من النساء في اليونان.

لقد كانت الأم الرومانية تتعهد تربية أطفالها ولا تلقي بهم في أحضان المرضعات والمربيات كما كانت الحال في بلاد الاغريق. وعندما يشتد عصب الطفل ويقوى كان يلازم والده بدلاً من أن يلازم عبداً أو مربياً كالطفل الإغريقي.

على أن أثر البيت في الأسرة كان يكمله تصوير نماذج مادية للرجولة الرومانية مقتبسة من التاريخ. ولم يستغل أي شعب أعمر الشخصيات التاريخية الفذة لتكوين صفات الشباب وأخلاقهم كما استغله الرومان الأوائل، كما كانت أعمالهم تمجد هؤلاء أنفسهم. ولعلنا لا ننكر أن الإغريق قد اتبعوا هذه الطريقة نفسها أو ما يشابهها في أقدم الأزمنة، ولكن كان أبطال التاريخ الإغريقي أنصاف آلهة أو مشمولين برعاية الآلهة، وعلى ذلك لم يكن هناك مجال لتقليدهم. أما الأبطال الرومان فقد كانت فضائلهم وأعمالهم من ذلك الصنف الذي يستطيع الرجل الروماني تقليده.

وكان على الشاب الروماني أن يصير تقياً، وقوراً، عزوماً، شجاعاً، فيه رجولة وحزم وأمانة وذلك بتقليده المباشر لوالده وللشخصيات الرومانية القديمة كما هو ظاهر في عرفاتهم وأعمالهم التاريخية وللأشخاص الممتازين الذين يرونهم ويظهرون أمامهم على منصة الخطابة.

ولم يكن الرومان يعترفون بالألعاب الرياضية وبالرقص أو الموسيقى أو الأدب أو ما يشابهها باعتبارها مظاهر للكفاية. وفي الحقيقة كان الولد الروماني يكتسب، بطرائق اللعب، قدراً جسيماً إلى حد ما ولكن لم يكن ذلك بطريقة منظمة، ولم تكن هناك ملاعب خاصة للرياضة ولكنهم كانوا يمارسونها في الحقول والمعسكرات، وكانوا يتمرنون على استخدام السلاح وكانت تربية الشبان تتم على الأعمال سواء بالانتساب إلى الجيش أو العمل في الحقل أو الاشتغال بالسياسة أو الاشتراك الفعلي في الأعمال التي كانوا يطالبون فيما بعد بالقيام بها كونهم مواطنين صالحين.

و – نظام الفروسية في العصور الوسطى:

تمثل الفروسية النظام السائد في المجتمعات المدنية بين أولئك الذين يحملون بالمثل العليا الاجتماعية الراقية– ويحاولون تحقيقها باتباع عادات وأساليب شكلية مقررة، وكانت منزلة الفروسية في الحياة الدنيوية كمنزلة الرهبنة في الحياة الدينية. ولم يكن من الضروري أن تضم الفروسية النبلاء جميعهم، بل إنها لم تضم إلا أولئك الذين تقبلوا النهوض بأرقى الواجبات ذات الطبيعة الاجتماعية التي أقرتها الكنيسة فلم تكن البطولة وصفات الفروسية من الأمور الوراثية كما كانت تورث صفات النبالة، أي أن لقب (الفارس) لم يكن ينتقل من الأصل إلى الفرع بالوراثة.

كما جرت العادة أن الشباب لا يستطيع أن يحظى بهذا اللقب قبل سن الحادية والعشرين وقبل فترة تمرين طويلة تنمي فيه الصفات اللازمة للشخصية وبعد أن يقوم الشاب بعدة أعمال تدل على البطولة وتظهر فيه أبرز الصفات التي تتطلبها الفروسية.

كانت تربية الفارس تنقسم إلى مرحلتين متميزتين: مرحلة تربية الغلام من سن السابعة إلى الرابعة عشرة- ثم مرحلة البالغ وتمتد من الرابعة عشرة إلى الحادية والعشرين. وكل سيد إقطاعي مهما كانت درجته، وكذلك كل من رجال الدين، كان له قصر يحضره أبناء أتباعه الذين يشتغلون في أرضه.

أما كبار الأتباع فكانوا هم وأبناؤهم يعيشون في بلاط الملك أو بلاط أحد العظماء الذين ينتمون إليهم، وكثيراً ما كان يخدم أبناء الملوك في القصور الخاصة. ولكن العادة التي كانت متبعة بين طبقات الفرسان على اختلاف مراتبهم، هي أنهم كانوا يبعدون أولادهم من بيوتهم، وربما نشأت هذه من عادة الاستضافة التي كانت قائمة من قبل، وقلما كانت المدارس تنشأ لتدريب هؤلاء الأولاد.

كان التدريب يتم في بيئات منزلية منظمة أو بالخدمة في القصور. وبذلك عظم شأن الطاعة والخدمة، إذ أصبح أولاد النبلاء يخضعون جميعاً لمثل عليا واحدة، لأن هذا النظام قد يستوعب من أبناء الفرسان أن يتولوا الخدمة على موائد الطعام وما يشبهها من الأعمال صغيرة الشأن. وبهذه الطريقة نفسها تكونت عبقات الرأفة والإقدام والتقدير في نفوس الرؤساء لأنهم هم أنفسهم كانوا يقومون بهذه الخدمات. ولأن خدامهم الذين تولوا الخدمة على الموائد والإشراف على الخيل والكلاب والصقور وغرف النوم والاسطبلات كانوا جميعاً من ذوي المراتب والألقاب.

ويبدأ الغلام حياته بخدمات بسيطة في القلعة، وبخاصة القيام بخدمة السيدات، فإذا ما نسب الغلام وكبر، كان عليه أن يخدم على المائدة ويستمر في هذا العمل حتى يصبح بالغاً وبالإضافة إلى هذا كان عليه أن يقدم عدداً معيناً من الخدمات الشخصية لسيده، وتنتهي مراحل الرقي بالغلام حتى يصل إلى مرتبة

الجماعة الذي كان الخادم الشخصي المباشر للفارس في المعركة وفي حفلات السباق والقتال.

وكان من المفروض أن يتعلم الغلام والشاب، مبادئ الحب والحرب والدين. وكانت القدرة على العدل من أهم مبادئ الحرب فمراعاة العدالة في المباريات (التي كانت أهم وسائل الاستعداد للحرب وبمضي الزمن أصبحت بديلاً عن الحرب) كانت أمراً أساسياً في التربية العسكرية عندهم. وكان الشاب يمرن منذ حداثته على ركوب الخيل وعلى تناول القوس وحمل السيف والطعن بالرمح والرمي بالسهم، أو، يقوم بهذا كله وهو يرتدي رداء الحرب، وكانوا يمرنون على إصابة الأهداف المتحركة سواء أكانت على ظهور الجياد أم في القوارب. وكان الصيد بالصقور يعد تمريناً على الأعمال الحربية، لدى النبلاء. وقد ساعد هذا التمرين الحربي على تحسين القدرة على مواجهة صعاب الحياة وعدم الاهتمام بالألم وعلى تحمل الجوع والتعب.

كانت الكنيسة التي ينتمي إليها النبيل تقوم بتوجيه مظاهر النشاط الحربي وإقرارها، وكان على الفارس الذي يعد نفسه لرتبة الفروسية أن يقوم بطقوس دينية لتطهيره، ويجب أن يبارك سيفه قسيس، وفي الحفل الديني الذي كان يقام عادة في الكنيسة، كان يقسم الفارس أن يدافع عن الكنيسة وأن يهاجم الأشرار، وأن يخدم القسيس، وأن يدافع عن النساء والفقراء، وأن يحافظ على البلاد وعلى أمنها، وأن يريق دمه في سبيل أخوانه وأهله (٥- ٥٠- ٥٣) وقد بقيت هذه التقاليد حتى أواخر العصور الوسطى، كما تدل على ذلك رواية (دون كيشوت) الاسبانية.

ز – التربية العسكرية الإسلامية من خلال شخص الرسول العربي:

قبل أن ننتقل إلى العصر الحديث سنلقي لمحة سريعة على التربية والتدريب العسكري عند العرب المسلمين الأوائل.

لقد اهتم الرسول العربي بالتدريب وكان يوليه مكانة خاصة. وفي صدر الإسلام كان القوس هو السلاح الوحيد الذي يتيح للمحارب تسديد نباله إلى العدو من مسافة لا تتجاوز عشرات الأمتار. ولهذا لا نعجب أبداً إذا أكثر الرسول العربي من الحديث عن الرمي والرماية.

وفي هذا، نذكر الحديث الشريف (علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل)، فالرماية كل رماية بدءاً من القوس حتى تسديد الدافع وإطلاق الصواريخ في عصرنا والسباحة باتت أساسية جداً في حياة الإنسان مدنياً أكان أم عسكرياً هذا عن أن هذه الرياضة هي تقريباً الوحيدة التي تحرك وتنمي جميع عضلات وأطراف الجسم، أما ركوب الخيل فبات يشمل كمفهوم عام القدرة على قيادة جميع الوسائل المتحركة بأسرع مما يمشي الإنسان بدءاً من الدراجة العادية حتى الطائرة النفاثة والصاروخ.

روي عن الرسول الكريم أنه مر بموضع كان بعض الصحابة يتمرنون فيه على الرمي، ويتدربون على القتال، فنزع نعليه ومشى حافياً ثم قال: (روض من رياض الجنة).

ولقد اهتم الرسول (ص) بتدريب الجنود على القتال في كل الأوقات والفصول لأن الجندي يجب أن يكون مستعداً للقتال في أسوأ الظروف. ولقد نعى الله الذين قالوا لا تنفروا في الحر والمقصود بذلك حسب رأي النقاد مصطفى

طلاس، المنافقون الذين يؤلفون ما يعرف في أيامنا (بالطابور الخامس) (١٩-٣٧).

قال تعالى: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون).

وقال الرسول العربي (ص): وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، وقال خالد بن الوليد أمرنا رسول الله (ص) أن نعلم أولادنا الرمي والقرآن وقال ابن الجوزية في كتاب الفروسية المحمدية (إن قوماً كانوا يتاضلون، فقيل يارسول الله قد حضرت الصلاة فقال هم في الصلاة) فشبه رمي القوس بالصلاة، كما شبه ميدان التدريب برياض الجنة كما رأينا.

وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله يقول: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفلاً الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به ونبله وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها).

هذه اللمحة تدلنا دلالة أكيدة على مدى اهتمام الرسول العربي بالتدريب وبخاصة الرمي الذي كان أساساً بالنسبة لتدريب الجيوش في ذلك الوقت.

أما التحريض والحض على القتال فيعدان عنصراً أساسياً في رفع الروح المعنوية لدى المحاربين من أجل إذكاء شعلة الحماسة في نفوسهم ومن أجل شدهم إلى القضية التي يقاتلون في سبيلها، وبذلك يصبح جميع المؤمنين في حالة يقظة ثورية وتوتر نفسي وشوق دائم إلى لقاء العدو.

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيراً لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها، نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين). (٢٠- ٣٤).

وقال الرسول العربي: (الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة من ترك الجهاد في سبيل الله، ألبسه الله الذل وشمله البلاء).

وفي يوم بدر خرج الرسول العربي على الناس فحرضهم على القتال ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابر محتسب مقبل غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة).

من جهة أخرى فقد ضرب الرسول الكريم أمثلة كبيرة في الإنسانية والعطف، والتي صارت تتحدى على مر العصور وحتى يومنا هذا.

فقد أجمعت المصادر التاريخية على أن الرسول العربي ما ثأر من أحد لأساء إليه في شخصه وقد عفا عن رجل هم بقتله وهو نائم، ورفع السيف ليهوي به فسقط من يده على كره منه.

وعندما تم فتح خيبر وتوقفت الأعمال القتالية بين الطرفين، أهدت زينب بنت الحارث (اليهودية) زوجة سلام بن مشكم الرسول العربي شاة مشوية، وكانت قد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله؟... فقيل الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي الرسول العربي تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، وكان معه على الطعام (بشر بن البراء) فأكل منها. ولما اشتبه الرسول القائد بالأمر دعا زينب بنت

الحارث وقال لها: إن هذا الغلام يخبرني أنه مسموم، فاعترفت بالقضية فقال لها ما حملك على ذلك؟ قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان نبياً فسيعلم، وإن كان ملكاً استرحت منه فتجاوز عنها النبي، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

ولم يحارب الرسول العربي قط أحد كان في وسعه أن يسالمه ويحاسنه ويتقي شره. قال تعالى في وصفه لأخلاق نبيه: (وإنك لعلى خلق عظيم).

ولعل معاملة الرسول العربي لعبد الله بن أبي الذي كان المسلمون يسمونه رأس النفاق مثل من أمثلة الحلم والصفح الجميل. فقد عاهد وغدر، ثم عاهد وغدر، وعاش ما عاش يكيد للنبي في سره ويحالف عليه أعداءه. وشاع أن النبي العربي قضى بقتله فتقدم ابنه من الرسول وقال له: يارسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل لك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني وإني لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار) فأبى الرسول العربي أن يقتله، وآثر الرفق به، وزاد في أفضاله فكافأ الولد عبر مكافأة على حلوص نيته وإشاره البر بدينه على البر بأبيه فأعطاه قميصه يكفن به أباه عندما مات، وصلى عليه ميتاً ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه، وقد حاول عمر أن ينهه عن الصلاة على ذلك العدو الذي آذاه كل الأذى فذكر الآية استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدي القوم الفاسقين فقال: لو أعلم أني زدت على السبعين غفر الله، زدت).

ومن مآثر الرسول العربي في تربيته العسكريين كانت محاربته للبذخ والحض على التقشف: إذا تركت النفس الإنسانية على هواها فهي تميل تدريجياً إلى الراحة ولذلك فقد حرض القادة باستمرار على شد رحالهم إلى القضية الأساسية والهدف المنشود.

وفي القرن الرابع عشر ميلادي (القرن الثامن الهجري) ظهر علينا ابن خلدون في مقدمته الشهيرة يحلل لنا تطور الدولة وحياتها فيلقي لها أعماراً طبيعية تتبع نفسيات الأجيال المتعاقبة وينتهي إلى تقرير دوري لذلك فهو يعقد فصلاً (في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص) يقول فيه (إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال، لأن الجيل الأول لم يزالوا على طبق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد لا تزال بذلك صورة العصبية محفوظة فيهم – فمجدهم مرهب وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون ثم يشرح كيف يتحول الحال بالجيل الثاني إلى (الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي)... أما الجيل الثالث (فينسون عهد البداوة والخشونة ويصيرون عيالاً على الدولة.. وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون من الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة بماهو بها، وهم في الأكثر أحسن من النساء على ظهورها، فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي ويصطنع من يحمي عن الدولة بعض الفناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت. لقد أدرك الرسول العربي وهو القائد البعيد النظر أن أخطر ما يتهدد الثورة الاسلامية وجنودها أن يغرق رجال الصحراء الأشداء في نعيم الحضارة وهنية العيش، لذلك فقد حرص دائماً على محاربة البذخ عند أصحابه وكان بعضهم

باستمرار على التقشف ويقدم المثل بنفسه احشوشنوا فإن النعم لا تدوم حتى يظلوا مشدودين للقضية الأساسية والثورة الإسلامية (التي نذروا أنفسهم لتحقيقها).

وقد روي عن عمر بن عوف أن الرسول العربي بعث أبا عبيدة الجراح إلى البحرين ليأتي بجزيتها وكان الرسول قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي، فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله حين رآهم ثم قال: (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء. قالوا: أجل يارسول الله قال فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله مالفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم).

إن هذا النموذج القائد والمربي، أقصد الرسول العربي، هو الذي طبع الشخصية الإسلامية في سلمها وسربها خلال كل العصور.

وبهذا يقول دوريغ في كتابه (إسلام): إن أي مسيحي لا يستطيع أن ينظر إلى السيد المسيح كنموذج. إن السيد المسيح أو بوذا هما الهدف أما بالنسبة للمسلم فليس الهدف إلا الله أما النموذج فهو محمد.

ويقول مايكل هارت في كتابه (المائة الأوائل): إن اختياري محمد ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي (٢١- ١٧٧).

والخلاصة:

لم تكن التربية في العصور القديمة والوسطى تتبع نظاماً منهجياً يشتمل على اسس التربية الثلاث- البدنية والفكرية والنفسية في منظومة متوازنة، إذ غالباً ما كان يتم السعي للبناء البدني على حساب النماء الفكري أو النفسي، وكذلك فإن التربية بمفهومها الواسع كانت حكراً على الطبقات العليا، أما الطبقات الدنيا فلم تحظ منها إلا بالقدر اليسير، وذلك انطلاقاً من مقولة (روسو) الشهيرة (السيد سيد والعبد عبد).

ومع هذا كانت التربية وقتذاك تلبي المهارات والكفايات المطلوبة في تلك العصور.. إلا أن تغير النظرة إلى الأعمال والمهن وتطور آلة الحرب بدخول التقانات الحديثة أدت إلى ضرورة تطوير المهارات والقدرات لتتناسب مع المعارف والتقانات العسكرية مع المحافظة على الضبط المنظم في الأساسيات والوسائل والغايات التربوية. وهذا ما يشهده التطور العسكري في القرن العشرين.

ثانياً: التربية العسكرية في العصور الحديثة:

شهد القرن العشرين تغيراً في ثلاثة أمور حيوية هي:

١- تغير أساليب الاستغلال والاستثمار للرأسمالية.

٢- ظهور المنظومة الاشتراكية وتزايد حركات التحرر الوطنية وارتفاع مستوى وعي الطبقة الكادحة في العالم.

٣- التطور الكبير في العلم والتقنية.

وهذا يقودنا للقول إن هذه الأمور هي من نتاج نشاط الإنسانية. ولهذا فإن الأهداف العامة للتربية العسكرية هي إتقان المقاتل للإرادة الحربية والسلاح الذي يحمله ورفع معنوياته إلى حد تتحقق معه الغلبة والانتصار في النهاية على العدو.

ولا شك بأن الأهداف العريضة بالنسبة لجميع جيوش العالم واحدة ولكن الاختلاف هو في الأهداف الفرعية والطرائق والأساليب التي يتبعها هذا الطرف أو ذاك أو هذه المدرسة أو تلك ومع حلول هذا القرن العشرين وتطور الأبحاث والدراسات السيكولوجية العلمية بات التمايز في طرائق التربية العسكرية ووسائلها أكثر وضوحاً من أي وقت مضى.. لذلك نقسمها إلى ثلاث مراحل متميزة هي:

المرحلة الأولى:

وتمتد حتى بداية الحرب العالمية الثانية أي منذ بداية القرن العشرين وحتى عام ١٩٣٩.

ففي الحرب العالمية الأولى طلب كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا والمانيا مساعدة علماء النفس للقضاء على بعض الظواهر غير الطبيعية (نسبة الحوادث في الطيران.. انخفاض الروح المعنوية بين الجنود..) وكذلك مساعدة علماء النفس لإعداد الجنود معنوياً عن طريق إدخال تعاليمهم السيكولوجية والتربوية إلى الجيش.

ففي أمريكا اتجهت الأبحاث السيكولوجية عندما نشبت الحرب العالمية الأولى إلى مجهود الإنسان الحربي بشكل عام فتكونت في الجيش الأمريكي (١٧) لجنة لتطبيق علم النفس العام في الحياة العسكرية وتناولت الأبحاث ما يلي:

١- وضع اختبارات نفسية لمعرفة قدرات الجنود واستعدادهم وتعيينهم في وظائف الجيش على أساس ما يتمتعون به من قدرات واستعدادات تتطلبها طبيعة العمل.

٢- المشكلات النفسية المتعلقة باستخدام الحواس وخاصة البصر والسمع في القتال.

٣- المشكلات المتعلقة بالطيران والطيارين.

٤- التدريب العسكري على أسس علمية صحيحة.

٥- علاج المصابين بالصدمات النفسية الناتجة عن أهوال القتال.

٦- تقوية معنويات الجنود.

٧- الدعاية.

٨- توجيه الجنود لحياة مدنية سعيدة عقب انتهاء الحرب.

وقد بذل علماء النفس مجهوداً كبيراً فوضعوا الاختبارات النفسية ووسائل الاختبار، وقبل أن ينتهوا من أبحاثهم وضعت الحرب أوزارها فانصرفوا إلى معاملهم وكان من نتيجة ذلك أن توقف البحث في مشكلات علم النفس الحربي في أمريكا فترة طويلة.

وفي ألمانيا: اتجهت الأبحاث خلال الحرب العالمية الأولى نحو الحرب النفسية والدعاية ولم يهتموا كثيراً بالمسائل الأخرى، ولما انتهت الحرب راحوا يبحثون عن سبب هزيمتهم معتقدين بأن سبب ذلك هو عدم الانسجام بين العسكريين والسياسيين، وضعف معنوية الشعب. ووجود بعض الخونة الذين سببوا انهياراً في الجبهة الداخلية، وهذا دفعهم إلى اعتناق فكرة الحرب العامة إذ لا فرق بين مدني

وعسكري، ويجب أن تتوحد الطاقات والعقائد والأفكار لقهر العدو فبذلك تصبح الدولة والشعب وحدة لا تتجزأ ومن أجل تحقيق ذلك لجأت القيادة النازية إلى علماء النفس فتكونت هيئة عليا للبحث في الموضوعات التالية:

١- المعنوية الدفاعية (أي العمل على رفع معنويات الجنود والمدنيين الالمان).

٢- المعنوية الهجومية (أي العمل على تحطيم معنوية الأعداء) بالإشاعة والدعاية والدوافع والاتجاهات.

٣- سيكولوجية القيادة ومعرفة الصفات التي يجب أن تتوفر بالقائد.

٤- اختيار الجنود.

٥- سيكولوجية الحياة العسكرية (الطاعة للعلاقات بين الجنود والضباط، النوم من الحياة العسكرية، الحياة الجنسية في الجيش، الجبن، وحب العزلة، الانتماء).

٦- سيكولوجية القتال: الغضب، الخوف، المفاجأة، انتظار الهجوم، الحرب الخازية، الذعر، التسليم.

في بريطانيا: تبنت القيادة البريطانية ما جاء في أبحاث علماء الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا من دراسات فأقرت الجمعية البريطانية المبادئ العامة النفسية لاستخدامها في القوات المسلحة ومنها:

١- استعمال الاختبار النفسي لاختيار الجنود والكشف عن قدراتهم النفسية.

٢- توزيع الجنود والأفراد على الأسلحة المتناسبة مع امكاناتهم العقلية وميولهم.

٣- علاج المشكلات النفسية التي يتعرض لها الطيارون.

٤- تطبيق التوجيه المهني على الأفراد العسكريين.

٥- دراسة الأسباب المؤدية إلى التعب.

٦- دراسة الصدمات الانفعالية الناتجة عن انفجار القنابل وظروف الحرب.

٧- الشائعات ومبادئ الحرب النفسية وطرائق الدعاية ومبادئ انتشارها.

٨- الاهتمام بالمشكلات النفسية الاجتماعية الناتجة عن الحرب.

وهكذا نرى أن التربية العسكرية في بريطانيا اختلفت عن التربية العسكرية الالمانية مثل اختلاف التربية الاسبارطية الديكتاتورية والتربية العسكرية الاثينية.

لقد اهتمت التربية العسكرية البريطانية بالناحية الإنسانية وقصرت في الناحيتين العلمية والفنية.

أما في روسيا: فقد اهتمت ثورة اكتوبر ١٩١٧ برفع مستوى وعي الجنود وإحلال النظام والانضباط الضروريين، فكان على المسؤولين في ذلك الحين أن يقوموا بتثقيف الجنود سياسياً وايديولوجيا وأن يعملوا على رفع الروح المعنوية من خلال تكوين شعور حب الوطن والاحساس بضرورة العمل من أجله والتضحية في سبيله. كما كان عليهم وضع خطة لمحو الأمية بين صفوف المقاتلين وقد جندوا بالفعل طاقات كبيرة مما ساعد على وصولهم إلى غاياتهم خلال فترة زمنية قصيرة.

- ونذكر هنا مربين اثنين:

كروبسكايا التربية التي ركزت على العلاقات الطلابية بين أبناء الشعب. وناشدت المسؤولين على العمل بين صفوف الجماهير العمالية ودراسة مشكلاتهم ونبهت إلى دراسة الصفات السيكولوجية لدى المقاتلين ومعرفة ميولهم ورغباتهم.

أما التربي مكارنكو: فقد أكد على ضرورة تربية الإنسان من خلال الجماعة وبرهن أن تربية إنسان المجتمع الاشتراكي ممكنة في الجماعة ومن خلالها فقط. وأوصى بضرورة احترام الإنسان موضوع التربية وتقدير أفعاله وتقويمها وكلما كانت واجبات الفرد ومهماته كبيرة استوجبت على التربي أن يظهر له مزيداً من التقدير والاحترام.

ولقد انتشرت تعاليم مكارنكو على نطاق واسع في الجيش والقوات المسلحة السوفيتية.

المرحلة الثالثة:

وتشمل سنوات الحرب ١٩٣٩- ١٩٤٥

- كانت ألمانيا عند الحرب العالمية الثانية هي المتفوقة في مجال علم النفس وتطبيقه على المجهود الحربي.

- أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد جندت قرابة ١٢٦٧ عالماً نفسياً ساروا على نهج زملائهم السابقين، وتابعوا الأبحاث وأجروا دراسات على النظرية السلوكية والنظريات الأسرى التي شاعت قبل الحرب لقد درسوا ما يلي:

١- تنظيم وسائل الاختبار والتصنيف والتوسع في اختبارات الذكاء.

٢- تحليل جميع وظائف الجيش.

٣- تحسين البرامج التعليمية والتدريب العسكري.

٤- الاستمرار وتعميق الأبحاث السيكولوجية المتعلقة بالوظائف الحسية.

٥- تحسين صناعة الأسلحة والمهمات الحربية.

٦- معرفة ميول الجنود ورغباتهم واتجاهاتهم.

٧- معرفة آراء الشعب الأمريكي بوساطة الاستفتاءات العامة، ومعرفة الأعداء بتحليل محتوى إذاعاتهم.

٨- تقوية معنوية الشعب والجنود.

٩- الدعاية.

١٠- علاج المصابين بالصدمات النفسية.

١١- توجيه الجنود في حياتهم المدنية عقب الحرب.

أما في انكلترا: فقد بدأت الدراسات تطبيقاتها الفعلية وشملت ما يلي:

١- تطبيق الاختبار النفسي على المتقدمين لفحوص الطيران للتأكد من صحتهم النفسية واختيار الأصلح.

٢- تطبيق الاختبار النفسي على المتقدمين للفحوص البحرية للتأكد من صحتهم النفسية واختيار الأصلح.

٣- تطبيق الاختبار النفسي على المتقدمين على فئة المهنيين والسائقين ليتم اختيار الأصلح.

٤- وقد لعبت الأبحاث والدراسات حول الحرب النفسية والدعاية دوراً كبيراً في صمود الشعب البريطاني أمام القصف الجوي المدمر للقوات الالمانية أما في الاتحاد السوفيتي: فقد تبلورت أفكار مكارنكو، وكروبسكايا لتشمل:

أهمية القائد ودوره في قيادة العمليات القتالية وتحقيق النصر.. وحللوا أسباب الخوف من الطائرات والدبابات المعادية والوسائل الكفيلة بالقضاء عليها كما أهملت إذكاء روح التضحية والبطولة من خلال قصص البطولة وتربية الصفات السيكولوجية والمعنوية العالية لدى المقاتلين كالشجاعة والرجولة والصمود والمبادرة والانضباط، ثم انحصار فترة التدريب النظري وتحولت إلى تطبيق عملي شارك فيها جميع أفراد الشعب لمواجهة ما مر به البلد من أزمة قاسية خلال القتال.

المرحلة الثالثة:

وتبدأ مع نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ وحتى يومنا هذا.

- أدت الجهودات السابقة إلى تقدم البحوث العلمية المفيدة ولا يزال أغلب هذه الدراسات ممنوعاً عن الرأي العام لأسباب تقتضيها السرية العسكرية فكل دولة تخشى تسرب هذه البحوث للطرف الآخر والدول الغربية تدفع المليارات للمختصين في العلوم الفيزيائية والرياضية والاجتماعية سنوياً، وتدل الأبحاث أن ٥٠٪ من المتخرجين من الجامعات يشتغلون في الأبحاث العسكرية.

- وإلى جانب ذلك فإن الدول الغربية تركز على موضوع الإنسان إلى جانب الآلة، لأنه هو القادر وهو الذي يدير آلة الحرب- فالمهم هو من يقف خلف المدفع وليس المدفع ذاته.

أما في روسيا: فقد عمدت الدولة إلى دراسة نتائج الحرب والتجارب التي مرت بها الدولة والدروس المستفادة ونشطت المعاهد العسكرية للتربية في تأهيل الأطر القيادية والموجهين السياسيين وإعداد الكتب والكراسات التي تبحث في جوهر العملية التربوية في الجيش وأشكالها ومضامينها ولاقت هذه الأعمال صدى إيجابياً في الجيش والأسطول البحري.

والخلاصة:

أدى التطور الكبير في العلوم والتقانات إلى تطور ملحوظ في أهداف التربية العسكرية فاتجهت الأنظار إلى ضرورة إتقان استعمال سلاحه، وتقوية روحه المعنوية.. وانصبت الدراسات على الاعتبارات النفسية لانتقاء الجنود والكشف عن استعداداتهم وقدراتهم، ودراسة المشكلات النفسية التي تعيق الأفراد العسكريين والأسباب المؤدية إليها. كما اتجهت الأبحاث نحو الحرب النفسية والدعاية والعوامل المؤثرة في معنويات الخصم، وتقدمت الدراسات في أبحاث القيادة والصفات التي يجب أن تتوافر في القائد، وتحليل الوظائف العسكرية وتحسين برامج التعليم والتدريب العسكري.

كل ذلك أدى إلى رفع القدرة القتالية للجنود وتطوير مهاراتهم العسكرية لتحقيق الانتصار على العدو.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثالث

التكيف مع الحياة العسكرية

(طرائق ومشكلات)

١- التكيف مع الحياة العسكرية الجديدة

٢- التكيف مع المخاوف التي تنتاب العسكري

٣- الالتقاء

٤- المشكلات النفسية للشخصية العسكرية

Damascus University

التكيف مع الحياة العسكرية

(طرائق ومشكلات)

تختلف الحياة العسكرية عن الحياة المدنية في كل شيء تقريباً، إن الحياة المدنية غالباً ما تترك للفرد حرية اختيار عمله وأصدقائه والتصرف أوقاته... الخ.

أما في الحياة العسكرية فإنه يجبر على تبديل نظام حياته، والتكيف مع الأنظمة العسكرية وقوانينها وأعرافها.

ويشمل التكيف في القوات المسلحة مستويين اثنين هما:

١- التكيف مع الحياة العسكرية الجديدة.

٢- التكيف مع المعاون الفني لكتاب العسكري.

* التكيف مع الحياة العسكرية الجديدة:

تبدأ الحياة العسكرية بتلقي الأوامر وضرورة تنفيذها بحذافيرها دون اعتراض كما يغير أسلوب حياة الفرد في النوم المبكر والاستيقاظ المبكر، والحياة داخل المجتمع، والأكل في صفوف، والاغتسال بالدور، والوقت القليل ومعاشرة زملاء قد لا يوازونه في المكانة الاجتماعية وتقبل رؤسائه وإطاعتهم، ولهذا فإن تكيف الفرد مع الحياة العسكرية يجب أن يتم على ثلاثة محاور:

آ- على النطاق البدني: فالفرد وهين الحياة العسكرية وأوامرها في الطعام والشراب والنوم والعمل والاستيقاظ، وحتى في معاشرة الآخرين.

ب- على النطاق العقلي: الفرد يمر على التفكير بالأمور العسكرية وأنظمتها وإطاعة رئيس قد لا يوازيه في المكانة الاجتماعية والثقافة والذكاء وغالباً ما يتم فرز المجندين إلى الاختصاصات المختلفة دون أن تُوجد آراؤهم في ذلك، ولذلك عليهم تعلم الاختصاصات العسكرية التي قد لا تناسب ميولهم.

جـ- على النطاق النفسي والاجتماعي: إن الفرد يمر على كبت مشاعر استيائه وغيظه وضبط انفعالاته وقبول مواقف لا تنسجم مع رضاته، إن عليه أن يتحمل قسوة الجوع والعطش والحرمان والتعب والقلق وتهديد الذات وأن يتحمل بعده عن أسرته وأمه المريضة أو إخوته الصغار إلى جانب صعوبات التوفيق بين نوازعه ورغباته وتأكيد للأنا وبين خضوع هذه الأنا لضوابط كابتة تحرمها من التعبير عن هويتها.

* التكيف مع المعارف التي تتطلب العسكري:

إن على الفرد الذي ينخرط في القوات المسلحة أن يتكيف مع المعارف التي قد تنتابه بسبب:

آ- الخوف من الموت كلما اقتربت الوحدة من الاشتباك.

ب- الخوف من رؤية حدث القتلى.

جـ- الخوف من قتل الإنسان.

فالإنسان هو سواء أكان في الحياة المدنية أم الحياة العسكرية إنه جملة من المشاعر والأحاسيس والثقافة والخبرة والاستعداد النفسي إلى جانب الصفات الجسدية ومستوى الذكاء والقدرات وعليه أن يتكيف على هذين المستويين وإلا وقع في اضطرابات نفسية وعُصابات خطيرة وبعدّ تكون الشخصية العسكرية لديه

اللبنة الأولى في حياته الجديدة، كما تلعب القيادة الناجحة والتربية العسكرية السليمة دورها في تهيئة العسكري الفر لمجابهة هذا كله بسلوك تكيفي ناجح.. عدا عن أن الاكتفاء الذي تتبعه الجيوش يساهم كثيراً في خفض عدد الجنود غير المتكيفين.

كما أن ترسيخ الانضباط والنظام العسكري في أثناء السلم يساعد العسكري على السيطرة على انفعالاته ولمثل هذه السيطرة أهميتها الكبيرة في ظروف المعركة.

وكذلك يجب ترسيخ روح المزاح والمرح للتخفيف من قسوة الظروف ووطأة التوترات والحفاظ على القيمة النفسية بالنقاشة وحب الأمية، كذلك يجب تعليم العسكري كلما اقتربت الوحدة من الاشتباك والقتال ما يلي:

١- الموت ظاهرة طبيعية ومن الأمور المنتظرة في الجيش وأن من يصابون لا يموتون جميعهم إن عدداً كبيراً منهم ينجون من الموت، ناهيك عن تكريم القيادة والوطن والأصدقاء لهم.

٢- أن الموت يخضع لاحتمال المصادفة.

٣- مادام الموت وارداً فليكن عزيزاً كريماً، إذا كان لابد منه في المعارك.

٤- أن رؤية جثث القتلى يجب أن لا تثير لديه مشاعر القلق، فهو أمر طبيعي في الحياة العسكرية، وأن مهمة القيادة هي إقناع العسكري بفكرة احترام أصدقائه الموتى وتحييهم وألا تجنبه الاشتراك في تأبينهم وحمل نعشهم وحتى في حفر قبورهم، وفي هذا ممارسة لنوع من الاحترام للجثة، ولا غرابة أن نرى بعض

الجنود يلقون بأنفسهم في التهلكة لإنقاذ رفاقهم الجرحى والمصابين وهذا دليل على الروح المعنوية العالية والتلاحم العضوي القوي بين المقاتلين.

٥- يأنف بعض العسكريين من قتل الإنسان حتى ولو كان عدواً وذلك مناف للواجب وللملك على القيادة تبصيرهم، وأنهم يدافعون عن أرضهم وكرامتهم ويثأرون لآلاف الشهداء الذين ضحوا في سبيل الوطن والواجب.؟

* الانتقاء :

إن القوات المسلحة جهاز منسق التركيب، دقيق التفاصيل، عديد الأجزاء وهو يعتمد في إنتاجه على الطريقة التي توزع فيها القادة والأفراد، عدا عن أن القوات المسلحة تمتاز بأنها بحاجة إلى الفني والمثقف والاختصاصي إلى جانب البنية القوية، ولذلك يقع على الرؤساء والقادة العمل ما في وسعهم لتنفيذ الانتقاء الجيد والمدروس لعناصرهم والحرص على الكفايات الفردية اللازمة للمهمات والاختصاصات في قطاعات الجيش... إن الانتقاء يفرق هذا وذاك يقلل من عدد الأفراد غير المتكيفين.

ويشمل الانتقاء ما يلي:

١- انتقاء الجنود: تعمد الجيوش في دول العالم إلى انتقاء جنود متطوعين سنوياً في جميع الاختصاصات ولما كان عددهم كبيراً فإنها تعمد إلى تطبيق الاختبارات النفسية عليهم لانتقاء الأصلح حسب كل اختصاص، وذلك بأن يتقدم المتطوع إلى مكتب الخدمات النفسية في منطقته، وفي قاعات هذه المكاتب تطبق الاختبارات المعدة للعمل المطلوب، وبعد الانتهاء منها ورصد النتائج والعلامات يتقدم المتطوع لفحص المقابلة النفسية، والتي يتم فيها سبر الصفات العامة للشخصية والتأكد من خلو المفحوص من أي عيب فيزيولوجي أو اضطراب

نفسي. بعد ذلك تتم مقارنة علامة الاختبار مع علامة المقابلة وتنظيم البطاقة ضمن الأوراق الثبوتية إذا حصل على المستوى المطلوب، وهكذا تبرز فائدة البطاقة النفسية في تلخيص حياة المتطوع ورسم المميزات.

٢- انتقاء المجندين: يسأل كل عام عدد كبير من المواطنين ليخدموا في القوات المسلحة ولما كان هذا العدد يتفاوت من خلال ثقافته وقدراته ومواهبه كان لابد من إخضاعه للتوجه وللانتقاء ضمن الاختصاص الذي يناسب مؤهلاته.

وبعد التحاق المواطنين بمراكز التدريب يتم دعوتهم إلى قاعات الفحص لتقديم مجموعة اختبارات نفسية تتألف من:

آ- اختبارات الذكاء العام.

ب- اختبارات للقدرات العقلية الخاصة.

جـ- اختبارات للشخصية.

د- مقابلة نفسية.

بعد الانتهاء من ذلك يُفرز المجندون إلى أماكن معينة ومراكز يسمى الفاحصون أن تكون متجانسة قدر الإمكان وبالتالي مناسبة للسلاح الذي يوافق قدرات المجندين وكفاياتهم. (العقلية- البدنية..) حادثة الطالب الضابط الذي لا يستطيع الدخول في غوهة الدبابة..

٣- انتقاء طلاب الكليات العسكرية: لابد أن تتوافر في الضابط قدرات عقلية عالية وصفات شخصية ونفسية وخلقية عالية إضافة إلى اللياقة البدنية المناسبة.

فالضابط سيتعامل مع جنوده وسيكون مسؤولاً عنهم وسيكون قدوة لهم في زمن الحرب والسلم لذلك لابد من تطبيق ما يلي عليه:

آ- اختبارات نفسية عالية في الدقة.

ب- اختبارات تقيس روح المسؤولية عنده.

جـ- اختبارات تقيس مواهبه في القيادة.

د- قدرته في التحمل.

هـ- الجرأة والشجاعة والمبادرة وهدوء الأعصاب.

٤- انتقاء العناصر الحساسة للمهمات الخطيرة: هذه العملية تتم في كل سلاح على حده ويقوم بها الضابط النفسي الذي يحدد الصعاب النفسية المطلوبة لإحدى المهمات الخطيرة الحساسة ومن ثم اختيار الشخص العسكري الملائم لهذه المهمة عن طريق اختبارات نفسية حددت مسبقاً لهذا الغرض.

٥- انتقاء المتطوعين: يشبه الانتقاء للمهمات الخطيرة لكن الأول فردي أما هذه فهي جماعية إذ تطبق على مجموعة من الأفراد سيلتحقون بمواقع القتال وتبدأ هذه العملية بتحديد المجموعة الملحقة إلى القتال. ثم فحص أفرادها كافة بالاختبارات النفسية للتأكد من سلامة نفوسهم وأعصابهم وسلامة شخصياتهم للمهمات المطلوبة.

المشكلات النفسية للشخصية العسكرية

إن الواقع الجديد، والبيئة غير المألوفة، وتغيير نمط الحياة كلها أمور تعد أساسية في خلق الاضطرابات النفسية للشخصية.

والحياة العسكرية منذ بدايتها مثار للعديد من الأزمات والمشكلات السلوكية.. إذ على الفرد فيها أن يتكيف مع أعداد هائلة من الأفراد الذين لهم ميول واتجاهات متفاوتة ومتعددة إن هذه الحياة تقلل من الرفاهية الخاصة والامتيازات الشخصية وترغم الأفراد على إطاعة النظام، والحياة بشكل جماعي مشترك، والعمل مع المجموعة بروح تعاونية بعكس المستوى الفردي الذي كان يعيشه المرء في حياته المدنية.

وتتولد الخبرات وتترك آثارها على نفسية المستجد.. ولقد لوحظ أن الاسبوعين الثالث والرابع هما اللذان يحملان المصاعب نظراً لكثرة المصاعب وشدة الإرهاق من التدريب.

لقد كون المستجد فكرة عن العسكرية من خلال ما يسمعه عنها ولكن بعد دخوله السلك العسكري هل تتغير مفاهيمه ونماذج سلوكه؟ هنا تظهر لنا الحقائق أن المستجدين بعد فترة ينقسمون إلى ثلاث فئات:

١- فئة تأقلمت مع الجو العسكري ووجدت فيه الراحة بعد مرورها بتجارب قاسية متعبة مزهقة لكنها تتغلب عليها.

٢- فئة وجدت في الحياة العسكرية بحالها فتتقبلها منذ الوهلة الأولى.

٣- فئة لم تتلاءم مع الحياة العسكرية بأي شكل من الأشكال على الرغم من ظهور تكيفها السوية في الاختبارات العقلية إلا أنها لم تصبر على تظاهرها بعد تجاوزها وتطلب الخلاص.

وانطلاقاً من نوعية تكيف هذه الفئات الثلاث لابد أن تقف مع الواقع العسكري الجديد مواقفين متضادين لكل موقف صفاته الخاصة ونوعيته التصورية.

الموقف الأول: يضم الأفراد المتميزين من المستجدين الذين وجدوا الاستقرار في الحياة العسكرية وأصبحوا يعطون مردوداً جيداً والضباطاً جيداً واستوعبوا متطلبات الرؤساء... وأن فحص الانتقاء النفسي يلعب دوراً هاماً في تزايد هذه المجموعة الإيجابية لأن الهدف من الانتقاء هو استبعاد الأشخاص غير المناسبين للحياة العسكرية.

أهم صفات مجموعة الموقف الأول:

١- المشاركة الاجتماعية في الحياة العسكرية.

٢- النشاط والحيوية.

٣- قلة الشكوى وانعدام المرض.

٤- قلة العقوبات.

٥- انعدام الهرب من المعسكرات.

٦- النجاح في الدراسة والتدريب.

أهم صفات مجموعة الموقف الثاني غير المستجمين:

١- الانعزال.

٢- المشاكسة الدائمة مع المدربين والجنود والزملاء بشكل؟

٣- عدم الاهتمام بالتدريب والدرس والنشاط العسكري.

٤- كثرة العقوبات والمخالفات.

٥- كثرة الشكوى والتذمر والمرض.

٦- الهروب من المعسكر كلما سنحت الفرصة بذلك.

الخدمات النفسية:

ويتم علاج المشكلة النفسية (المستعد للشكل) الذي يجد صعوبات انفعالية في حياته العسكرية وفق منهاج علمي مهمته كشف المشكلة قبل استفحالها حتى تؤمن له المساعدة المطلوبة في سبيل تكيف نفسي أفضل.

ومراكز الخدمات النفسية موجودة في الوحدات العسكرية ومهمتها رعاية الصحة العقلية في مراكز التدريب الأولى ويشرف عليها مختصون في الأمراض العقلية والنفسية وهؤلاء مشتركون مع المختص النفسي والاجتماعي في تقديم المساعدة المستعجلة للأفراد الذين يظهرون أعراض عدم توافق مع الحياة العسكرية.

كما يلعب القادة دوراً بارزاً في رعاية المستعدين وإرسالهم إلى الفريق المعالج عند اللزوم.

الخدمات الاجتماعية للمستعدين بالجيش:

تظهر في إدارة التجنيد ووحدات الجيش المختلفة أهمية الخدمة الاجتماعية كعامل من عوامل مساعدة المجند على التكيف مع حياتهم الجديدة.

لأن انتقالهم المفاجئ من الجو الأسري إلى حياة جديدة أساسها النظام والطاعة من دواعي الشعور بالحرمان العاطفي ولاسيما في الشهور الأولى حيث يفكر المجند بأسرته لذلك فإنه يعيش صراعات نفسية حادة بين واجبه المقدس نحو وطنه وواجباته الأسرية والتزاماته نحوها.

وهنا يظهر الدور الفاعل لمكاتب الخدمة الاجتماعية التي عليها أن تسبر أغوار نفس الجندي وتتعرف على مخاوفه والانفعالات التي تثقل ظهر الجندي وتقلل من فاعليته ونشاطه واستعداده السريعة للتدريب والاندماج في الجماعة.

ولذلك يجب تهيئة الجو البعيد عن الخوف والرهبة للمجند لكي يتقابل للفحص الاجتماعي وليتحدث إليه بصراحة متناهية لأن كثيراً من حالات الهروب والنزعات العدوانية ترجع إلى انعدام القدرة على التكيف مع البيئة الجديدة.

وفي اللحظة التي يشعر فيها الجندي بأن هناك يداً تساعده وتتعاون معه لتخلصه من الشحنات الانفعالية الناتجة عن انعزاله في بيئته التي قضى فيها طفولته وتخفيف المسؤوليات الجديدة التي يشعر بها نحو أسرته في تلك اللحظة يزداد تعلقه برفاقه الجدد ويزداد إيمانه بأهميته القصوى كعضو في جماعته الجديدة فيزداد إيمانه برسالته نحو وطنه فيصبح أكثر إنتاجاً وأيسر توجيهاً وأسلس قياداً عن ذي قبل.

ويجب أن تستمر الرعاية الاجتماعية للمجند ولأسرته طوال فترة خدمته كما يجب أن تكون جميع الأحاديث بين الجندي والفحص الاجتماعي سرية تماماً.

أما الاضطرابات النفسية التي تصيب المحارب فهي ما يسمى عصاب الحرب.

عصاب الحرب :

هو حالة من الاضطراب الانفعالي الشديد يظهر عند فرد يتأثر صدمة شديدة مفاجئة تصيبه وهو في ظروف الحرب أو المعركة.

بدايته : أعراضه المبكرة :

أرق- ضعف في الشهية- حساسية شديدة تجاه الأصوات والمؤثرات الأخرى المفاجئة- أحلام النوم المفزعة- تكرار الاستفاقة ليلاً (النوم المضطرب)- الشعور بالقشعريرة والبرد.

أما إذا استحكم فيظهر على شكل- قلق حاد- انفعال شديد متكرر- ثورات حادة في الاستجابة إلى الأصوات المفاجئة- تظهر عند بعضهم أعمال عدوانية تنسى بعد انقضاء فترة وقوعها- ضعف في الاهتمام بالشروط المحيطة في الإحاطة بها وفهمها- ظهور مخاوف مرضية غير محددة- وساوس وأفعال قهرية وبعض الحركات الآلية في الوجه والأطراف- اضطرابات في ضربات القلب وارتفاع في ضغط الدم.

إن مثل هذه الأعراض توجد أيضاً عند بعض المدنيين عندما يصابون بحالات مفاجئة (حريق أو فقد عزيز- أو تصادم شديد بين سيارات أو هزة أرضية وتهدم أبنية فإذا استمرت هذه الأعراض يمكن أن تحدث من عصاب يدعى عصاب الكارثة.

تحليل عصاب الحرب :

سببه: يأتي الإنسان من بيئة وحرية في النظام والعمل والشعور بالمكانة الشخصية والمتع اليومية لينضم إلى حياة من نوع آخر فهو الآن خاضع لرؤساء وأشكال كثيرة من سلوكه مقيدة وفيه الكثير من التعب والإرهاق ومحاول التكيف تساعده مقومات شخصيته وبعض خبراته ولكن الضعف في القوى الداخلية يمكن أن ينتهي إلى نوع من الخلعلة والتصدع فيغدو السلوك مشتتاً.

مظاهر الصحة النفسية .

(الصحة النفسية تعني عمل آليات الجسم بانتظام والحفاظ على عملية التوازن بين مطالب محيطي الشخصية الخارجي والداخلي). إنها تعني ما يلي:

١- استخدام الفرد لقدراته مشفوعاً بالحماسة والرضا عن النفس.

٢- رغبته في إنجاز أعمال لها قيمتها معتمداً على نفسه.

(الاعتماد على النفس دون انتظار العون من الآخرين في قضاء أعماله).

٣- القدرة على التكيف مع أصدقائه ورؤسائه.

٤- القدرة على التصدي للمواقف الصعبة بأفكار إيجابية وبروح طموحة.

٥- أن يستجمع قواه لحل مشكلة اعترضت طريقه.

٦- رغبته في العطاء والأخذ معاً.

هذا وتتصف معهود القيادة على أن يكون أفرادها على درجة عالية من اللياقة الجسمية والنفسية ورغم ذلك فإن الكثيرين من أفرادها يصابون بالانهيارات النفسية والسبب هو عدم التكيف، بمعنى أن بعض الاضطرابات العصبية كامنة لا تظهر عادة إلا في الأوقات الحرجة وصدمات تفير الضغط ومثل هؤلاء من الصعب ضربتهم في فحوصات الانتساب أو اللياقة النفسية.

أن المصاب بالسل يمكن الكشف عليه بسهولة ومعرفته، أما المريض نفسياً فلابد من مراقبته طويلاً لمعرفة سلوكه وتصرفه، وأكبر ما يميز ذلك من خلال المناورات والعمليات القتالية التي تعين على استكمال التخصص، والحكم على نفسيته بصورة نهائية.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الرابع

تصنيف المهارات والقدرات

في القوات المسلحة

Damascus University

إن وضع أشخاص اكتشفت مهاراتهم في مجال معين في مهن غير المهن التي مارسوها وبرزوا فيها يعد بمثابة تبديد للقدرة البشرية في الحرب الفعلية إن لم يفوقها. ففي الحرب العالمية الأولى مثلاً وضعت القيادة البريطانية أصحاب المهارات الفنية في الخطوط الأمامية كمقاتلين عاديين، وعندما احتاجت فيما بعد إلى اختصاصاتهم وجدت نفسها أنها ازهقت أرواح مختصين قلائل كان في الإمكان توفيرهم للاستفادة منهم في قطاعات مهنية عسكرية فوقعت في عجز فني مريع.

ذلك أن الوظائف العسكرية متنوعة تبعد بالمئات منها ما يرتبط بالقتال ويختص بالخدمة العسكرية دون غيرها، ومنها ما يدور حول القتال دون أن يرتبط به مباشرة وعلى هذا فلا يجوز أن يعين في الوظائف العسكرية إلا الأفراد الذين تتوافر لديهم القدرات والاستعدادات العقلية التي تمكنهم من القيام بوظائفهم بنجاعة وسرعة .

إن تصنيف المهارات والقدرات للأفراد يجب أن يتم منذ البداية بشكل علمي مدروس إن مثل هذا التصنيف يختصر زمن التدريب ويزيد من المردود ويقلل الفترة المخصصة للتعلم .

إن وضع العسكري في المهنة التي لا تتفق وقدراته العقلية ومهارته معناه عدم الاستفادة منه كعسكري يقاتل ومن جهة أخرى إضعاف مردوده في العمل بسبب عجزه عن التكيف مع المهنة المفروضة عليه وما يرافق عدم التكيف من شعور بالنقص وكبت للحوافز الشخصية بخاصة إذا كانت المهنة تحتاج إلى قدرات عقلية ومهارات أعلى مما يمتلكه وإنه من الأهمية بمكان أن نتدارك خطأ التعيين الخاطئ لما يترتب عليه من نتائج نفسية ومادية وخيمة.

اختلاف القدرات والقابليات العقلية عند العسكريين :

يختلف الأفراد في القدرة على التعلم مثل اختلافهم في سماتهم وطول أجسامهم وطباعهم وقد يكون بعضهم أقدر على التعلم بثلاثة أضعاف من بعضهم الآخر. وعلى الرغم من الاختلاف في القدرات فإن أكثر الناس تتوزع على حدود الوسط كما هو الحال في منحنى ابنفهاوس في توزيع الذكاء.

إن في مقدرة بعض العسكريين مثلاً أن يتعلموا خلال ثمانية أسابيع استخدام رموز اللاسلكي بحيث يتقنون إرسال واستقبال الرموز بمعدل (١٦) كلمة في الدقيقة في حين يحتاج آخرون عما بلغه الأولون عما لا يقل عن خمسة أشهر أو ستة من هذه الأمثلة يتضح لنا أهمية تفهم مشكلة القابليات العقلية وطرائق قياسها. فالقابليات العقلية هي القدرة على التعلم بسرعة وإتقان. وبتعبير آخر هي القدرة على الأداء والإنجاز السريع والدقيق بآن واحد إذا ما أعطي صاحب القدرة الفرصة على التعلم. إن الإتقان والسرعة شيئان مهمان في التعلم إذ إن العسكري بحاجة إلى أن يتقن بسرعة المهارة التي يتعلمها وبالطبع هناك فروق فردية بين الأفراد في السرعة والإتقان يلاحظها كل قائد في عملية التدريب. فالمدرب في كلية الطيران كثيراً ما يجد بعض الطلاب يستطيعون أن يطيروا بمفردهم بعد عشر ساعات من التدريب مع المدرب في حين يحتاج غيرهم إلى ١٤ أو ٢٠ ساعة فالسرعة على التعلم من الأمور الهامة جداً في المهن العسكرية بخاصة عندما تكون الأمة في حاجة ماسة إلى خطة استراتيجية عسكرية لابد من تنفيذها خلال مدة معينة من الزمن أو عندما تكون بحاجة إلى إعداد سريع لجيشها ولكن هذا كله لا يجيز للقوات المسلحة الاستغناء عن الأفراد بطيئي التعلم ولاسيما إذا كان هناك نقص في القدرة البشرية إذ توجد الكثير من المهن العسكرية تحتاج إلى خصائص وقابليات أخرى لا

تستوجب سرعة الأداء كشرط لازم. ومثل هذه المهن يمكن أن تكون مجالات جيدة وملائمة للأشخاص بطيئي التعلم.

بالإضافة إلى كل ما تقدم هناك فروق أخرى بين البشر فروق في دقة الاستجابة وسرعتها. إن السائق العادي ذا المهارة المقبولة أو المتوسطة يحتاج مثلاً إلى نصف ثانية أو ثلاثة أرباع لوضع قدميه على/كوابح السيارة (الفرامل) لحظة رؤيته لإشارة الوقوف الضوئية الحمراء، أي أن الزمن للاستجابة يتراوح بين النصف إلى ٤/٣ الثانية بينما نجد أفراداً آخرين يحتاجون إلى ثانية كاملة، وعلى هذا فإن مدة الاستجابة هذه هامة أيضاً بالنسبة للرامي على الرشاش والأسلحة الفردية وفي كثير من الأحيان وفي بعض الظروف التعبوية يقدر زمن لا يتجاوز الثانية مصير حياة العسكري. ولما كانت مهنة الطيران الحربي بطبيعتها تقيم وزناً كبيراً لزمن الاستجابة فإن فحوص اللياقة النفسية يجب أن تحتوي على اختبار زمن الاستجابة للمتقدمين إلى هذا السلوك وهذا ما نجده في جميع الجيوش الراقية حيث يخضع المتقدم إلى فحوص نفسية معقدة مثل اختبارات الترابط الحركي- البصري والترابط أو التوافق الحركي اليدوي وما إلى ذلك حيث تتراوح الفروق الفردية في الاستجابة الصحيحة بين ١,٣- ٤,٨ ثوان. وتتحدد صلاحية الفحوص للطيران في حدود زمن الاستجابة وفي حدود الأخطاء المرتكبة.

كذلك فإن الأفراد يختلفون في سرعة أو دقة الأداء في الإنجاز ففي مقدور وقريب ما أن يدقق لاعبة الخدمة للسرعة بعدة خمس دقائق مثلاً في حين يحتاج آخر إلى ٢٠ دقيقة. وبعض الرجال يستطيعون رؤية هدف وتقدير بعده في الظلام من على بعد ٤٠٠ يارد. في حين يعجز آخرون عن تقدير بعد هدف في الظلام على مسافة ٢٠٠ يارد منهم إن هذه الملاحظات تؤكد ضرورة حسن اختيار الرصاد.

ومن ناحية أخرى هناك أيضاً فروق بين العسكريين تتجاوز الدقة وحسن الأداء في التعلم لتشمل الاهتمامات والميول والدوافع. إن الحوافز هي التي تقرر في الواقع دقة العمل وسرعة الإنجاز. فالتدريب الذي لا يصاحبه حوافز نحو التعلم لا يمكن بأي حال أن يحقق مهارة لدى العسكري ذلك لأن الدوافع والاهتمامات هما اللتان تدفعان الفرد لأن يتذكر ويستفيد من الخبرات وبالتالي هما اللتان تدفعان إلى التصميم على حل المشكلات الجديدة.

لقد ثبت في اختبارات الانتقاء والاصطفاء المهني التي أجريت في المركز النفسي التابع للفرع السيكولوجي في قيادة الجيش الأمريكي أن الأفراد الذين كان لديهم خبرة سابقة في مهنة شبيهة قد حصلوا على درجات جيدة في الروائز النفسية الخاصة بسير الصلاحية لهذه المهنة وكذلك في التدريب العملي، حيث كانوا من المؤهلين في هذا الاختصاص بسبب وجود اهتمامات ودوافع مسبقة هيأت لهم سبل النجاح.

ولقد وجد أيضاً بنتيجة البحث أن الأفراد المثقفين بشكل عام تتوافر لديهم اهتمامات بأعمالهم ووظائفهم شريطة استغلال قابلياتهم وقدراتهم استغلالاً سليماً وصحيحاً.

هناك فكرة خاطئة يحملها معظم القادة بالنسبة للمستدين حملة الشهادات العليا خريجي الجامعات فيعتبرون أن هؤلاء يتصفون بمجموعة في السلوك وضعف في الشخصية نتيجة عدم صبرهم بمشكلات الحياة وعدم تعرضهم للأزمات الخطيرة لذلك يرون في القسوة أو الصرامة في المعاملة الدواء الوحيد الذي يمكن أن يصقل شخصياتهم ويعيد بناء سلوكهم وشخصياتهم وأن يطوعهم على متطلبات الواجبات العسكرية. أن هذا الحل ليس بالحل المنشود. إن المطلوب هو إعطاء

هؤلاء الشباب الفرص الإيجابية للتعبير عن قدراتهم واستثمارها إلى أقصى حدودها وذلك باختيار الوظائف والمهن العسكرية التي تثير اهتماماتهم وتوافقهم. فالقوات المسلحة بأمس الحاجة إلى إعدادهم إعداداً يتفق مع اهتماماتهم لأنه السبيل الوحيد الذي يتفق مع قدراتهم واستعداداتهم وقابلياتهم. وإذا لم تأخذ بهذا المبدأ السيكولوجي الهام فتمنعهم من اختيار الاختصاص الذي ينسجم مع قابلياتهم واهتماماتهم أو أن تدفعهم قسراً على العمل بما لا يتفق مع ميولهم ولا مع قدراتهم على الاحتمال فإننا بهذا الإجراء نكون قد سوغنا قدراتهم وخسرنا إنتاجهم ومردودهم. لهذا السبب ظهرت أهمية رموز القدرات البشرية والاستعدادات والميول وتوزيعها على المهن العسكرية المتوافقة معها في الجيوش الحديثة.

وثمة ناحية أخرى. إن توافر قدرات عقلية ممتازة قد لا تخلق من العسكري قائداً ناجحاً إذ على الرغم مما للذكاء من أهمية في القيادة الناجحة إلا أنه ليس هو كل شيء وكثيراً ما نرى قائدين لهما الذكاء نفسه إلا أن قيادتهما مختلفة. فالأول محبوب من قبل أفراد وحدته بسبب اتزانه والسماحة مع نفسه وموضوعية تفكيره وحرية تعبيره وتفهمه لمشكلات أفراده واهتمامه بمصالحهم، في حين نجد الآخر على الرغم من سعيه لجلب افراده وخلق روح الطاعة في نفوسهم إلا أنه يخفق في خلق الروابط الأخوية بين الأفراد. فالأول بلا شك قائد أقدر على قيادة أفراده من الثاني. إن القيادة في مفهومها العميق تقاس بالنوعية والكيف وهي مسؤولية ضخمة بكل ما لهذه الكلمة من معنى وتستلزم فهماً عميقاً بفن القيادة.

القدرات العقلية، معناها وطرق قياسها:

تحدثنا في الصفحات السابقة عن أهمية الانتقاء والتوجيه في القوات المسلحة وتحدثنا عن تصنيف القدرات والقابليات العقلية ومن ثم عن توزيعها على المهن

المعرفية الملائمة لهذه القدرات يقع علينا أن نتكلم عن معنى هذه القدرات وأن نعاين الروائز التي تقيسها لنفهم بصورة واضحة مدلولها.

حينما نتكلم عن القدرة العقلية يجدر بنا في بادئ الأمر أن نعرفها، والتعريف هنا بشكل خاص تعريف يرتبط بآثار القدرة أي أنه تعريف أجرائي.

إن القدرة كصفة من الصفات النفسية تمتاز بخاصية المدلول الإجمالي أو التكوين الفرضي. ذلك لأنها لا تخضع للملاحظة المباشرة. إننا نلمسها ونستدل عليها من آثارها ونتائجها تماماً كما نستدل على وجود تيار كهربائي من آثاره، أي من العلاقة بين مظاهر الأداء المختلفة والأداء هنا هو السلوك الملاحظ وبوساطته نتعرف على أنواع القدرات وكي نستطيع تقويم أداء فرد ما تقويماً صحيحاً كان لابد من ابتكار أداة موضوعية. هذه الأداة نسميها عادة بالاختبارات النفسية والاختبارات النفسية هي مجموعة من المشكلات الموضعة بطريقة خاصة لقياس أداء الأفراد في موضوع معين وبعد تطبيق الاختبارات هذه نحصل على درجات مختلفة للأفراد. وهنا نبحث عن مدى العلاقة بين الارتباط. وهذا الارتباط هو مقياس يقيس العلاقة بين قيمتين متغيرتين، فإذا حصلنا على مجموعة من الروائز العقلية يمكننا استخلاص جدول لمعاملات الارتباط. وكما نسميها علمياً مصفوفة معاملات الارتباط. وهذه المصفوفة تدلنا على العلاقة الكائنة بين كل اختبار وآخر.

إن معامل الارتباط يمكننا من الكشف عن العلاقة بين اختبارين أكثر من الاختبارات التي تقيس القدرات. بين متغير وآخر.

العامل والقدرة :

من الواجب أن نفرق بين العامل والقدرة فالعامل هو منطلق إحصائي للتصنيف واستعماله لا ينحصر في العلوم النفسية فقط بل يشمل بقية العلوم وإن كان قد تطور على أيدي علماء النفس وناحية هامة لابد من الإشارة إليها هنا هي أن التحليل العاملي لا يسعفنا بأية دلالة أو إيضاح عن العامل أو العوامل في طبيعتها السيكولوجية فالشيء الذي يدلنا عليه فقط هو وجود عامل يشترك في مجموعة من الاختبارات أو نفي وجوده وكذلك الأمر نسبة وجوده أي مقدار تشبع الاختبارات بالعامل. فالتحليل العاملي مثلاً أظهر لنا وجود عامل مشترك بين مجموعة من الاختبارات هو نجاح في المهارة اليدوية اللازمة لحل بعض المشكلات الميكانيكية وبذلك نسمي هذا العامل المشترك العامل الميكانيكي أو القدرة الميكانيكية وبذلك نستطيع القول إن القدرات هي عوامل ولكن ليس عامل قدرة.

ولتوضيح هذا القول نضرب المثال التالي: إن العزف على البيانو يختلف عن العزف على الكمان أو الآلات النحاسية. وعلى الرغم من اختلاف كل موسيقى عن غيرها تتطلب مهارة من نوع خاص إلا أن القدرة على العزف على أية آلة موسيقية فيه شيء مشترك هام هو القدرة الفنية الموسيقية وتتصف هذه القدرة بحفظ الألحان والسمع المرهف والتمييز بين مختلف الألحان والدقة في التفريق الزمني إلخ. فالقدرة الموسيقية هي التي تساعد أي عازف على إجادة العزف على أية آلة.

لقد اكتشفت هذه القدرة إحصائياً فكانت عاملاً ثم تبين في أثناء البحث عن وظيفة الاختبارات إنها تشترك مع أي مهارة موسيقية. وبتعبير آخر تبين أنها ضرورية ولازمة لكل مهارة موسيقية لذلك سميت بالقدرة الموسيقية.

القدرة العملية اللازمة للتدريب الفني بصورة عامة وللقوات المسلحة بشكل خاص:

يرى (سبيرمان) أن النشاط العقلي بجميع مظاهره يعزى إلى ما أسماه بالعامل العام (ع) أو (ج) ولقد قام تلامذته من أمثال وليم الكسندر بتعارب كان لها الفضل الكبير في تقدم أبحاث القدرات العقلية تضمنت تجارب الكسندر أنواعاً مختلفة من الاختبارات بعضها لفظي وبعضها الآخر عملي وغير لفظي طبقت على عينات مختلفة من الأفراد وانتهت إلى إثبات وجود ثلاثة عوامل:

١- العامل العام (ع) أو الذكاء وهو نفسه الذي توصل إليه سبيرمان.

٢- عامل لفظي يشترك في الاختبارات التي تعتمد على الألفاظ.

٣- ثم هناك عامل آخر ميكانيكي أسماه بالعامل العملي (ج) ويدخل في الاختبارات العملية والاختبارات الورقية غير اللفظية.

لقد أثار هذا العامل كثيراً من النقاش بين الباحثين ويعود هذا في مجمله إلى أن الكسندر نفسه كان يفسر هذا العامل تفسيرات متباينة فقد أسماه بالعامل الميكانيكي وتارة أخرى بالعامل الميكانيكي. وفي نهاية تفسيراته له جمع العاملين معاً مما دفع غيره من الباحثين إلى استقصاء أمر هذا العامل الميكانيكي.

القدرة الميكانيكية :

تعد القدرة الميكانيكية من القدرات الهامة في القوات المسلحة ويمكن القول إن وجود هذه القدرة في الفرد هي شرط لابد منه لإشغال أية وظيفة ميدانية، ومعروف أن جميع الأسلحة على اختلاف أنواعها تحتاج إلى قدرة ميكانيكية لإتقان التدريب عليها. إن أول الدراسات التي كشفت عن ماهية الاستعداد الميكانيكي

هي الدراسة التي قام بها كوكس في انكلترا وبرتسون ومساعدوه في جامعة مينسوتا وقد اختلفت طريقة كوكس عن طريقة برتسون في الكشف عن هذا الاستعداد ثم جاء هارل (HARL) فوضع طبيعة القدرة الميكانيكية فأعدت ٣٢ اختباراً منها خمسة عشر اختباراً يدوياً تضمن بعضها مجموعة اختبارات مينسوتا. وقد استخلص هارل بنتيجة دراسته خمسة عوامل.

إن هناك ثلاثة منها تلتصق بالمهارة الميكانيكية. وهذه العوامل الثلاثة هي:

١- عامل مكاني في اختبارات الورق والتعليم مثل اختبار عدد المكعبات ولوحة الأشغال الورقية هذا العامل واضح عند الأفراد المعروفين بقدرتهم على تصور المكان بصرياً.

٢- عامل المهارة اليدوية مثل اختبارات لوحة المسامير واختبارات التنقيط والتصميم.

٣- عامل إدراكي ويدخل في اختبارات الصور وتجميع الأدوات هذا العامل يعتمد السرعة والدقة في إدراك التفاصيل المختلفة في الأشكال. هذا وقد احتلت الاختبارات الميكانيكية منزلة كبيرة في أبحاث القياس النفسي إلى أن أدخل جيلفورد عام ١٩٤٨ (نتيجة أبحاثه عن سلاح الطيران الأمريكي) عامل التصور البصري للمكان وعامل المعلومات الميكانيكية ثم طبق آخر ما وصل إليه التحليل العاملي على نتائج الاختبارات فخلص إلى أن القدرة الميكانيكية هي قدرة مركبة من عدة عوامل هي: عامل التصور البصري للمكان. وعامل السرعة في الإدراك والدقة فيه. وأخيراً عامل المعلومات الميكانيكية، ويبدو هذا النوع من القدرات من أصعب الأنواع، لأنه يمارس في الغالب بشكل فردي، ولأنه يتطلب الانتقال الحركي

الزمني- وليس المكاني- من جزء إلى آخر وفق معطيات تذكرية وحفظية وسمعية تنسجم زمانياً مع مفهوم الحركة الكلية (٢٢- ١٨٠).

القدرة الكتابية :

ان حاجة المؤسسات التجارية والصناعية والقوات المسلحة إلى كتبة ومحاسبين وإداريين أكفاء في الوظائف الإدارية والحسابية هي التي دفعت الباحثين إلى تحليل تلك الوظائف وتحديد القدرات والمهارات التي تحتاجها وبالتالي دفعهم وانتقاء الأفراد الذين يصلحون لإشغال هذه الوظائف.

إن تحليل الوظيفة أو العمل الذي نعنيه يقوم على الوصف الكامل لهذا العمل في جميع مراحله ومن ثم تحديد الخصائص العقلية والمهارات اللازمة له. ويعود الفضل في إلقاء أضواء على القدرات الكتابية إلى أبحاث مكتب التوظيف في الولايات المتحدة الأمريكية إذ مد بمجموعة من الاختبارات كاختبار مينسوتا للأعمال الكتابية واختبار النقر والتنقيط لمالك موبري التي طبقها على عينات من الموظفين وقورنت النتائج بإنتاجهم بغرض الوقوف على صدق الاختبارات ثم جاءت دراسة هيئة تحليل المهن في الولايات المتحدة فوضعت عوامل القدرة الكتابية التي تفرق بين عاملين جوهريين في النجاح بالوظائف الكتابية وهذان العاملان هما:

١- عامل سرعة إدراك التشابه العددي واللغوي وسمي هذا العامل العامل (P) الذي يقرر الاستعداد الكتابي.

٢- عامل السرعة والدقة في إدراك تفاصيل الرسوم والأشكال وهذا العامل هو الذي كشفه ثورستون وأطلق عليه الرمز (II).

بعد هذا العرض الذي قدمناه لو عاينا العوامل العقلية التي تحدد النجاح في التدريب الفني في وظائف القوات المسلحة على اختلاف أنواعها لوجدنا أنها تحتاج إلى العوامل التالية:

١ – عامل الإدراك المكاني:

يرتبط هذا العامل بإدراك وتنظيم وتفسير الموضوعات التي تتصف بعلاقات مكانية ويعتمد ذلك على التصور البصري المكاني. نرى هذا العامل في اختبارات تكملة الأشكال أو تحديد الأشكال أو التعرف عليها في وضع مائل أو منحرف أو معكوس أو مقلوب وإلى ذلك من أشكال.

٢ – عامل الفهم الميكانيكي: (M)

يقوم هذا العامل على إدراك العمليات المرتبطة ببعضها ارتباطاً ميكانيكياً وهو لا يقتصر فقط على فهم وإدراك العلاقة الحركية بل أيضاً على المهارة في تركيب الأجزاء وتحليل تركيبها بعد إدراك ماهيتها.

إن العامل يتطلب شيئاً من المهارة لاكتشاف آلية الحركة في أداة ما فالأفراد الذين يحصلون على درجات عالية في الاختبارات المشبعة بالعامل الميكانيكي يتصفون بالقدرة على فك وتركيب الأجهزة بسرعة وفهم آلية الحركة في الأجهزة وارتباطات الأجزاء وعلاقاتها فيما بينها.

ويجب أن نشير إلى أن هذا العامل يتأثر تأثراً كبيراً بالعامل البيئي المحيط بالفرد كما أنه يتأثر بالثقافة وخاصة الثقافة الصناعية.

٣- عامل الإدراك (السرعة الإدراكية):

وهو المهارة في تحديد الموضوع الخارجي بسرعة ودقة إن الأفراد الذين ينجحون في الاختبارات التي تقيس هذا العامل يتصفون بسرعة إدراك الموضوعات الخارجية وتمييز الأشكال المتشابهة أو المختلفة.

تحتل مثل هذه الاختبارات منزلة كبيرة في اختيار الطيارين نظراً لما تتطلبه هذه المهنة من قوة في الملاحظة ودقة في إدراك تفاصيل الأشياء والتمييز بين الموضوعات المتشابهة.

٤- العامل الكتابي:

يتعلق هذا العامل بالمهارة والدقة في سرعة إدراك الاختلاف والتشابه في الأعداد والحروف وقد وضعت اختبارات كثيرة لقياس هذا العامل نشرها على سبيل المثال لا الحصر معهد علم النفس الصناعي بلندن وهيئة التعيين والتوظيف في الولايات المتحدة الامريكية.

طرائق قياس القدرات المختلفة:

هناك الكثير من الاختبارات التي تقيس القدرات التي شرحناها ومهما يكن نوع الاختبار المطبق فلا يكون اختباراً موثوقاً به ويعتمد إلا إذا توافرت فيه الشروط التالية:

١- أن يكون للاختبار خاصية التمييز بين الأفراد فيما يقيسه.

٢- أن يكون ثابتاً بمعنى أنه لو طبق أكثر من مرة في مدة ليست قريبة ولا بعيدة على الفرد لأعطى النتائج نفسها.

٣- ان يكون صادقاً بمعنى أن يقيس القدرة التي تنوي قياسها.

إن الشروط التي رأيناها تسمى عادة الثوابت الإحصائية للاختبارات ويجب هنا أن نشير إلى ناحية هامة تتعلق بتطبيق الاختبارات واستعمالاتها بشكل عام. فالاختبار عادة يوضع لبيئة معينة فتأتي معاييره ومستوياته صالحة فقط لقياس قدرات الأفراد في تلك البيئة. فلا يجوز أبداً تطبيق الاختبار على بيئة أخرى بالمعايير والمستويات نفسها والا نكون قد وقعنا في مزالق الخطأ واللاموضوعية في القياس والنتائج، والذي يجب عمله هو أن نقنن الاختبارات ونعيرها على البيئة التي نرغب قياس قدرات أفرادها ونستخرج ثوابتها الإحصائية وبذلك يمكن تطبيقها.

الفصل الخامس

الانضباط العسكري

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

من الحقائق الثابتة في الحياة العسكرية، تلازم الانضباط العسكري مع الشخصية العسكرية، بمعنى أنه لا يمكن أن يكون هناك انضباط عسكري ما لم يكن الجندي قد اكتسب شخصية عسكرية، من خلال حياته الجديدة في صفوف القوات المسلحة، إن الحياة العسكرية هي مجموعة من التجارب والخبرات ومجموعة اللحظات ذات الطابع الدرامي ولذا فإنها تختلف عن الحياة المدنية للسائلة الفاعلة إن الشخصية العسكرية التي تتطلبها الحياة العسكرية إنما هي مجموعة الاستعدادات النفسية والصفات الجسدية الخاصة والقدرات العقلية والتي تبلورت في نمط عسكري متكامل ناجح.

وتشمل مجموعة الصفات النفسية العسكرية التي حددت نتيجة الخبرة المباشرة بالأمر العسكري ما يلي:

آ- قوة الشخصية وسيطرتها على الآخرين.

ب- الجرأة والإقدام.

جـ- المبادرة والمحاكمة العقلية للمواقف الطارئة.

د- أهلية القيادة.

هـ- ضبط النفس.

و- الوعي السلوكي الحي والشرف العسكري.

ز- إطاعة الأوامر وتنفيذ التعليمات حرفياً.

ح- النظام والدقة وأسس العمل.

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول إن الشخصية العسكرية إنما هي تكامل الصفات السابقة وتآزرها بشكل يؤدي إلى سلوك عسكري ناجح وإلى توافق والتزام جدي وإيجابي يكون قدوة للآخرين.

الانضباط والجاهزية القتالية:

يعد الانضباط العسكري من أهم أسس القوة والجاهزية القتالية للجيوش. وتزداد أهمية هذا الانضباط عامة في الظروف المعاصرة. بسبب التغييرات النوعية التي حدثت في الميدان العسكري فالسلاح النووي والتكتيك القتالي المعقد، والأشكال الجديدة للعمليات القتالية. كل ذلك وسع من نطاق واجبات المقاتلين وزاد من مسؤولية كل منهم تجاه تنفيذ الأوامر وتجاه النشاط الفعال في ساحة المعركة. إن الثورة التي حدثت في الميدان العسكري تتطلب توافر الانضباط الرفيع، وبالتالي العمل المتواتر، والاستخدام الجيد للتكتيك القتالي والأسلحة والتقيد بالزمن والنظام والتضحية عند تنفيذ الواجب العسكري.

إن الوسائط القتالية المعاصرة لا تعمل الآن بيد مقاتل واحد بل بيد العديد من المقاتلين، وهذا ما يتطلب الدقة الكاملة والطاعة التامة والمهارة القتالية العالية من كل مقاتل والتعاون المتبادل بين أفراد الوحدة. فإطلاق الصواريخ العابر للقارات يتطلب التعاون والتنسيق والنشاط الدقيق والجيد للعديد من الجنود وصف الضباط والضباط من مختلف الاختصاصات. وإذا ما قام ولو واحد منهم بارتكاب أي خطأ أو تهاون في تنفيذ المهمة القتالية فإن ذلك يؤدي إلى إخفاق المهمة القتالية كلها. ثم إن النظام الرفيع والانضباط الجيد ضروريان أيضاً عند استخدام الدبابات والطائرات ووسائط الإثارة وغيرها من الأسلحة.

وفي المعركة المعاصرة يجد المقاتلون أنفسهم مضطرين للعمل في مناطق الصدام المباشر واجتياز المناطق الملوثة، وهذا ما يتطلب منهم جميع قواهم الجسدية والمعنوية والنظام والانضباط الجيدين، والاستعداد للتضحية والتفاني بالقوى والدماء وحتى بالحياة، وتنفيذ أية مهمة قتالية.

ولا تقتصر أهمية الانضباط على ظروف الحرب والقتال، وإنما تبرز أيضاً في الظروف السلمية، فبدون الانضباط والنظام لا يمكن تحقيق أي نجاح في مجال الإعداد السياسي والقتالي. ولا يمكن تأمين الجاهزية القتالية، إضافة إلى أن الضبط ميزة من مزايا التفكير العلمي الذي يجب أن تتميز به الشخصية الإنسانية في العصر الحاضر.

الفرد وخصائصه النفسية:

الفرد هو ذلك الإنسان الذي ينظر إليه كنتاج للتأثير الاجتماعي وكعضو في جماعة وبالتالي كعامل للوعي ومعبر عنه. وهو جانب من الجوانب المميزة لشخصية الإنسان (فرديتها)، فعلى الرغم من أن الفرد يشبه بقية الأفراد ويشترك معهم في بعض الجوانب، إلا أنه لا يشبه أحداً في جوانب أخرى، فلكل منا طبعه الخاص ومزاجه المعين وانفعالاته المميزة... الخ، وهذه الجوانب أو الخصائص النفسية هي التي تشكل صفة (الفرد) أو الفردية وسنتعرض إلى بعض خصائص الفرد النفسية فيما يلي:

آ- الطبع :

وهو مزيج معين من الصفات والخصائص النفسية الجوهرية يتميز به الفرد، وتحدد هذه الخصائص منحى سلوكه في الظروف الحياتية المعينة.

ب- المزاج :

وهو خاصة من خواص الشخصية تبرز فيها الصفات الديناميكية لنشاطها النفسي وللمزاج أشكال أربعة: الصفراوي، والدموي، والبلغمي، والسوداوي. ولا يمكن أن يكون لفرد من اثنين نماذج واحد من الخصائص النفسية المذكورة فشخصية الإنسان لا مثيل لها بفرديتها. لذا فالشخصية هي قبل كل شيء إنسان حي معين بخصائصه الناشئة عن مشاركته النشطة في حياة المجتمع والجماعة وعن التربية والتعليم.

وتتكون في المجتمع الملامح والصفات التالية للشخصية الإنسانية: الكفاءات والصفات الأخلاقية والجمالية، والخاصات، والمصالح، الميل العليا والاتجاهات، مستوى التأهيل، الخبرة الاجتماعية والنظر إلى الإنسان كشخصية: هو وسيلة دفاعية ضد النظرة المحددة الضيقة في دراسة المقاتل، وضد محاولات تقويمه من خلال سمة واحدة مميزة له، دون أخذ جملة صفات شخصية أخرى بعين الاعتبار.

وعند دراستنا لخاصية نفسية معينة، وحالة المقاتل، أو لملامحه لا يحق لنا دراسة الخاصية بصورة منفصلة عن بنية الشخصية ككل. والخطأ محتمل ووارد إذا ما حكمنا على صلاحية المقاتل للخدمة العسكرية الدائمة من خلال الكشف عن صفاته النفسية والجسدية فقط كسرعة رد فعله وطابع ذاكرته، وقدرته على تمييز الألوان وما شابه ذلك دون أن نأخذ في الحسبان الصفات والمميزات الأصلية لشخصيته ولأوصافه الاجتماعية.

إن العوامل الرئيسة الخاصة في تكوين وعي الإنسان ونفسيته هي الشروط المادية لحياة الناس ولاسيما القوى المنتجة والعلاقات الإنتاجية، وتحدد العلاقات طابع النظام الاجتماعي وتوزيع الأفراد في عملية الإنتاج، وتكوّن في آن واحد

الخصائص والملامح النموذجية في ايديولوجية الناس ونفسياتهم ووعيهم. ومع تبدل هذه العلاقات تتغير النظرات الأخلاقية عندهم وتتغير عاداتهم وتقاليدهم ومبادئهم وقواعد سلوكهم وتصوراتهم للخير والشر.

وتلعب الحياة الروحية للمجتمع بالإضافة إلى الوعي الاجتماعي والايديولوجيا والسيكولوجيا الاجتماعية دوراً كبيراً في تكوين الشخصية ووعيها الفردي. ولا يؤثر المجتمع في كل فرد تأثيراً مباشراً فحسب، بل ويؤثر فيه بصورة غير مباشرة أيضاً.

وبين الفرد والمجتمع يوجد دائماً وسط اجتماعي إلخاصي، هو ما يدعى بالجماعة الصغيرة. والجماعة الصغيرة الأولى هي الأقرب إلى شخصية المقاتل وهي التي تحدد المواقف المختلفة ولاسيما الفكرية منها، والمتطلبات الاجتماعية الموجهة إلى الفرد. وتعبير (الجماعة) يطلق فقط على الفئة المنظمة من الناس المتطلعة إلى تحقيق أهداف اجتماعية معينة، والجماعة العسكرية وحدة عالية التنظيم تتألف من الناس المسلحين، وهي معدة من أجل الدفاع عن الوطن وحمايته من المعتدين.

الروح الانضباطية وتصنيف المقاتلين وفقاً لمعاييرها :

تعد الروح الانضباطية أهم حلقة في الشروط الداخلية لسلوك المقاتل وأهم سمة من صفاته المميزة. وتتحدد هذه الروح بالعوامل التالية:

آ- الجهود المبذولة عند تنفيذ مهام الخدمة وواجباتها.

ب- طابع التصرفات المرتكبة (السلوك).

ج- الشجاعة في الإعداد السياسي والقتالي.

د- المشاركة في الحياة الاجتماعية للوحدة (الفصيلة).

وتبعاً لتناسب هذه المعايير الأربعة يمكن تصنيف المقاتلين اصطلاحاً وحسب مستوى الانضباط لدى المقاتل على الشكل التالي وهو:

- انضباطيون مقاتلون.
- مقاتلون انضباطيون.
- مقاتلون غير انضباطيين.

أما الانضباطيون المقاتلون:

فهم الذين يبذلون مجهوداً كبيرة عند تنفيذ جميع المهمات والواجبات التي تقع على عاتقهم، كما يظهرون مثابرة كبيرة ومواظبة ومبادرة خلاقة ويبذلو نشاطهم الاجتماعي في نواح متعددة. فهم ينفذون المهمات والواجبات العامة بتفان وإخلاص ويقدمون مساعدة كبيرة للقائد في إقامة النظام ونشر الروح الانضباطية.

وأما المقاتلون الانضباطيون:

فيتميزون عن الفئة السابقة بضعف النشاط في الحياة العامة للجماعة القتالية وعلى وجه التحديد لا يقدم هؤلاء المقاتلون للقائد المساعدة اللازمة في ترسيخ النظام وسيادة الانضباط.

وأما المقاتلون غير الانضباطيين:

فهم الذين يبذلون ميلاً نحو المخالفة المستمرة للأنظمة العسكرية ولهم أشكال ثلاثة لمخالفة الانضباط هي:

أ- الميل إلى المهاترة والمشاجرة.

ب- الميل إلى الإهمال في تنفيذ الأوامر.

ج- الميل إلى التصرفات المزاجية.

فالميل إلى المهاترة والمشاجرة: كصفة تظهر غالباً في العلاقات المتبادلة مع القادة، حيث يخالف المقاتل أحياناً أنظمة الخدمة العسكرية وقواعد السلوك المرعية (عدم اللياقة) الفظاظة. الفلاظة..

وأما الميل إلى الإهمال في تنفيذ الأوامر: فيظهر في عدم بذل المجهد الكافي لتنفيذ المهمات والواجبات ولا يسيء المتصف بهذا الميل إلى الناس المحيطين به، ويصغي باحترام إلى جميع أوامر القادة وتعليماتهم ولكن عند الشروع بتنفيذها يحاول بمختلف الوسائل تجنب المصاعب والابتعاد عنها ولا يركز أصحاب هذا الميل اهتمامهم على النوعية الجيدة في تنفيذ المهام والأوامر بل على البحث عن السبل التي تعطي المظهر الخارجي لتنفيذ المهمة أو الأمر: وفي كلتا الحالتين لا يعمل السلوك المخالف للانضباط والأنظمة طابعاً إرادياً.

وأما الميل إلى التصرفات المزاجية: فيتجلى المقاتل الذي يتصف بهذا الميل في كونه يضع مسبقاً هدفاً مخالفاً للأنظمة ويضع خطة أولية وعند ارتكابه المخالفة، يقضي على الصعوبات المعترضة ويعمل في هذا الميل الغياب غير المبرر وبدون عذر مقبول وحوادث الاختلاس والتعارض هرباً من تنفيذ الأوامر والواجبات وما شابه ذلك.

عمل القادة ودورهم في تعزيز الانضباط العسكري:

يتم التوصل إلى الانضباط العسكري الجيد عن طريق النظام الشامل لإعداد المقاتلين للقتال العسكري والسياسي، وعن طريق نمط حياة العسكريين ونشاطهم

ويلعب عمل القائد في قيادة الجماعة العسكرية في هذا المجال دوراً رائداً طليعياً وتعزيز الانضباط العسكري يتم باتجاهين رئيسين:

الأول: تربية الروح الانضباطية.

الثاني: توجيه السلوك.

تربية الروح الانضباطية: يجب أن تمارس الروح الانضباطية ليس بشكل آني مؤقت وإنما من أجل المستقبل وبخاصة في حال نشوب الحرب والأعمال القتالية ولا يتصور المرء بأن الروح الانضباطية تتشكل بسهولة عند الفتى، لاسيما الفتى غير الانضباطي الذي لا ينفع معه أسلوب المحاضرة أو النقاش، لأن المطلوب هو إحداث تحولات جذرية في الخصائص النفسية للشخصية، وفي خصائص نفسية الجماعة، وهذه التحولات تحتاج إلى فترة زمنية طويلة نسبياً.

أما توجيه السلوك: والإشراف عليه، فهو جهد من أجل فعل شيء، ومن أجل تأمين السلوك الانضباطي أثناء تقرير المهمات اليومية المطروحة. وفن الحرب الحديثة يتميز بأن القائد لا يستطيع الانتظار إلى أن يتم التوصل إلى حد أعلى من الروح الانضباطية وتكمن مهمة القائد في حث الفتى وحتى غير الانضباطي على تنفيذ مهماته وواجباته تنفيذاً دقيقاً وجيداً من حيث النوعية.

ومن المسائل التي يمكن للقائد اللجوء إليها لتعزيز الانضباط العسكري ما يلي:

١- الإقناع.

٢- المحاضرات والأحاديث العامة.

٣- التأكد من أداء المقاتلين لأعمال الحراسة والخدمات الداخلية.

٤- تنمية الصفات الإيجابية كالحزم واللباقة والطاعة.

ويدخل ضمن كل بند من البنود السابقة مجموعة أعمال تساعد وتساهم في تقرير روح الانضباط وتوجه السلوك.

١- الاقناع :

ويعد الوسيلة الأساسية لتربية الروح الانضباطية، وتأتي دروس التوجيه السياسي للمنتظمة عملال فترة الخدمة كلها لتلعب الدور الأساسي في عملية الإقناع فمن خلالها يتم التعريف على قضايا الوطن وكيفية الوصول إلى خدمتها، وكيف أن الفوضى وعدم الانضباط يؤديان إلى خدمة أعداء الوطن وتسيء إلى الشخص ذاته.

وطبيعي أن يحتاج الجنود الأغرار وقبل غيرهم إلى العمل التوضيحي الإقناعي وهنا يأتي دور القائد في اللقاء والاجتماع بهم بشكل دوري ومنظم، والقيام بشرح الأمور لهم بأسلوب مبسط ومفهوم وبخاصة قوانين الخدمة، والتسلسل العسكري الواجب احترامه مع التأكيد على احترام الشخص كقيمة إنسانية. وإرشاده إلى الطريق السليم عندما يخطئ لأول مرة، دون أن يكتفي القائد بفرض العقوبات على الجندي دون أن يدرس الظروف التي أحاطت بمخالفته للأوامر.

ولكن عندما لا يعطي الإقناع وحده النتائج المرجوة، لابد من استخدام القسر والإجبار ولكن دور القسر والإرغام في التربية محدود جداً وضيق، وغالباً ما يعطي نتائج معكوسة فبالإرغام يمكننا إجبار المقاتل على تنفيذ عمل ما بصورة لائقة غير أننا لا نربيه.

إن الضباط وضباط الصف أناس أصحاب سلطة، والقدرة على الاستخدام السليم الناجح لهذه السلطة دليل من الأدلة الرئيسية على النضج السياسي والعسكري للقائد وأقل انحراف عن القواعد والأنظمة العسكرية الموضوعية يجعله المرؤوسين أو بين الضباط والرقباء يؤثر وبسرعة في الحالة الانضباطية للمقاتلين.

٢- المحاضرات والأحاديث العامة :

وتشمل دروس التوجيه السياسي، وتعقد في المناسبات الوطنية والاحتفالات الرسمية بالأعياد والبطولات للوحدة التي ينتمي إليها المقاتل، وهذه المحاضرات والأحاديث تعزز مشاعر المقاتلين المعنوية والسياسية كحب الوطن وكراهية الأعداء.

ويشرف القائد على سلوك المقاتلين وتصرفاتهم من خلال التوجيهات التي يطرحها في أحاديثه والتي تتضمن بالإضافة إلى التقيد بالأنظمة والقوانين، العمل على الاعتناء بالسلاح ونظافته والحفاظ عليه والاعتزاز به.

٣- التأكيد على أداء المقاتلين لأعمال الحراسة والخدمات الداخلية :

إن القيام بأداء الحراسة بشكل جيد ومستمر يؤدي بلا شك إلى تربية روح النظام والانضباط إضافة إلى كونه وسيلة أساسية للاحتفاظ بالجاهزية القتالية العالية والاستعداد للعمل السريع والفوري.

أما الخدمات الداخلية التي تضم النظافة والمطبخ العسكري فالتأكيد عليها يعود على الفرد المقاتل بالخير والفائدة، إضافة إلى أنه يجعل من الوحدة العسكرية جماعة منظمة، تتوفر فيها أعمال الخدمة الذاتية، كنظافة الثياب وأماكن النوم والقاعات... الخ.

٤- تنمية الصفات الايجابية كالحزم واللياقة والطاعة :

ويتم ذلك عن طريق القائد الناجح الذي يتصف بهذه الصفات ويعمل بها، فالقائد بحزمه العادل وحسن نيته ولياقته يولد في المرؤوسين المواظبة والطاعة ويثير محبتهم له واحترامهم العميق لشخصه. ولابد في هذا المجال من أن يستخدم القائد قاعدة تبادل الأدوار - بمعنى أنه إذا أراد القائد أن يعرف كيف ينبغي عليه أن يتصرف مع مرؤوسيه عليه أن يضع نفسه مكانهم وفي ظروفهم، قبل أن يطلب منهم تنفيذ أية مهمة.

والخلاصة :

يمكن القول ان ثمة صلة متبادلة بين تربية الروح النضالية وتوجيه سلوك المقاتلين، فلا تصح تربية المقاتل، ولا يمكن تعليمه وتدريبه والوصول به إلى شخصية عسكرية وانضباط عال إذا لم يكن القائد قادراً على توجيه سلوك المقاتلين توجيهاً، يحقق الغاية المرجوة في زمني السلم والحرب.

Damascus University

الفصل السادس

الأعمال القتالية في القوات المسلحة

Damascus University

٩ – الإنسان عامل حسم في الحرب الحديثة :

لقد تطورت آلة الحرب حديثاً تطوراً هائلاً وفي مختلف صنوف الأسلحة، وهذا التطور الهائل هو الذي حدا ببعض المنظرين إلى القول ان العتاد والسلاح هما كل شيء في الحرب الحديثة، وهما اللذان يقرران الكلمة الأولى والأخيرة في أية حرب تنشب بين طرفين متقاتلين.

ولكن الدلائل والمعطيات التي أكدتها تجارب حروب الشعوب المغلوبة جاءت مؤكدة بأن العامل الحاسم في أي حرب هو الإنسان ومدى تمسك هذا الانسان بأهدافه ودفاعه عن قضاياه، وطبيعي أنه كلما كانت قضايا الإنسان المقاتل عادلة وحقة، وكان تدريبه وإتقانه للسلاح جيداً اقترب هذا المقاتل من تحقيق هدفه في النصر وتحطيم العدو.

ومن هذا المنطلق يجب على كل مقاتل أن يستوعب الحقيقة القائلة بأنه مهما كانت وسائط الحرب الحديثة قوية وجبارة يبقى للإنسان الدور الحاسم في الحرب الحديثة، دون أن يعني ذلك التقليل من دور وأهمية العتاد الجديد والسلاح الحديث حيث لا يمكن بدونهما الانتصار حتى على العدو المدجج هو الآخر بالأسلحة.

إن أحدث طائرة يقودها انسان موجود في الطائرة، وأحدث دبابة يقودها الطاقم الموجود فيها، وأحسن الصواريخ أيضاً يديرها أناس، وبدون معارفهم ومهاراتهم واستعداداتهم في الظروف الصعبة، ودون الخوف من خطر الموت وبدون تسلحهم للصواريخ وإطلاقها في الوقت الملائم باتجاه العدو بدون هؤلاء الناس لا يستطيع حتى أفضل سلاح أن يلعب دوره. وبالتالي فإن أفضل الصواريخ لا يرتفع إلى السماء بدون الجنود، هذا يعني ببساطة أن الإنسان يبقى القوة الفعالة الرئيسة في المعركة الحديثة، لكن الحرب طبعاً تطرح متطلبات عاصفة أمام المقاتل،

منها نفسيته وطابع سلوكه ومدى صموده الانفعالي الإرادي وخصائص شخصيته بشكل عام، وعنده النواحي يمكن التأثير منها وصقلها لصالح المعركة من قبل القائد والمربي السياسي والموجه العقائدي.

٢- العامل المعنوي :

من المعروف أن الانتصار في أية حرب يتعلق بعدة عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية، ومن أجل التنفيذ الناجح للأعمال القتالية الهادفة إلى تدمير العدو ينبغي توافر النواحي التالية:

- العتاد الحربي الحديث والسلاح المتطور.

- القوات المدربة والمعدة جيداً.

- كوادر الضباط المؤهلة تأهيلاً عالياً.

- الروح المعنوية العالية للمقاتلين.

فالعامل المعنوي أو ما يسمى بالروح المعنوية تلعب الدور الأساس والهام في تحقيق النصر، والعامل المعنوي هو:

قدرة الشعب والجيش على تحمل الصعوبات والمحن القاسية للظروف الحرب بصمود وتصميم على إحراز النصر على العدو. ومن عناصر الروح المعنوية قبل كل شيء الآراء والنظريات المعبرة عن موقف الشعب تجاه الحرب، وكذلك الأفكار حول الوطن، والدفاع المسلح عنه وحول مفهوم ومحتوى الوطنية.

والناس يعبرون عن مواقفهم تجاه الحرب من خلال تلك الأشكال الايديولوجية كالوعي السياسي والأخلاقي، ومقولاته (الخير أو الشر) العدالة أو الظلم، ومن خلال تلك المقولات الأخلاقية العامة تتولد المقولات الأخلاقية

العسكرية كالواجب العسكري، المسؤولية الاخلاقية، الشرف العسكري البطولة والتضحية في المعركة من أجل الوطن. وأي استخدام مسلح مع العدو يسبقه إعداد عدد للقوات ويكون محتواه كالتالي:

١- تحسين وتوفير السلاح والاحتياط من الوسائل المادية التكنيكية للنضال المسلح.

٢- التخطيط للأعمال القتالية الممكنة، ووضع طرائق استخدام القوات وأساليبه.

٣- إعداد الجنود وصف الضباط والضباط للحرب، يشتمل هذا الإعداد على ثلاثة اتجاهات:

آ- إعداد سياسي- معنوي.

ب- إعداد قتالي أو اختصاصي.

ج- إعداد بدني ورياضي.

وجميع هذه الاتجاهات مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً متبادلاً وتسالج في مجموعة واحدة. ولننظر في مسألة واحدة من المسائل الرئيسة لإعداد المقاتلين للحرب وتكون الصفات المعنوية للمقاتلين ومدى ارتباطها وعلاقتها بالمعدات الفنية للقوات المسلحة، وعلى الضابط أن يعرف الصفات المعنوية للجنود تتجلى في رغبات الجندي وتصرفاته، والتي تظهر للضابط المواقف الفردية ونظرته تجاه الخدمة، وتجاه النضال ضد عدو الوطن. إضافة إلى ذلك فالصفات المعنوية للإنسان هي الصفات المعنوية التي تبرز كحافز لجميع الظواهر الإيجابية وكعائق للظواهر السلبية أمام الإنسان، لذا كان على القائد أن يهتم بالصفات المعنوية للجندي في

تكامل مع صفاته القتالية، وهذا يفسر ازدياد دور الصفات المعنوية القتالية في الحرب الحديثة، وهذا الازدياد يتحدد بما يلي:

١- الاستخدام الواعي والدقيق والعلمي للقدرة الموجودة في العتاد والسلاح.

٢- إن السلاح في جوهره أصبح سلاحاً جماعياً، ولذلك فان الثبات المعنوي للعنصر الواحد يتوقف عليه الثبات المعنوي للطاقم والجماعة ككل، كما أن المهارة القتالية للطاقم كله تتوقف على المهارة القتالية للفرد الواحد.

٣- الصفات القتالية العالية :

تعرف الصفات القتالية للجنود وصف الضباط والضباط بأنها مستوى معرفتهم بالعتاد والسلاح ومهارتهم في استخدام العتاد في المعركة وفهما يتناسب مع معطياتها التكتيكية، وهي جوهرة العمل على السلاح المتكونة في ظروف الإعداد القتالي والتدريب الدائم المنظم.

إذن تتحدد الصفات القتالية للمقاتلين بمستوى إتقانهم للسلاح والعتاد وأساليب الأعمال القتالية على أرض المعركة.

وتظهر الصفات القتالية وقت السلم في الشعور بالجاهزية القتالية وفي التناسق القتالي للسرية، والكتيبة، واللواء، وفي القدرة على استبدال أحد عناصر الطاقم بعنصر آخر، أي في الاستعاضة المتبادلة، وفي الظروف القتالية، كما أثبتت حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ظهور الصفات القتالية في قدرة المقاتل على تنفيذ المهمة المطلوبة، وفي حال وجوه خطر على الحياة وسبق الجندي في فتح النار وتدميره أولاً، والاستخدام الدقيق للعتاد والسلاح وفي العمل الحاسم والمبادرة على

أرض المعركة إن العتاد الحديث والسلاح المتطور، يتطلبان من الجندي سعة الاطلاع والمعارف الواسعة، وفي الوقت نفسه عكس ما هو معتقد، إن الطائرة والدبابة والآلية القتالية والمدرعة الحديثة ومجموعة الصواريخ المضادة للطائرات هي عتاد يشتمل على أجهزة وآليات معقدة جداً، لذلك فالعمل القتالي للعناصر يرتفع اليوم إلى مستوى عمل الاختصاصي الفني، وفي الموقف القتالي، لا ينفذ الجندي ببساطة ما كان قد تعلمه وحفظه سابقاً من أعمال، بل يحقق مطابقة مستمرة للمعلومات معقدة وتغيير الأدوار وتحققه، فمثلاً: قائد الدبابة ومساعد المدفع عندما يريان الهدف، عليهما أن يحددا بعد المدفع ومسافته واختيار أسلوب إصابتهم وتحديد المعطيات الأولية للرمي، وسوق العدو في تتبع النار وضرب الهدف، وهذا كله يتحقق في المعركة ثوان محدودة فقط.

أما عامل الرادار وعامل مجموعة الصواريخ المضادة للطائرات، والطيارون، فمهماتهم في المعركة أصعب بكثير. وباختصار فإن تنفيذ المهمات القتالية المعقدة والمركبة والألوان يتوقف على الصفات القتالية لكل جندي. كذلك إن أمن الجنود وسلامتهم وسلامة العتاد والسلاح هو في استخدامها الماهر في الأعمال القتالية، والشيء الرئيس أيضاً هو دقة الضربة الموجهة للعدو، والانتصار عليه، وهذا كله يتوقف على الصفات القتالية لكل إنسان.

مما تقدم يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها: أن الصفات المعنوية تعد أساساً لتكوين شخصية الجندي، وتعد أمراً ضرورياً لظهور قدراته وصفاته المهنية، لكن يجدر أن نشير إلى أن غياب الصفات القتالية الضرورية عند المقاتل لا يعطي الإمكانات لظهور الصفات المعنوية لديهم فالرغبة في النصر للعدو ليست كافية بل ينبغي أن نعرف كيف نفعل ذلك وبالتالي يلاحظ أن الصفات المعنوية تعود كلياً

إلى التدريب العسكري والتدريب العسكري بدوره هو الأساس الملائم لتعزيز القوى المعنوية للجنود وظهورها بصورة ناجحة.

٤- أشكال وأساليب عمل القادة لتكوين الصفات المعنوية القتالية العالية لدى المقاتلين:

يشمل هذا العمل على ما يلي:

١- الشرح الواسع من قبل قادة وضباط التوجيه السياسي للمقاتلين لطبيعة الحرب وخصائصها وأهدافها ومهامها، في ردع العدوان وتحرير الأرض المحتلة من قبل العدو الصهيوني. لكي يفهم كل جندي وبكل وضوح من أجل أي شيء تقوم الحرب.

يجب على الضباط من أجل تقرير هذه المهمة، أن يستخدموا على نطاق واسع الدروس السياسية والجلسات الاخبارية والأحاديث والتقارير، وأن يشرحوا بالتفصيل سياسة حكومة الجمهورية العربية السورية ومبادئ وسياسة الحزب القائد، وأن يفضحوا مؤامرات العدو الخبيثة وأهدافه.

٢- الشرح الواسع للجنود للمتطلبات التي تطرحها الحرب الحديثة من صفات قتالية للمقاتلين، ومن أجل هذا ينبغي استخدام خبرة حرب تشرين التحريرية وتنظيم مقابلات للجنود مع المشتركين فيها ليحدثوهم عن المهام في ساحة المعركة.

هذه المهمة ينبغي أن تقرر أيضاً أثناء الإعداد القتالي عن طريق تنظيمه بشكل متميز وعنف، وبصورة مباشرة على الميدان نفسه في الميدان وتقريبه بدرجة قصوى من ظروف القتال، وتعليم المقاتلين ما يمكنهم أن يتحركوا بحزم ومهارة الأعمال

القتالية ويحققوا النصر على العدو القوي الماكر، ولكي يستطيعوا بشجاعة الحواجز والسدود، ومناطق الحريق، وأن يقاتلوا بفعالية ضد دبابات العدو وأعدائه المدرعة الأخرى ووسائطه المضادة للدبابات وضد طائراته.

٣- وتتوقف الصفات القتالية إلى حد كبير، على معرفة الجندي بالإمكانات القتالية للسلاح والعتاد الذي بين يديه والثقة بهذا السلاح وعلى إدراكه بأن السلاح الموجود بين يديه هو سلاح فعال يمكن بواسطته تدمير العدو في أي وقت يقرر القادة هذه المسألة عن طريق الدراسة العميقة للسلاح المخصص لكل جندي وصف ضابط وعن طريق تنظيم الرمايات التدريبية النموذجية وتعليم إدارة العتاد وإطلاق الصواريخ من قبل أفضل الاختصاصيين، وهذه المهمة يمكن أن تتقرر أيضاً عن طريق تنظيم احتفالات للجنود الأحرار وتسليمهم السلاح والعتاد وإجراء مقابلات مع أولئك الجنود وصف الضباط والضباط الذين قاتلوا بهذا العتاد وبهذا السلاح.

٤- إن الدراسة الواسعة للعدو وتوابعه وتسليحه وعتاده وكذلك أشكال القتال وأساليبه ضد العدو على ارض المعركة يساعد على تكوين الصفات القتالية العالية ودراسة العدو عن طريق الدروس الخاصة وتنظيم الأحاديث والجلسات في أثناء المناورة والرماية وعرض نماذج من سلاح العدو.

٥- إن التربية بالصفات المعنوية القتالية العالية لدى المقاتلين تتم عن طريق التدريب الميداني الجيد الذي يشمل التدريب الميداني على تكوين الخبرة والمهارة الضروريتين عند الجنود وصف الضباط من أجل القيام بالأعمال الناجحة في ظروف المعركة الحديثة المعقدة وغرس الحزم والإرادة الصلبة الحديدية، والتصميم

على النصر لديهم. إن منطق الحروب يؤكد أن حياتك وحياة رفاقك في السلاح تكون فقط في القضاء على العدو.

٦- ينبغي أن يؤخذ في الحسبان أيضاً أن الصفات المعنوية القتالية للمحتدي تتوقف إلى حد كبير على قدرة القادة على القيام بعمل واسع لفضح الدعاية الامبريالية والصهيونية. يفقد هذا العمل بالاقتران مع شرح الطابع العادل للحرب التي سيخوض غمارها ضد المعتدين الصهاينة، إذا هم أشعلوها من جديد على هذا النحو فإن تكوين الصفات المعنوية القتالية العالية عند الأفراد هو عملية معقدة وتقرر من قبل القادة وضباط التوجيه السياسي في أثناء الإعداد القتالي. وتستخدم في حل هذه المهمة جملة وسائط وأساليب العمل التربوي فالصفات المعنوية- القتالية للمحتدي تتكون تحت تأثير الضباط. لذلك فإن عملية تكوين الصفات المعنوية- القتالية العالية تحدد بنوعية واستعداد الضباط أنفسهم وصلابتهم وتقدمهم القدوة الحسنة سواء في مرحلة التدريب أو في ساحة المعركة. إن الروح المعنوية في المعركة تعود إلى مهارة القائد في تنظيم وإدارة الوحدة أو القطعة وتوحيد إرادة كل مقاتل في إرادة واحدة تقود إلى النصر على العدو.

٥- انتقاء الكفاءات وحسن توجيه الجنود :

ويستتبع الأعمال القتالية اللازمة للقوات المسلحة حاجتها إلى فنيين في مختلف المجالات.. إنها بحاجة إلى عمال للرادار، وميكانيكيين لصيانة الدبابات وإلى مراقبين جويين، وإلى طيارين... الخ ورغم أن الكثير من الأعمال العسكرية يمكن أن تجد مثيلها في الحياة المدنية فإن المحتدي لن يتدرب تدريباً إضافياً في الجيش رغم توافر القدرة والكفاية عنده.. على سبيل المثال يجب على السائق أن يتدرب على

قيادة سيارته في الأوحال، والظلام، وتحت النيران وفي مختلف الظروف المعيشية الأخرى، بعد أن يتوقع من القيام بذلك في حياته المدنية.

ولهذا كان من واجب القوات المسلحة العمل على ما يلي:

١- انتقاء الجنود الذين تتوافر فيهم مهارات ضرورية ودقيقة وانتقاء الأصلح من بين فئات المجندين والجنود، حيث يتم تدريبهم لاكسابهم مهارات جديدة تضاف إلى مهاراتهم السابقة، والعمل في ظروف أقرب ما تكون إلى ظروف المعركة الحقيقية. وغني عن القول إن المقاتل يشعر بسعادة عندما يفهم بأن قدراته وطاقاته لازمة للجيش وخاصة زملائه وبخاصة اذا وضع في المكان المناسب أما مصدر سعادته أيضاً فيأتي من حقيقة شعوره بأنه يتحمل مسؤولية عالية، الأمر الذي يؤدي إلى رفع معنوياته، مما يعود بالنفع العام على القوات المسلحة التي هي بحاجة إلى المعنويات أكثر من حاجتها إلى الكماليات انها تحتاج بعبارة أدق إلى الولاء والحماس والقوة الضرورية لمنع الهزيمة وتحقيق النصر على العدو.

٢- على القوات المسلحة ليس فقط وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وحسب، وانما عليها أيضاً أن تعرف كيف تنتفع من مواهبه وقدراته إلى أقصى درجة ويتم ذلك بالتوجيه المستمر والرعاية الدائمة من قبل المرؤوسين واطلاع الفني المقاتل على أحدث الأبحاث العلمية والتطور الذي ألحق بالاختصاص الذي يعمل فيه.

٣- على المقاتل أن يتدرب تدريباً جيداً أقرب ما يكون إلى ظروف المعركة مستفيداً من العلم إلى أقصى درجة ممكنة، ومتبصراً بكل وسائله، عليه أن يقاتل بعلم ومنطق مستخدماً الموارد العلمية كافة عندما تكون مباركه واسعة.. ان من واجبه أن يفعل كل ذلك لأن الحرب الحديثة صارت حرباً شاملة.

الفصل السابع

الخوف في ميدان المعركة
وطرائق السيطرة عليه

Damascus University

ظاهرة الخوف في المعركة ظاهرة طبيعية تنشأ عن شعور عادي وسوي يعانيه كل عسكرية وخاصة ذلك المقاتل الذي لم يعش ظروف المعركة ولم يختبرها، فالخوف غريزة يولدها شعور الكائن الحي بالخطر ودافع حسب البقاء لديه فالعسكري الذي يرى العدو لأول مرة وهو يصعد إليه مدفعه الرشاش أو بندقيته، تهاجم الطائرات مكان تربصه بقذائفها المدمرة، فمن الطبيعي جداً أن ينتابه الخوف ويسيطر عليه الفزع.

ويحاول العدو دائماً إيقاع الرعب في قلوب جنود الخصم مستخدماً مختلف أساليب الحرب النفسية، بهدف ثنيهم عن متابعة القتال أو الاستسلام. ونضرب مثالاً على ذلك، المنشور الذي ألقاه العدو على القوات المصرية في جبهة السويس إبان حرب الاستنزاف بعد عام ١٩٧٣ حيث قال فيه (إن أعلكم في الداخل يموتون بالآلاف بفعل غاراتنا الجوية والسبب في ذلك هو قطرسة زعمائكم ولدينا السيطرة الكاملة، ولدينا الآلاف من الدبابات والمدافع. لا جدوى من مقاومتكم. ألقوا بأنفسكم قبل أن نمزقكم قذائفنا).

لذلك فإن مقاومة الدعاية المعادية، وإحباط محاولاتها في نشر الذعر هي من مهمات القادة وضباط التوجيه السياسي، ويتم ذلك عن طريق فضح مقاصد العدو من هذه الدعاية وإحاطة الجنود بالأخبار الحقيقية أولاً بأول.

ويمكن تعريف الخوف عامة بما يلي:

هو سلوك فردي أو جماعي مسيطر يحدث بفعل ظروف استثنائية غير متوقعة هو من القوة بحيث يفقد الفرد السيطرة على اتزانه وضبط انفعالاته.. وفي حالة الجماعة فإنه ينشر الذعر والفزع، فيفكك الوحدة ويضعف الانضباط وينشر الفوضى في الصفوف، وبالتالي يدمر المعنويات ويسوق الوحدة إلى الدمار والهزيمة.

كل هذا يشعر بالخوف كرد فعل على الأخطار التي تحابهنا فهو بصورته الفيزيولوجية البحتة يحدث تبدلات كيمائية في جسم الإنسان تتجسد في زيادة إفراز الأدرينالين وزيادة ارتفاع الضغط الشرياني وزيادة السكر في الدم كل ذلك لتهيئة العضوية للفاعلية والتأهب لمجابهة الخطر الذي يهددها.

فهذه التبدلات الكيميائية تشحن الجسم بالطاقة الكبيرة، وتدفع إلى القيام بأعمال عنيفة وفعالية كبيرة، على الرغم من الإنهاك الجسمي الذي يعانيه الجندي.

إلا أنه في بعض الحالات يكون من الصعوبة بمكان أن يستجيب العسكري لمتطلبات المعركة، بسبب سيطرة الذعر الشديد على سلوكه حيث يعطل إرادته ويشل تفكيره ويهدم معنوياته، ويخرجه حياً من المعركة، وبخاصة إذا دامت سيطرته عليه مدة طويلة.

يقول العالم النفسي فرويد (إن الفرد الرعديد ذا الطبع الجبان يتميز ببنية نفسية قلقة، وعدم القدرة على التكيف مع الظروف الصعبة والمواقف المتبدلة التي تخلعل اتزانه العصبي، وتثير مخاوفه وقلقه لذلك نجده ينشد مساعدة الغير دائماً) (٢٣- ١١٨).

ويرى فرويد أن هذه البنية الضعيفة قد تشكلت منذ طفولته التي كانت نهباً للقلق والمخاوف الطفلية وعدم استقرار الشخصية والافتقار إلى عطف وحنان الوالدين.

ويمكن القول إنه إذا كان الخوف (كرد فعل) يوازي حجم الخطر الخارجي الذي يتمثل في الأخطار المحدقة، فالخوف هنا يكون طبيعياً. أما إذا وصل الخوف إلى حد الذعر المفرط ارتكاساً على عمله، لا يستحق كل هذه الاستجابة المبالغ

فيها، ومعطلاً لقدرة الإنسان على التصرف السوي، فالخوف في هذه الحالة يكون عنوفاً مرضياً.

الخوف يظهر في مرحلة انتظار المعركة :

لا تسيطر مشاعر الخوف عادة على العسكري وهو في معظم المعركة، ولكن الخوف يظهر جلياً في المراحل التي تسبق المعركة، أي في مرحلة التوقع والتأهب للدخول إلى المعركة، ففي لحظات القتال يكون مشغولاً، ومنصرفاً تماماً إلى قتال العدو، بكل تفكيره وطاقته وأعصابه، لذلك فلا مكان للخوف في ساحة شعوره الآني.

كتب أحد الضباط حين كان يعمل على إحدى القطع البحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية يقول (عندما هوجمنا من قبل إحدى الغواصات اليابانية، وقبل أن عرفنا الطوربيد، كنا نمسك أنفسنا خوفاً ونرتعد هزعاً ولكن ما أن أصاب الطوربيد سفينتنا حتى هرعنا إلى سد الثغرة التي أحدثها الإنفجار، إذ لم يكن لدينا أي متسع من الوقت لنفكر في مخاوفنا).

وفي معركة جبل الشيخ في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ عبر أحد الجنود عن مشاعره بكل بساطة قائلاً: (عندما أقلعت بنا طائرة الهليوكبتر كنت متوتراً ومتصارع في خليط كبير من الأفكار والصور المتراكمة، حتى شعرت أن تلك الرحلة هي أطول رحلة في التاريخ رغم أنها لم تستغرق سوى ربع ساعة).

ولكن عندما وصلنا إلى الهدف، وهو القمة العالية في جبل الشيخ، وبدأنا بالانقضاض على أفراد العدو، والاشتباك معهم بالنار والسلاح الأبيض حتى شعرت القوة والحماسة والاندفاع ، إنني لم أشعر بالخوف عندما حس وطيس

المعركة، بل بالعكس فإن أفراد العدو كانوا في حالة من الفزع دفعهم إلى الفرار في كل اتجاه. (٢٤- ٧٧).

ويشير الباحثون في علم النفس العسكري، إلى أن مجابهة العدو تبدو مخيفة حينما تتم في ظروف لم تختبرها أو يعتاد عليها العسكري من قبل، إلا أنه سرعان ما يتكيف مع المواقف الجديدة، فيألف سماع أزيز الرصاص وانفجارات القنابل ويعتاد على رؤية جثث ودم رائحة الأموات، عند ذلك يكتسب تدريجياً الجرأة على مجابهة قسوة المعركة وشدتها برباطة جأش، ففي المرحلة الأولى من المعركة لا يكون قد تخلص من مخاوفه نهائياً، ولكن يتعاملها على الأقل ليتصرف إلى ما تتطلبه المعركة من تفكير وجهد وأعمال.

الأسباب التي تؤدي إلى الخوف :

ولكن ما هي أسباب الخوف التي تدفع بالجندي إلى الإحجام والتردد والسلبية في ميدان القتال؟ وما هي عناصر هذا الخوف؟ هناك أسباب عديدة تؤدي إلى الخوف نذكر منها:

١- فشل الوحدة في التدريب المسبق.

٢- فشل الخبرات المكتسبة في تهيئة الوحدة لمجابهة المواقف الخطيرة والقتالية.

٣- إذا كان الخوف والفزع من القوة بحيث يعطل كل جرأة أو تدريب مسبق.

ولقد أجرى مؤخراً فريق من علماء النفس العسكري دراسة لأسباب الخوف بين أفراد الركب السائر فكانت نسبة الأسباب العميقة للخوف كما يلي: (٢٣- ١٧٨)

السبب الرئيسي للخوف	في المهمة الأولى	في المهمة التالية
ارتكاب أخطاء تؤثر في نجاح المهمة	٪٤٠	٪١٤
الإيهام بالخوف	٪٢٢	٪٧
الموت	٪١٨	٪٣٦
الجرح	٪١٤	٪٣٨
الوقوع في الأسر	٪٦	٪١٥
المجموع	٪١٠٠	٪١٠٠

والجدير بالذكر أن النسبة العكست في المهمات التالية بسبب التعود، وان الخوف من الموت قد استعاد مكانه الطبيعي أي المكان الأول.

أما أكثر أعراض الخوف من الناحيتين الجسمية والنفسية فكانت كما يلي:

الأعراض	غالباً	أحياناً
ازدياد دقات القلب تسرع القلب	٪٣٠	٪٨٦
تصلب العضلات	٪٣٠	٪٨١
الشعور بالقرفة (الهياج)	٪٢٢	٪٨٠
جفاف الحلق والفم	٪٣٠	٪٨٠
التعرق العصبي	٪٢٦	٪٧٩
قرقرة المعدة (غازات)	٪٢٣	٪٧٦
اضطراب الشعور بالواقع	٪٢٠	٪٦٩

الحامعة المتكررة للتبول	٢٥٪	٦٥٪
الرحفان	١١٪	٦٤٪
الشعور بالاحتلاط الذهني	٣٪	٥٣٪
التعب العام	٤٪	٤١٪
فقد الذاكرة فيما يتعلق		
بالحوادث المزعجة خلال المهمة	٥٪	٣٩٪
الألم ناحية القلب	٥٪	٣٨٪
اضطراب التركيز الذهني	٣٪	٣٥٪
التبول أو التغوط اللا إرادي	١٪	٥٪

الحشد : طاقة هوجاء، عمياء لا عقلانية انفعالية تتميز هذه الطاقة بالاندفاع وقلة التبصر وفقدان التفكير الموضوعي والاستقلال الشخصي واللا أخلاقية.

قوة الحشد : والحشد هو رهط غير منظم، يقوم فيه الأفراد بأعمال جنونية لا واعية في المظاهرات والكوارث والاضطرابات.

تفسير ظاهرة الحشد : يفسر السيكولوجيون ظاهرة الحشد بأنها تكون الفرد على سلوكه الطفلي القديم وتأثره بالمظاهر الانفعالية المهيمنة على أفراد الحشد بفعل الإيحاء.

الإيحاء : ويلعب الإيحاء دوراً كبيراً في سلوك الفرد في الرهط.

١ – فالعسكري الذي يلتبس عليه فهم ما صدر عن قائده ينقل الأمر.

٢- كذلك القائد الذي يثبت نظرته دوماً في المؤسرة فإن أفراده يقتدون به ويعدون نظراته بمثابة أوامر لا تقل أهمية وقيمة من الأوامر اللفظية.

٣- وعندما يتغيب القائد أولاً يكون هناك وجود له أو أن الأفراد لا يثقون به فإن حركات رفاقهم هي التي تحركهم بفعل الإيحاء فإن ألقى بعضهم بسلاحه على الأرض لحقه الآخرون.

إذن في حالة الحشد يكون سلوك الفرد متأثراً بسلوك الآخرين بفعل الإيحاء.

وللقضاء على الإيحاء: ينصح بإبعاد الأفراد الذين اجتازوا عصبياً عن الجماعة وعزلهم ولقد اتبع العدو الصهيوني عام ١٩٦٧ أسلوب إثارة الرعب والفزع في صفوف أهالي القرى العربية في الضفة الغربية لينقلوا الفزع إلى القرى الأخرى بغرض تهجيرهم وترك دورهم... وكذلك ترك في بعض الجبهات العربية الجنود يفرون أمامه لتدمير روح القتال في بقية الوحدات (في سيناء لاحقت المدرعات والطائرات الجنود دون أن تضربهم).

العوامل المشكلة للحشد : هناك نوعان من الحشود:

١- يتشكل الحشد بفعل أحداث أو عوامل تدفع الفرد للتجمع بعدما تكون قد استأثرت باهتمام كل فرد من أفراد الحشد. وعندما يتجمع الحشد فإن تجمعهم هذا يدفعهم للقيام بأعمال العنف. كما هي في الإضرابات والمظاهرات التي نسمع عنها لأسباب اقتصادية أو سياسية أو عنصرية أو دينية.

٢- ان الحشود التي تتشكل بسبب الفلع والخوف هي موضوع آخر وهم التأثر بها إما بفعل الإيحاء كما قلنا أو بوساطة وجود خطيب بارع ضخم الجثة وفصيح اللسان فيؤثر في الحشد.

من صفات الحشد :

١- تجانس العاطفة والانفعال ولذلك فإنها تأخذ مظاهر العنف والعدوان فتحرق وتدمر أحياناً إذ لا هم لها إلا تفريغ انفعالاتها.

٢- الديناميكية (سائق يهدم طفلاً في الشارع يتعرض لهجوم عنيف من قبل جماعة من الناس كانوا قبل عدة دقائق أفراداً مسالمين متفرجين يسيرون في الطريق وكذلك السائق.

٣- التباين في المواقف والمعتقدات والرغبات يحدث مشاجرات بين العسكريين بسبب التعصب لوحدتهم أو تحدث مشاجرة بين ابن الريف والمدينة.

الفلع :

نادراً ما يتشكل الحشد بين الوحدات العسكرية في حال غياب الانضباط والقيادة وبشكل عام غياب الأنظمة العسكرية.

والفلع يحدث غالباً في نهاية المعارك أو قبل بدايتها: والرعب العسكري يشبه الحشد إلا أن السبب في هلعه هو الخوف وليس الغضب.

الفرق بين الفلع والحشد :

١- الفلع يحدث في نهاية المعارك أو في بدايتها.

٢- الرهط العسكري يشبه الحشد إلا أن السبب في هلعه هو الخوف وليس الغضب.

٣- تتركز اهتمامات الأفراد في الهلع في الهروب من مسببات الخوف.

٤- إن الهلع باعث على الحركة فيتحول الأفراد الهلعون إلى حشد عشوائي إذا قام في وجههم عائق يمنعهم من الهروب.

٥- ان سلوك العسكريين في الرهط العسكري إزاء المعاوف تسرح مشابهة لسلوك المدنيين بمجرد خروج هؤلاء العسكريين من ثكناتهم.. كما في سينما يشب فيها حريق.

٦- أما إذا كان العسكري يتصف بالانضباط عال ويخضع لسلطة الأمر فإن ارتكاساته وردود أفعاله إزاء المعاوف التي تهدده إنما تتحدد بما اكتسبه من عادات الطاعة والتصرف العاقل المتزن وبذلك تكون الأضرار والخسائر أقل من الأضرار التي يسببها عسكري ضعيف الانضباط.

العوامل الباعثة على الهلع :

١- عوامل نفسية وعصبية: تعب العسكري وهو من العوامل المهيئة لإثارة الهلع والذعر إذ تكفي سرعة واحدة تصدر عن فرد أو عدة أفراد تدعو للهرب أو التنبيه لاستخدام العنف للغازات السامة تكفي لأن يطلق العسكريون سيقانهم للريح.

٢- الحرب النفسية: كاستخدام الرموز والإشارات اللاسلكية في وقت مناسب لكي تؤثر في المدني ليهرب.. استخدمت أمريكا في الحرب العالمية الثانية رموزاً سرية مثل (تيورك) التي تعني غازاً سامّاً فيدل الرمز كل يوم كي لا يعرف

الأفراد معناه بغرض التنبيه عن الأخطار المهددة لاتخاذ الحيطة والحذر وفي الوقت نفسه للمحاولة دون انتشار الهلع بين العسكريين.

٣- الضربات العسكرية المفاجئة: أحياناً يلجأ العدو إلى استخدام طائرات قاذفة مقاتلة تحمل قنابل النابالم ذات الاشتعال الشديد بغرض التدمير المعنوي وتحطيم إرادة القتال وبث الفوضى في الصفوف وإحداث إصابات حرب أكثر من اهتمامه بالخسائر المادية بالوحدات.

٤- المؤثرات الخارجية: إذا كانت الظروف والمؤثرات الخارجية مواتية فإنها تؤدي إلى ظروف المعاون لدى الأفراد وإلى انتشار الفزع والذعر.. وهنالك أمثلة كثيرة. (الفيار الذي أثير من قبل قطيع من الخنازير والذي أرعب الوحدات النمساوية فلاذت بالفرار ظناً منها أن الخيالة الألمان قد بدأت تشترك في المعركة. وفي عام ١٩١٨ سلم مراسل قائد إحدى الوحدات المحاصرة رسالة فنادى على معاونه أمام الجنود وقبل أن يعرف الجنود مضمون الرسالة لاذوا بالفرار واعلنوا موالاتهم وقد ملكتهم هستيريا.

وهكذا فإن الرهوط الملحورة تتشابه مع الحشود الغاضبة بخاصية الإيحاء وسهولة التحريض والإثارة وتعطل التفكير الموضوعي ورعونة السلوك.

العوامل المسببة للذعر:

١- الحالة النفسية (التعب- الجوع- العطش- القلق- الإرهاق- قلة النوم- الإفراط في الكحول).

٢- ضعف الانضباط والتدريب على مقومات المعركة من هجوم ودفاع وانسحاب.

٣- الإيحاء بعد رؤية فارين.

٤- المفاجأة في المواقف وعدم قدرة العسكري على استدراك الموقف.

٥- المعنويات المنهارة أو السيئة (الثورة الروسية ١٩٠٤ التي فرت بسبب انهيار أحد الرعماء بسبب رؤيته لأشياء تتحرك في الليل فظنها عدواً وكانت قطيعاً من الماشية.

٦- تدمير الروح المعنوية عن طريق الإشاعة (ايطاليا احتلت الحبشة عام ١٨٩٦ فكثرت الإشاعات واعتقلت فئة الضباط قبل الجنود وبقي من الجيش (٣٥٠٠) فرد من أصل (١٥٠٠٠) كان هناك منهم قواعيت وحدة إيطالية بوعدات أهلية وهي تصرخ بأصوات مرعبة ولم تستطع القلائف الايطالية تقديم الدعم لهذه الوحدة فدمر عناصرها. وكانت الإشاعات هي قوة أهالي الحبشة وأعمال التنكيل والتعذيب بالأسرى الأمر الذي أدى إلى كارثة في الجيش الإيطالي على يد أهالي الحبشة (٢٥- ٢٠١).

٧- القيادة السيئة عندما تعطي أوامر متناقضة وغير مدروسة في الظروف الملحة تؤدي إلى نشر الفوضى والبلبلة في الصفوف والتصرفات الحرقاء التي تصدر عن القائد بسبب الانتظار الطويل والتوترات النفسية والانفعالات العصبية المزيفة والمتكررة والتراجع الطويل وأوامر الانسحاب.

٨- موت قائد عزيز: إن موت قائد عزيز على الوحدة كان الجنود يستمدون منه قوتهم وثباتهم وشجاعتهم يؤثر في معنويات الجنود.

٩- تحديد العدو بإخبار وحدة ما أو للأماكن الحساسة في الوحدة (تموين مواصلات سواء أكان حقيقياً أم من نسج الخيال يزعزع من تماسك العسكريين ويثير الفزع في نفوسهم والرعب.

١٠- عامل المفاجأة من قبل العدو: كأن يهاجم الوحدة بسلاح جديد أو بأعداد غير متوقعة عن الخسائر والإصابات الكثيرة والتراجع غير المنظم. يجعل العسكري يقلق ويفقد الإيمان بتحقيق أهدافه.

١١- فقدان الأهداف: فالوحدة المضطربة القلقة والمتعبة والتي لا تؤمن بالأهداف التي تقاتل من أجلها مثل غابة يابسة الأشجار أقل شرارة نار كافية لإشعال الغابة فيها.

طرق السيطرة على الخوف:

* يمكن السيطرة على الخوف باتباع الأساليب التالية:

- العمل يبدد الخوف:

إذا كان الموقف التعبوي أو حالة الطقس تستوجب تأجيل ساعة الصفر فمن الخطر أن يترك قائد الوحدة جنوده في حالة فراغ. بل يجب أن يشغلهم بأي شيء. ذلك لأن الفراغ يساعد بطبيعته على احتوار المخاوف وتضخيمها وانتشار الشائعات والأحاديث الجانبية مع الزملاء حول احتمالات ما سوف يلاقيه الجنود عندما يبدأ القتال.

من هنا تأتي أهمية إشغال الجنود بأي عمل لمنعهم من احتوار هذه المخاوف والأوهام والأفكار، وذلك مثل تحسين الخنادق والمواقع تمهيد ميادين رمي

الأسلحة- استكمال أعمال التمويه- تدقيق المهام وأوامر القتال- تنظيف الأسلحة والذخيرة والتفتيش عليها- إجراء لقاءات مصغرة لتوجيه الجنود في مواقعهم... الخ.

- الاحتكاك والاتصال مع الأصدقاء يساعدان على التخفيف من وطأة الخوف:

إن أكثر ما يخيف العسكري عندما تشتد التوترات النفسية في فترة التهيؤ للدخول في المعركة هو الوحدة النفسية. فإذا ما شعر أنه وأفراد طاقم مدفعه منعزلون نوعاً ما في موقعهم الدفاعي، فإن القلق والخوف يتسللان إلى نفوسهم ويقضان مضاجعهم، لذلك ينبغي على القائد أن يحقق الاتصال بينه وبين الأفراد، وكذلك بين الفرد ورفاقه، سواء أكان هذا الاتصال بالنظر أم بغير ذلك من الوسائل في حالات الشدة شريطة مراعاة الحيطة في التشكيل التعبوي كي لا يكونوا هدفاً جماعياً للعدو.

ومن هنا فإن المهندسين العسكريين الإسرائيليين قد بذلوا جهداً كبيراً عند تخطيط خط بارليف على جبهة قناة السويس لكي يرى كل عسكري جميع المواقع الدفاعية لكتيبته. إن شعور الجندي بوجود أصدقائه إلى جانبه يبدد عزلته ويضعف من شدة مخاوفه وهواجسه لإدراكه أنه يقاتل ضمن مجموعة لكل فرد فيها دوره في مساندة أفراد مجموعته هو من العوامل التي تساعده على الشعور بالطمأنينة والأمن.

وقد عبر أحد القادة في الحرب العالمية الثانية عن هذا الشعور بقوله (إن المعركة هي أكثر الأماكن في الوجود إشعاراً بالوحدة والوحشية لذا يتحرك الرجال غريزياً نحو بعضهم في وحدة وترابط شديدين، طلباً للحماية والإحساس بأنهم يعملون وسط جماعة متآلفة متعاطفة، الأمر الذي يبدد مخاوفهم) (٢٦- ٢٠٧).

المعرفة قوة لها سلطانها في السيطرة على الخوف:

المعلومات عن العدو هي بند هام يتصدر أمر القتال في جميع المستويات. فأمر القتال الذي يتلقاه الجندي يبدأ بمعلومات عن العدو ونواياه، وتستعرض سير المعركة المتوقعة واحتمالاتها ومواقعها المحتلفة، ذلك لأن توافر هذه المعلومات يجعله قادراً على تقدير أدق للعدو، ويقلل من احتمال حدوث المفاجأة لديه، كما أنه يكبح جماله من الاسترسال في المخاوف، ويعيد الشارد منها إلى حظيرة الواقع.

وقد أثبت التاريخ العسكري، أن إخفاء الأطراف المتنازعة لخططها ونواياها، كانت الأساس في تحقيق عنصر المفاجأة ومباغتة القوات، مما يؤدي إلى إرباك صفوفهم وضرب معنوياتها في الصميم ونشر الذعر والفزع بين أفرادها وهذا من شأنه إتاحة الفرصة لتحقيق النصر على الخصم وإنزال الهزيمة به.

قال موشي دايان: إن النجاحات التي حققها العرب في بداية حرب يوم الغفران ترجع إلى نجاحهم في المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية.

وورد في تقرير لجنة اغرانات ان الفاجعة التي حلت بالبلاد في حرب يوم الغفران نتجت عن التقصير المتعمل لجهاز المخابرات الإسرائيلية الذي لم يستطع أن يكشف نوايا العرب في الهجوم علينا.

ويقول قائد كبير شارك في الحرب العالمية الثانية حتى نهايتها من واجبات القائد تحذير أفراد وحدته من المفاجأة أو المخاطر التي تقابلهم إبان سير العمليات وذلك كي لا يفاجأوا بمواقف غير متوقعة كما عليه أن يبين لهم أنواع الأسلحة التي يستخدمها العدو في المعركة وأساليبه القتالية كذلك يجب أن يزود الجنود بالمعلومات الكافية عن أسلحة التدمير الشامل التي في حوزة العدو، وأن يكونوا

مقتنعين بامكان الدفاع ضد هذه الأسلحة، ومتقنين التدريب على ذلك إلى درجة التصرف التلقائي.

قال أحد الباحثين في مجال علم النفس العسكري السوفياتي ليس هناك ما يخيف العسكري مثل الخوف من المجهول. (٢٧- ٩٨).

السيطرة على سلوك الأفراد من عوامل التغلب على الخوف :

الشعور بالخوف ليس معناه أن يتصرف العسكري تصرف الخائف، فالخوف يتحول إلى كارثة جماعية تهدد أفراد الوحدة برمتها إذا سمحنا للفرد أن يتصرف تصرف خوف وذعر فإن عدوى الخوف هذه تنتقل إلى الغير بفعل التفاعل والإيحاء. لذلك فمن واجب القائد أن يعزل فوراً كل عسكري يبدي سلوك جزع وهلع.

لقد تبين من إحصائيات الحرب العالمية الثانية أن الجيش الأمريكي قد سرح ما بين ١٩٤٢- ١٩٤٥ (٥٤٥٢٣ عسكرياً) بسبب عدم لياقتهم النفسية للخدمة وثبت من الناحية الإحصائية أن (٢٠٪) من إصابات المعارك في تلك الحرب كانت إصابات نفسية، حيث أظهر أصحابها عجزاً جسمياً ونفسياً عن الثبات في ميدان القتال لأن لديهم استعداداً مسبقاً للانهيار عند تعرضهم لأول صدمة من صدمات المعركة حيث يتزلامم الفزع والانهيار. (٥- ٢١٩).

ويستنتج من ذلك أن ثمة أشخاصاً لا يتمتعون بالاتزان النفسي الذي يؤهلهم لتحمل ظروف الحرب وأهوالها، بل إن أمثال هؤلاء لديهم استعداد مسبق للانهيار العصبي والفزع. فإذا كلف جندي منهم بمهاجمة دشمة من دشم العدو بالتعاون مع زمرة من رفاقه فقد يرفض الأمر ويهرب من ساحة المعركة، أو قد يصاب باضطرابات عضوية كالاسهالات مثلاً، أو بالشلل الهستيري الناجم عن كبت

الخوف، أو قد يقدم على عمل عنوني كأن يندفع نحو العدو صارخاً مزمجراً معرضاً نفسه لنيرانه، لكي يتخلص من وطأة التوتر الذي يعانيه. وبذلك يلحق الضرر بنفسه وبوحدته.

كما أنه في هذه الحالة يشكل نقطة ضعف في البنيان المعنوي لوحدته ويخشى أن تتسع هذه النقطة بتأثير العدوى فينتقل الهلع إلى رفاقه المحيطين به. لذلك لابد من إبعاد صاحب هذه الحالة إلى المؤخرة لينال عناية طبية ونفسية اختصاصية.

دور العقيدة في مواجهة الخوف :

إن المبتدئ المقاتل الذي يملك وضوح الهدف الذي يقاتل من أجله، والمسلح بعقيدة صلبة وإيمان قوي بالقضية التي يناضل من أجلها، يكون الدافع إلى مقاومة العدو، والتضحية بالذات عن رضا وقناعة، هما أقوى من الخوف، وفوق كل تردد، إنهما قوة دافعة تجعلان من المقاتل فداءاً حقيقياً، ينسى نفسه وأهله في سبيل تحقيق النصر على العدو، بل إن الدافع إلى القتال والفداء لديه في هذه الحالة، يسمو أقوى من الدافع إلى الحياة ذاتها، حيث ينتفي الخوف، وتنتصر الشجاعة والجرأة.

وفي الواقع ان تحريض الشجاعة في نفوس الرجال، ودعم ثباتهم في مقاومة العدو، من قبل القادة الذين يضربون بسلوكهم المثل الأعلى في الإقدام والتضحية.. كل هذا يحرك المشاعر الوطنية والمثل الأخلاقية العليا الدافعة إلى بذل الدماء في سبيل الدفاع عن الوطن.

التدريب الجيد أمر جوهري في ضبط مخاوف المعركة :

إذا كان المقاتل يملك اليدين الخبيرتين في استخدام السلاح بفعالية، وإذا كانت الثقة بهذا السلاح متفوقة لديه، أصبحت ثقته بنفسه عالية في إحراج العنصر من المعركة وهذا ينعكس بدوره على نفسيته في المزيد من السيطرة على مخاوفه، لذلك كان التدريب الجيد والثقة بالسلاح من الأمور الجوهرية في ضبط مخاوف المعركة وكلما كان التدريب واقعياً ومشابهاً تماماً للمعركة (مصاورة بالذعيرة الحية- تطهير للمعركة) اكتسب العسكري روحاً معنوية وقدرة على تحمل متاعب المعركة وظروفها القاسية، مما يساعد على طرد الخوف من نفسه.

وقد دلت الخبرة على أن الجرأة لا تأتي تلقائياً، فهي يمكن ان تكتسب بوساطة تنمية قدرة التغلب على الخوف، وذلك من خلال الكثير من الخبرات التي تعتمد على التصرف والعمل في المواقف الخطرة، ولذلك فمن الضروري أن تكون ظروف التدريب والمشاريع والبيانات مشابهة للظروف وأجواء المعركة الحقيقية قدر المستطاع.

الفصل الثامن

عقيدة القتال

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

عقيدة القتال :

يجمع المختصون في علم النفس العسكري والاستراتيجيون على تعريفين لعقيدة القتال:

التعريف الأول: عقيدة القتال هي الفكرة أو الغاية أو القناعة التي يتبناها الفرد المقاتل لكي يجعل من عمله القتالي وقدرته سلوكاً مقبولاً أمام شخصيته وذاته وربما أمام الآخرين والمجتمع.

التعريف الثاني: عقيدة القتال هي الفكرة أو الغاية أو القناعة التي تؤثر في رفع روح القتال في الحرب عن طريق خلق الحماسة في الجنود وزيادة تحملهم وإقبالهم على الحرف وزيادة تفاؤلهم وإحساسهم بالتعاطف الجماعي المشترك وروح الفريق.

أنواع العقائد :

عقيدة المرتزقة المأجورين:

كان الرجال يحاربون في العهود القديمة من أجل الطعام والسلب والنهب والنساء، فكانوا يرتزقون من وراء صناعة القتال. ومع ذلك فقد كان هؤلاء المأجورين عقيدتهم، وكانوا يعبرون عن هذا بقولهم: (حقيقة اننا نرتزق من أعمال القتال، ولكننا احترفنا هذا العمل الشريف لما يتطلبه من شجاعة وحب للمخاطرة، وكان في استطاعتنا أن نحترف عملاً أقل خطورة وشرفاً منه.

وربما تكتشف لنا هذه الفكرة عن شيء عميق وراء الأشخاص الذين يتطوعون للعمل في أيامنا الحاضرة. فالأجور والرواتب ربما هي كل شيء وراء تطوعهم لهذه (المهنة).

عقيدة (المحرمين) على القتال:

في عهد من العهود كان الرجال يحاربون عن خوف وخشية من بطش القائد بهم. فظل هذا النظام معمولاً به حتى عهد قريب وكان فريدريك الثاني يقول في هذا المعنى: (انظر إلى هؤلاء الرجال لو اعتبرتهم واحداً واحداً لوجدتهم يكرهونني) ولكنهم متى اجتمعوا في صفوفهم وعلموا أن الضباط وراءهم بالسوط فإنهم يضطربون خوفاً ولا يوجدون في الرد على كل اعتداء أو خطر. ويكفي أن آمرهم حتى يرموا أنفسهم إلى النار ويضحوا بحياتهم في سبيلي دون تفكير لأنهم يجهلون كل شيء حتى الغرض الذي من أجله يقاتلون.

ومع ذلك يغالي رجال مدرسة العقيدة الذين يقولون (أن وراء كل قتال عقيدة) فيتحدثون عن هؤلاء الأفراد المحرمين قائلين (حتى هؤلاء لهم عقيدة). فمعرفهم من قائدهم يرجع إلى تقديرهم لشخصه وإعجابهم بعمله وفنه وطموحه وحبه للمخاطرة. وهم بإعجابهم هذا يضفي شخصيته في شخصيته فتلتمع فيهما الحماسة وينتقل إليهم حب المخاطرة والطموح ويؤكد أصحاب هذا الرأي بأن هؤلاء المحرمين لو لم تكن تلك هي عقيدتهم لثاروا ضد قائدهم وهم جموع كثيرة وهو فرد واحد ويستطلعون من وراء هذه الظاهرة درساً عن مدى أثر شخصية القائد في حشوده وفي عقيدتهم في القتال.

عقيدة المؤمنين :

ومثالنا على هذا في ثورة الإسلام- حيث التحمت عقيدة (الجهاد في سبيل الله) فني القرآن الكريم (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها

الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين).

وقال الرسول العربي: (الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ومن ترك الجهاد في سبيل الله. ألبسه الله الذل، وغلبه البلاء).

وفي يوم بدر خرج الرسول العربي على الناس يحرضهم على القتال ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابر محتسب مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة).

وقد عمل الرسول العربي قبل كل شيء على غرس الإيمان في نفوس العرب المحاربين وأنفسهم بأنهم يقاتلون في سبيل مثل أعلى هو إعلاء راية الإسلام، ونشر رسالته على الملائكة. وأنهم منتصرون لا محالة لأنهم ينفذون إرادة الله على الأرض: وأن الله معهم في كل الأحوال وأن الملائكة ستقاتل إلى جانبهم إذا لزم الأمر.

قال تعالى: (إذ يوحي ربك للملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان).

عقيدة المذاهب الحديثة:

النازية: تعصب الألمان في الحرب العالمية الثانية (مدنيين وعسكريين) لمذهب النازية الذي كانت تنادي بسيادة الجنس الجرماني وتفوقه على باقي الشعوب. وكان يعلن كل فرد عبداً الفناء من أجل المجموعة من أجل بقاء الأمة الجرمانية. وبلغت الحماسة بهذه الدولة في أول الحرب أن قضت في أيام على دولة كبيرة بأسرها كفرنسا و لم يكن للجندي الفرنسي وقتذاك عقيدة معينة في القتال. و لم يكن يؤمن

بأحقية الغرض الذي من أجله دخلت دولته الحرب. إذ كان يعتقد الفرنسي أنه يقاتل من أجل بولندا في حرب ليس له فيها أية مصلحة.

العقيدة الروسية:

كانت عقيدة الروس في القتال هي (الموت لا التسليم) وهذه العقيدة هي التي جعلت ستالينغراد تصمد في قوة وعناد أمام الألمان على الرغم أنهم كانوا محاصرين وموقفهم لم يكن يدعو إلى التمسك بالأمل.

والعقيدة نفسها هي التي جعلت موسكو تصمد أمام جحافل نابليون. وكان المذهب الذي يدين به القائد الروسي هو (الصبر والزمن). وفي أحلك ساعات اليأس كانت المعركة تتقلب من هزيمة إلى نصر- حتى أن الباحثين من رجال العقيدة قالوا عن فائدة هذه الظروف (إنها تخلق العناد، فالجانب الأكثر عناداً هو الجانب الذي يتحمل حتى ينتزع النصر من خصمه في آخر اللحظات).

يقول المربي السوفييتي مكارينكو (إن من بين المشكلات ذات الأهمية الأولى تحدد مشكلة تنمية الإرادة والبسالة ووضوح الهدف. ولا شك إن تنمية الإرادة والبسالة تتم اليوم وفي كل خطوة نخطوها في بلادنا... ولكن هناك أمر آخر شديد الوضوح ذلك أنه يجب علينا بإخلاص وصدق بلشفي أن نقول أن تنمية الإرادة والبسالة ووضوح الهدف تحدث أحياناً بشكل تلقائي وإن المبادرة المتعمدة المنظمة والدقيقة ليست كافية في هذا الشأن) (٢٨- ١٠٢).

ويقول أيضاً: (حرب بشكل عام وبصدق وحرارة أن تجعل هدفك تربية شخص باسل. ولا يمكن أن تربي شخصاً باسلاً إلا إذا وضعته في ظروف يستطيع

فيها أن يظهر بشجاعته في التحفظ أو التعبير الصريح المباشر، أو في بعض الحرمان أو في التحمل والشجاعة.

أما هدف العقيدة السوفيتية فيلخصه لينين قائلاً: (.. إن الأخلاقيات هي الأمر الذي يخدم غرض تحطيم المجتمع الاستغلالي القديم وتوحيد جموع الكادحين حول البروليتاريا التي تبني مجتمع الشيوعيين الجديد).

العقيدة الإنكليزية :

يذكر عن الإنكليز أنهم كانوا على جانب كبير من الدهاء في نشر أغرب العقائد الملتوية واقناع الشعوب بها، فكانوا يزينون حرب الاستعمار إلى نفوس جنودهم بأن يلقوا في روعهم مبدأ غريباً مؤداه (إن لم تستعمر انكلترا الشعوب الضعيفة فسوف يسبقها في ذلك دول الكونتيننت أو دول أوروبا) إلى استعمارها، وهناك قد ترى هذه الدول وتقوى فتصبح دولاً قوية تهدد انكلترا هذا من ناحية. أما من ناحية أخرى فان لانكلترا الحق باستعمار الشعوب لأنها عبيرة ورحيمة بمعاملة الشعوب الضعيفة المهزومة.

العقيدة الأميركية :

بعد أن تقلصت (الإمبراطورية العظمى) إلى حدود الجزر البريطانية، وبعد أن كانت تلك الإمبراطورية لا تغرب عنها الشمس فصارت لا ترى الشمس إلى بضعة أشهر في العام انتقلت زعامة الغرب إلى الولايات المتحدة حيث تتمتع الديمقراطية بحريتها كما يتمتع الدولار بأسعاره، وهناك أيضاً عقيدة لا تقل من نكبة أسطورية.

تقوم تلك العقيدة على أن الولايات المتحدة هي حصن الديمقراطية والحرية وأنها زعيمة العالم الحر في العالم، وبهذا يصبح الجندي الأمريكي خاصاً للسلام والمبادئ التي جهدت الانسانية عبر العصور في الحفاظ عليها فهو من أجل الوطن ومن أجل (حر الانسانية) يضحي بنفسه ويخوض غمار حروب لم تقسم يوماً على أرضه لتحرير شعوب العالم.

ورغم الخسائر التي تكبدتها هذه الدولة في حروب (التحرير) هذه فان نسبة الأرباح على الخسائر تكون في أغلب الأحيان لصالحها.

العقيدة الصهيونية :

تبلغ الأسطورة أوجها في هذه العقيدة ويأتي المضمون الفكري لوهم القومية اليهودية من خلال خمسة مزاعم أساسية متكاملة :

الزعم الأول: وهو الزوبولوجي، وفحواه أن اليهود يشكلون وحدة عرقية نقية.

الزعم الثاني: تفوق الجنس اليهودي تفوقاً نوعياً على الشعوب الأخرى.

الزعم الثالث: وهو يقول بالحق الديني لليهود في أرض اسرائيل. ويستند هذا الحق إلى دور الهي ولكن الوعد الالهي يحتاج إلى سند والعي).

الزعم الرابع: وهو ينبثق من الزعم الثالث ويقول بالحق التاريخي لليهود.

الزعم الخامس: تطور هذا الحق التاريخي إلى الكفاح اليهودي على مدى القرون من أجل استرداد الأرض الموعودة.

وقد استمرت الصهيونية في عنصريتها باتجاه اليهودية تحقيقاً لما ورد في التوراة المنقح والمعدل حسب العصور، عندما اعتمد يهود (الله) أن بني إسرائيل

شعبه المختار وفضّلهم على الناس أجمعين وعصمهم بمحبته وأوكل إليهم مهمة المحافظة على وصاياه العشر وتعاليمه الإلهية، وحملهم مؤتمل الأعمال دون غيرهم على الشعوب التي خلقت بجبولة على الشر وغير قادرة على الخير التلقائي. ونحن نعرف أنه لم يرد نص من نصوص التوراة في معرض الإشارة إلى شعب الله المختار دون أن يؤكد قدسية هذا الشعب ومثال ذلك ما ورد في التوراة (أنتم أولاد الرب الهكم، لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم، وقد اختاركم الرب لكي تكونوا له شعب خاص فوق جميع الشعوب الذين على الأرض.

ومن هذا المنطلق يقول (آبا ايبان) إن بقاء العدالة والأعمال والسلام في العالم هو كما يزعم، أمر مرهون ببقاء اليهود وعدم تخليهم عن وصايا الرسالة اليهودية، ومن هذا المنطلق أيضاً تهدف العقيدة العسكرية الإسرائيلية فكراً وممارسة إلى التوسع الجغرافي والإقليمي على حساب الوطن العربي واحتلال المزيد من الأرض العربية (٢٩- ٩).

والخلاصة: يمكن القول إن وراء كل نصر في قتال عنيف عقيدة قوية صادقة تدور حول إيمان الجندي بعدالة قضية الحرب وهدف القتال، وإن هذا الهدف الذي يقاتل من أجله يستحق منه بذل الجهد والتحمل بل والتضحية، وكلما كان المقاتل مؤمناً بعقيدته ومتحمساً لها كان نضاله جدياً قوياً وقريباً من النصر، فالنصر نصيب الطرف الأمر الأكثر قوة وعناداً.

في الرواية الشهيرة (الحرب والسلم) نرى الأديب الروسي الكبير تولستوي يقول (إن قوة الجيوش في الحرب هي نتاج الأعداد البشرية. بعامل آخر مجهول (س) فالعلوم العسكرية تعطينا أمثلة كثيرة من شواهد التاريخ عن جيوش لم تكن تناسب أعدادها مع قوتها. فكثيراً ما غلبت أعداد قليلة معاقل جرارة لا تعي

بوضوح أهمية العامل المجهول (س) الذي كان سبب النصر. فكان يعزي الانتصار في بعض الأحيان إلى أسلوب القتال المادي في التشكيلات القتالية، وفي أحيان أخرى إلى التفوق بالسلاح والعتاد وفي أغلب الأحيان يفسر الانتصار بفضل عبقرية القائد. ولكن هذه العوامل على أهميتها لا تتفق مع وقائع تحليل التاريخ. وقد ذهب بعض المؤرخين إلى إنكار الرأي الخادع الذي يمجد دور الأبطال القادة في الانتصار والإشادة بأنه هو المقصود بالمجهول س / والحقيقة أن /س/ هي عنصر الأساس بالجيش وقدرته المحركة بغض النظر عن القدرة المادية على القتال، وسواء أكان الأفراد يحاربون بقيادة عباقرة أم عاديين، بأسلحة نارية كبيرة القدرة والفعالية، أم بأسلحة بدائية. فإننا نعتقد إن العامل (س) الذي أشار إليه تولستوي ما هو إلا الروح المعنوية.

العامل البشري في الحروب الحديثة :

الحرب هي قتال بين الرجال مهما تطورت أسلحتها ومعداتها والحرب الحديثة تستخدم عدداً هائلاً من الآلات والأسلحة. ودون هذه المعدات لن يكون إحراز النصر في المعركة الحربية. وهذه الحقيقة لا تقبل الجدل، ولكن الحقيقة المماثلة لها تماماً والتي لا يصح أن تختلف عنها أن هذه الآلات لن تحرز النصر وحدها. بل ينبغي أن يعمل وراءها رجال لهم قدرة على استخدامها ولهم عزم وتصميم على القتال حتى إلى جنب مع هذه الآلات حتى اللحظات الأخيرة من المعركة حيث يسجل النصر.

نحن نعتقد بالدبابة الحديثة فنصفها بأن لها قدرة على اجتياز مختلف أنواع الأراضي وتستطيع العمل ليلاً ونهاراً، ويمكنها أن تسير لمسافات طويلة ونحس أن الرجل الذي بداخلها هو سيشغلها ويوجهها. وبالمثل نصف طائرات القتال الحديثة

بأن سرعتها تقارب سرعة الصوت أو تفوقها بكثير، وتستطيع الطيران على ارتفاعات عالية جداً وتنسى كذلك أن الذي سيطور بهذه السرعة وعلى هذا الارتفاع هو الرجل وإذا لم يتوافر هذا الرجل فإن الطائرة ستوقد دون حراك على الأرض.

فالمدافع والعربات والبنادق والطائرات والغواصات والدبابات كلها عناصر حيوية هامة للجيش الحديث. ولكن العامل البشري سيظل العنصر الذي يقرر النصر أكثر من بقية العناصر الأخرى لأن الذي يوجه، والذي يدرك ويصوب، ويحلل، ويقدر الموقف، ويحسب، ويختار الأهداف المناسبة الذي يفعل هذا كله هو الرجل وليس الآلة.

تأثر العامل البشري بالعقيدة : سيستمر بقاء (الرجل إذن مادام هناك ميدان للمعركة ومن حول الرجل ستطور الآلات والمعدات وتتعدل أساليب الحرب والتكتيكات. لكن الشيء الأساسي يبقى وهو روح القتال في الرجل، فهي التي تقرر شجاعته في العمل وقدرته على التحمل وأمله في النصر ولن نستطيع إن نفصل هذه الروح عن تفكير الفرد سواء أكان هذا التفكير بينه وبين نفسه (اتجاهه الفكري) أم كان هذا التفكير في محيط الحياة العسكرية (عقيدة القتال) أم في محيط الحياة المدنية (قضية الوطن).

فالعلاقة بين تفكير الرجل وروحه المعنوية العالية (أي بين اتجاهه الفكري وشعوره بالحماسة في أداء الواجب ورضائه عن هذا الواجب) هذه العلاقة واضحة ولا يمكن إنكارها في المعركة الحديثة للأساليب التالية:

آ- تطور ميدان المعركة يتطلب من كل فرد أن يستعمل تفكيره وذكاءه ليتصرف تصرفاً سليماً ناجحاً في المواقف الفردية التي تصادفه بدلاً من القتال المواجه القديم الذي كان يعتمد على الطاعة العمياء المجردة من التفكير.

ب- إن مواقف القتال تحتاج إلى مبادأة الجندي الفردية، أي إلى تفكيره وحسن تصرفه وهذا المنهج في التفكير يجب أن يكون جزءاً من تفكيره العام في الحرب وفي قضيتها. فإن لم يكن تفكيره العام صحيحاً عن اقتناع وإيمان تعرض تفكيره الخاص الشخصي إلى الجمود وعدم الاتزان وربما إلى الانهيار العصبي الكامل.

جـ- نمو الحريات العامة للأفراد والاتساع الذي لحق بمداركهم (نتيجة وسائل الاتصال كالراديو والتلفزيون والصحف والسينما.. الخ) أدى كل ذلك إلى خلق وعي فكري عند الأفراد، حتى أن معظم الجنود، مهما كانت سلبياتهم وبساطتهم (يتساءلون دائماً ولو بينهم وبين أنفسهم هذا السؤال التقليدي لماذا نحارب؟ ومن هنا ندرك العلاقة الكبيرة بين العقيدة وبين الروح المعنوية العالية.

باختصار إن الحرب الحديثة نقلت مشكلة الروح المعنوية للأفراد من كيفية المحافظة على (طاعتهم) العمياء إلى كيفية الاحتفاظ (بإيمانهم وتبصرهم).

أثر العقيدة في المحارب أثناء السلم والحرب :

العقيدة كدافع وحمص للقتال :

تتناسب درجة الكفاية التي يقاتل بها الرجال عادة في الحرب مع اعتقاداتهم وإيمانهم بأحقية الهدف الذي يقاتلون من أجله.

فالعقيدة تعمل كدافع قوي يحمس الرجال للحرب، وإذا حللنا هذا الدافع نجده يتكون من العنصرين الرئيسيين التاليين:

آ- عدم الأثرة الفردية : وهو ما يعرف بإنكار الذات. فالمحارب الصادق لا يلقي بالاً كبيراً إلى سلامته الشخصية عندما يقتضي الوضع الحفاظ على صالح المجموع. وفي ميدان المعركة تنقص قيمة السلامة الفردية إلى جوار السلامة العامة لكيان المجموع الذي يتمثل في الوطن.

وإذا آثر الأفراد بعض الاعتبارات الفردية الخاطئة ووضعوا سلامة أنفسهم في المقام الأول يصبح النصر شيئاً مشكوكاً فيه إن لم يكن متعذراً. لذا فإيمان الفرد بعقيدته في الحرب يجعله يتعالى تماماً عن الخيالات الخاطئة في تقدير حياته الفردية فلا يجعل هذا التقدير يتأرجح كفته على تقدير حياة الوطن بأسره.

ب- الاندماج في الجماعة : يتعالى المحارب ذو العقيدة الصادقة عن سلامته الفردية ويضع بدلاً عنها السلامة الجماعية. فعندما يفكر ويعمل ويقاتل، يفكر دائماً بعقلية المجموعة لا بعقلية الفرد. والهدف الذي يتمثله نصب عينيه دائماً في أعماله هو هدف المجموع لا هدفه الشخصي والمثل التالي يوضح هذه الحقيقة: لنفرض أن فصيلة مكونة من ٣٠ جندياً أعطيت هدف هو الهجوم لاحتلال أكمة تدافع عنها جماعة من العدو مكونة من ١٠ أفراد فقط. فعندما تتقدم هذه الفصيلة حتى تصبح في مرمى النيران المؤثرة الشديدة للجماعة المعادية يتنازع الجنود أحد أمرين:

١- أن يتسلط مبدأ الأثرة الفردية (الأنانية) على كل فرد من الثلاثين جندياً فيستلقي في إحدى الحفر ويكتفي نفسه تماماً ويكف عن التقدم أو إطلاق النيران لأنه يخشى أن ينكشف أمره ويصاب.

٢- أن يتغلب مبدأ الاندماج في الجماعة (روح الفريق) فلا يفكر أي فرد في نفسه ولكن يفكر في نجاح الفصيلة وفي هدفها، ويعمل على إطلاق نيرانه للؤثرة ويصيب العدو بأكبر كمية من الخسائر.

لا شك أن الهجوم يفشل تماماً في الحالة الأولى. وتتعرض الفصيلة للانهيار أمام جماعة صغيرة معادية وإذا كانت الفصيلة هذه جزء من السرية فربما انهارت خطة السرية بل الكتيبة كلها بالكامل و لم يتحقق النصر.

أما الحالة الثانية فإن النصر مرجح للفصيلة وسريتها وكتيبتها.

ثمة أمر آخر هو أن تفضيل مبدأ الأثرة الفردية لن يكفل السلامة الشخصية بصفة فعلية في نهاية الأمر. فالجمود أمام العدو وعدم مقاومته بشدة يجعله يبقى قوياً بنيرانه المؤثرة في نسبة الخسائر بين صفوفنا. كذلك إذا انتصر العدو في نهاية الأمر تتعرض سلامة الأفراد وممتلكاتهم وأسرهم وأرواحهم للخطر ويعمل التوجيه المعنوي على محاربة هذا الجهل وتبصير الأفراد بالأهداف البعيدة.

أمثلة تاريخية لأثر العقيدة في كفاية القتال :

في الإسلام: في انتصار المسلمين في غزوة بدر ومعارك الإسلام الأخرى دلالة واضحة للعلاقة بين العقيدة وقدرة القتال، وكيف أن النصر كان يلازم المؤمنين على قلتهم العددية. وفي الآية الكريمة الخاصة بتحريض المؤمنين على القتال إشارة إلى التفوق المعنوي للمؤمنين على أعدائهم بنسبة ١٠ إلى عشرين صابراً يغلبون مائتين (وتعتبر معارك الإسلام أوضح مثالاً لأثر العقيدة في قدرة القتال إذا كان الفريقان المتحاربان من جنس واحد وتسليح واحد وتنظيم واحد ودراية واحدة بفنون القتال ولكن الغلبة كانت للفريق ذو العقيدة الصادقة المؤمنة.

في حروب نابليون:

كان نابليون يهتم بإثارة الحماسة لدى جنوده قبل المعركة، قيل عنه إنه كان سيد فن التحريض. وكان يفعل ذلك لأنه كان يؤمن بينه وبين نفسه بقيمة الروح المعنوية وأثرها في قدرة القتال. وكان يقول في هذا المعنى (إن نسبة القوى المعنوية إلى القوى المادية كنسبة ٢- ١

في إحصائية الجيش الأمريكي عام ١٩٤٣، وجد أن غالبية الجنود الذين يمتلكون بروح معنوية عالية هم الذين كانوا يؤمنون بالغرض من الحرب وكانوا يؤدون واجباتهم على أكمل وجه.

وتحكي الجنرال مارشال عن مشاهدات عينية إن ٢٥٪ فقط من الجنود في الوحدات المقاتلة هم الذين يضطلعون فعلاً بعبء القتال أما الباقون فهم لا يكلفون خاطرهم عادة بتوجيه نيرانهم للعدو وهو يفسر ذلك بقوله إن الحرب الحديثة أصبحت في حاجة إلى المزيد من المطالب المعنوية كحاجتها إلى المطالب المادية (٥- ٩٦).

الأثر المعنوي للعقيدة في روح القتال خلال الحرب :

١- خلق الحماسة: من المعروف أن الحماسة بعكس الفتور واللامبالاة وهي درجة عالية من درجات النشاط في السلوك الإنساني. وعندما تزداد المهمات يزداد إنتاج الفرد (أي كمية العمل في زمن معين). وفي القتال تعني زيادة الإنتاج تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة بكل ما أوتي الجندي من عزم وجهد.

والشخص المتحمس لا يتعرض للسآمة والملل، وكلاهما مظهر من مظاهر التعب السيكولوجي الذي يترك أثراً في الجسم مشابهاً تماماً للتعب الفسيولوجي

الناجم عن إرهاق العضلات. وباختصار إن الشخص المتحمس والمؤمن بعقيدة صادقة لا يتعرض لنوبات التعب بالقدر الذي يتعرض لها الشخص الفاتر الهمة الذي يقاتل بلا هدف أو عقيدة.

٢- زيادة التحمل: تعمل العقيدة والحماسة على خلق انفعالية مستمرة من الحقد الدائم على العدو وتقوى هذه الحالة الانفعالية من روح المثابرة في الشخص أي من درجة تحمله لمشقة العمل لفترة طويلة وإذا تذكرنا أن أبرز صفتين واضحتين في القتال هي مشقة الظروف المحيطة به والزمن الطويل الذي تستغرقه المعركة فإننا لقدر قيمة دور العقيدة في خلق زيادة التحمل حتى أن الشخص العادي غير المؤمن بعقيدة قد ينهار نفسياً في مثل هذه الظروف.

ومن أهم المزايا لصفة التحمل أن النصر لا يتم عادة إلا في الدقائق الأخيرة للمعركة، فالجانب الذي يظل محتفظاً بإصراره وعناده (أي بتحمله) حتى اللحظات الأخيرة هو الجانب الذي يكسب المعركة.

٣- التغلب على الخوف: يقال إن الشخص المؤمن بعقيدة لا يتطرق الخوف إلى قلبه وفي مثل آخر شائع لا يسكن الخوف على الإيمان في قلب واحد وقد أكدت التفسيرات العلمية السيكولوجية صدق هذه الأقوال فالخوف حالة نفسية انفعالية ناجمة عن إدراك خطر قريب موشك يهدد الحياة. ومن طبيعة الشخص غير المؤمن بعقيدة انه ينشغل في التفكير في نفسه وفي الأخطار المحيطة به ويعمل على تجسيم هذه الأخطار فيتملكه الخوف. أما الشخص المؤمن بعقيدة فإن عقله يكون دائم التعلق بأهداف شاملة بعيدة تتعلق بالجموع وبالهدف النهائي للحرب، وبذا لا يركز اهتمامه بنفسه. وانسياق الفرد وراء الخوف يفقده تميزه المتزن وقدرته على

التصرف الصحيح أي يفقده كفاءة القتال، إن لم يتنه به الأمر إلى حالة شلل (عقلي) مؤقت وهي الحالة المعروفة التي تصيب كثيراً من الأفراد أثناء المعركة.

٤ – التفاؤل: من المظاهر المصاحبة للعقيدة تفاؤل الإنسان وأمله في المستقبل وعدم انسياقه وراء اليأس وبالتالي الهمود. والشخص المتفائل أقرب إلى اليقظة والانتباه من الشخص المتشائم. ويقظة الفرد في ميدان المعركة صفة لها شأنها الكبير. ويكفي أن حياة الإنسان كلها هناك قد تتوقف على مدى يقظته لحركة خفيفة أو صوت خافت ضئيل. واليأس في الغالب يؤدي إلى الاستسلام، في حين أن الغالبية في هذه الأوقات بالذات هي التي تتطلب انتباه الفرد ويقظته وتفكيره للخروج منها. بمعنى آخر أكثر ما تستدعي الفرد لأن يكون متمسكاً بأمله أي بعقيدته.

٥ – التعاطف الجماعي المشترك: من أهم وظائف العقيدة الشعور بالتعاطف المشترك بين أفراد الجماعة. فالفرد الذي يعمل ضمن جماعة تدين كلها بعقيدة واحدة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه الجماعة ويستوحي منها قوة وثقة كبيرتين، على العكس نرى الفرد الذي يعمل في فريق غير متجانس الاتجاهات في أفكاره واتجاهاته الخاصة، أي ليس هناك من عقيدة واحدة تربط هؤلاء وتصوغهم في كل واحد.

ويؤدي تعاطف العقيدة دوراً آخر له قيمته الكبيرة جداً في القتال فهو يقضي على أسباب المشاحنات والمنازعات بين أفراد الجماعة، فيتجمع غضبهم الذي كانوا يوجهونه إلى أنفسهم ليحولوه نحو العدو.

ويحاول العدو دائماً أن يتدخل بحروبه السيكولوجية لإثارة العداوة والنزاع في الصفوف كي لا تبقى متجانسة متحدة. وتفشل أغراض العدو تماماً في هذه الناحية

إذا كانت الصفوف الخارية مجتمعة بالكلمة ومتحدة في عقيدة واحدة وإيمان واحد للحرب.

العقيدة بين العقيدة والتدريب في السلم :

- العقيدة وتقدير المسؤولية في السلم: النصر في الحرب يسبقه النصر في السلم أي في معركة التدريب والتدريب معركة غير منظورة بيننا وبين العدو، حيث يتسابق فيها كلا الفريقين للوصول إلى مستوى أعلى من مستوى الطرف الآخر ليضمن النصر في المعركة. والأفراد الذين يؤمنون بقضية الوطن وتدين أنفسهم بعقيدة معينة يلازمهم الشعور بالواجب وتقدير المسؤولية في كل وقت من الأوقات فلا ينظرون إلى زمن السلم كأنه زمن الراحة والاستجمام ولكنهم ينظرون إليه نظرة إعداد وتحضير طويلين وعنيفين لكسب النصر.

ويزدد العدو كثيراً قبل الدخول معنا في حروب عندما يعرف أننا تدربنا وأعددنا للحرب عدتها. أما إذا أدرك أن إعدادنا لم يأخذ صفة جدية تفشلها فإن وسوس الطمع يوسوس له الحرب مائة مرة، والرجال ذوو العقيدة يرتبطون دائماً بهذه الحقائق فيقبلون على التدريب والعمل بدافع تلقائي وبوازع ذاتي لا خارجي.

- العقيدة والتغلب على مصاعب التدريب: التدريب على القتال بطبيعته ليس هيناً ولا مشوقاً والمؤمنون بأهدافهم وعقيدتهم يدركون تماماً هذه الحقيقة ولكنهم يقدمون عليه رغم مشاقه وعذاباته.

أما مشقة التدريب فهم يتغلبون عليها بقوة تحملهم التي تخلقها فيهم العقيدة وأما النفور من التدريب فيستبدلون به الرضا عن أنفسهم عندما ينجزون وينجاح عملاً طويلاً شاقاً.

إن التغلب على العمل المضني والرضا عن النفس، هو الراحة بعينها عند ذوي العقيدة.

- العقيدة والتغلب على المصاعب الشخصية: من الأسباب الهامة التي تصرف الجندي أحياناً عن التدريب انشغاله بمشكلاته ومصاعبه الشخصية. فهي تصرف تفكيره وانتباهه إليها، وعندئذ يقل انتفاعه من التدريب حيث يحضر المحاضرة بجسمه فقط وليس بعقله.

وهنا تتدخل العقيدة وإدراك قضية الحرب والعدو تدخلاً كبيراً في هذا. فالمشكلات الشخصية تهون إلى حد كبير إلى جانب المشكلة الكبرى (أي قضية الوطن) عند ذوي العقيدة.

مدارس العقيدة المختلفة :

تدور حول طرائق تنمية عقيدة القتال في نفوس الجنود مناقشات مختلفة عديدة. غير أن أبرز هذه الآراء مدارس ثلاث تختلف عن بعضها في منهج التنمية وإن كانت تجتمع كلها حول الهدف النهائي فكلها تؤمن بأن هناك فارقاً كبيراً بين الجندي الذي يعمل في حماسة وعزم مدفوعاً بدافع معين والجندي الذي يذهب إلى ميدان المعركة دون هدف أو حماسة.

وفيما يلي عرض لوجهات نظر المدارس الثلاث :

مدرسة الجبرية :

لا تدعو هذه المدرسة إلى اعتناق الجنود لعقيدة معينة أو حتى تفهمهم لأهداف الحرب وقضاياها فهي تعد أن وظيفة الجندي هي القتال دون أدنى مناقشة وكان فريدريك الثاني - كما رأينا - يدفع رجاله إلى الحرب قسراً أو هم جاهلون

حتى الغرض الذي يقاتلون من أجله - فعليهم أن يمتلئوا تماماً لكل ما يملي عليهم. وأن يتحركوا لمقاتلة العدو في عنف وعزم. وسيان أن يصدر هذا العزم عن عقيدة أو عن تخوف من بطش القائد.

وفيما يلي حصيلة هذه الدراسة :

١- تتكون القاعدة الفرعية لأي جيش من جنود غير مثقفين تكون أفكار الحرب ومبادئها وقضاياها فوق مستواهم العقلي. بل إن هؤلاء الجنود لا يرغبون عادة في الاستماع إلى مثل هذه المشكلات لأنها بعيدة كثيراً عن أفكارهم وآفاقهم المحدودة. لذا فإن أي وقت يصرف في مثل هذه الأمور هو وقت ضائع.

٢- ولو فرضنا جدلاً أن هؤلاء الجنود عرفوا مثل هذه المبادئ والقضايا فإن المعرفة وحدها ليست السبيل العملي لإيمان الجندي إيماناً كاملاً بقضية الحرب للدرجة التي يضحي فيها بنفسه بسهولة ورضا وعن طيب خاطر.

٣- إن ميدان المعركة لا يعطي الفرصة للجندي في أن يفكر في شيء أو في مراجعة آرائه ومعتقداته فالمحارب (حتى المحارب المؤمن بعقيدة) ينسى كل شيء عن أفكاره وينشغل تماماً بالقتال لحماية نفسه. وكل جندي مهما كانت عقيدته ومهما كان لا يدين بأي شيء في نفسه فإنه بحاجة إلى أن يقاتل ويحمي نفسه.

٤- ليس شيئاً عملياً أن نغير الاتجاهات الجندي النفسية وأن نحمله على اعتناق آراء جديدة في هذه السن التي يدخل بها الجندي. فآراؤه المحافظة الكامنة في رأسه هي في الواقع ثمرة أعوام طويلة من حياته، ونتيجة لتفاعله مع البيئات المختلفة التي نشأ فيها قبل دخوله إلى الجيش.

المدرسة الداعية للإيمان بعقيدة ذات مذهب محدد:

تهاجم هذه المدرسة مدرسة (الجبرية) بشدة، وأصبحت لا تؤمن أبداً بالجندي الذي يعمل بحبراً في غير عقيدة أو هدف، كما أنها تعزو روح القتال العالية إلى ضرورة اعتناق الجنود العقيدة ذات مذهب محدد (كالعقيدة الدينية أو المذهبية... الخ).

وفيما يلي عرض لحجج هذه المدرسة:

١- تطور ميدان المعركة ودخول البارود والآلة في هذا الميدان قضى تماما على جندي النظام العسكري الذي كانت أهم صفة مطلوبة فيه هي (الطاعة العمياء) ولقد أصبح كل شبر الآن من أرض المعركة يحتاج إلى تعرف وابتكار من الجندي الذي يعمل منتشراً وبعيداً عن رئيسه. فإذا لم يتحرك هذا الجندي ومعه في قلبه دافع ذاتي يدفعه للعمل والقتال والمثابرة فإن كفايته وروحه في القتال سوف تنقص أو تنعدم. وهذا الدافع الذاتي هو العقيدة التي تجعل من كل جندي رقيباً على نفسه.

٢- نمو الحريات العامة للفرد وتطور مداركه وتنبهه للقضايا العامة عن طريق وسائل الثقافة المتنوعة والراديو والتلفزيون، والسينما- المسرح، الكتاب... الخ.. تجعله يشعر بقيمة (فرديته) وكيانه كجزء من هذه القضايا التي يتحتم عليهم أن يفهمها على وجهها الصحيح. وإذا دخلت المعركة آراء خاطئة أو اتجاهات غامضة فإنه يظل نهباً للقلق وتشتت الذهن، فتذهب عنه حماسته إن لم يصب بالانهيار النفسي نتيجة الصراع الغامض الذي يعتمل في نفسه بين اتجاهاته المتنازعة أما الجندي الذي يدخل المعركة مشبعاً بعقيدة معينة فإنه يكون مقتنعاً تماماً بهدف الحرب الذي يقاتل من أجله.

٣- حقيقة أن الجندي عندما يتعرض أن يفصل المعركة تتجاذبه (دوامة) القتال وتصرفه عن التفكير في العقائد وأهداف الحرب وما إلى ذلك، فيتحول انتباهه من الأهداف الكبرى البعيدة (كقضية الوطن) إلى الأهداف الصغرى التي يشتبك معها اشتباكاً فعلياً (كأوكار العدو)، إلا أن الجامعة وتفكيره في القضايا العامة لا يزال يسيطر على عقله الباطن حتى أن ذلك يظهر واضحاً في أوقات والإرهاق والعمل المتواصل وفي مثل هذه الأوقات بالذات يتحدد الفرق بين جندي يعمل كآلة مسيرة بغير أهداف واضحة وجندي يؤمن بأهدافه إيماناً صحيحاً عميقاً تمتد إلى ضميره ولشعوره الجمعي. ولقد أثبتت الإحصائيات أن (هستيريا الحرب) والانهيارات العصبية تشيع بين جنود النوع الأول أكثر من النوع الثاني.

٤- كذلك لا نستطيع أن نعتمد اعتماداً كبيراً على الفكرة السلبية التي تقول إن دوامة القتال كفيلة بأن تجعل الفرد يقاتل دفاعاً عن نفسه، إذ قد يلجأ الجندي إلى الاختفاء وعدم الحركة حتى لا يجذب نيران العدو إليه.. وفي ذلك يقول الجنرال مارشال إن مبدأ أفضل أو تفضل لم يعد كافياً لأننا في حاجة إلى مبادئ جديدة أكثر إيجابية.

٥- وفي التدريب في السلم - وهو بداية النصر في المعركة - لن نستطيع أن نقنع الجندي بسهولة بتقبل مشقة المجهود الكبير المطلوب دون أن يكمن في نفسه إيمان صحيح ذاتي يتجاوب مع المطالب العملية المرهقة التي تطلب منه.

المدرسة الحديثة (مدرسة تنمية الاتجاهات الصحيحة) :

تتفق هذه المدرسة مع المدرسة السابقة التي تدعو إلى عقيدة ذات مذهب محدد في مواجهة مدرسة (الحرية) في فكرة القضاء عهد الجندي الذي يعمل بغير دافع وهدف ولكنهما تختلفان معهما في أنواع الدافع الذي ينمي روح القتال في

الجندي. فبينما تضع المدرسة السابقة كل ثقتها في اعتناق الفرد لعقيدة معينة ليحارب في روح عالية لا تنقيد المدرسة الحديثة بفكرة العقيدة الثابتة المحددة للجندي. وترى أن المدرسة السابقة قد حملت العقيدة تبعات فوق طاقتها. وإننا يجب أن نأخذ بفكرة تنمية الاتجاهات الصحيحة وشرح أهداف القتال العامة لتحميس الجنود ودفعهم للقتال في عزم وإخلاص وتفان.

وفيما يلي توضيح آراء هذه المدرسة وحججها المؤيدة :

١- لا تقتصر دوافع القتال كلها على العقيدة المحددة، فهناك أفراد يقاتلون من أجل دوافع أخرى اجتماعية كحب المغامرة، والرغبة في الظهور بمظهر الشجاعة والبطولة والتضحية من أجل الصمود.. الخ فالجندي المكلف، في طاقم المدفع المضاد للطائرات مثلاً، يواجب مناولة زميله دانات المدفع تراه يؤدي هذا الواجب في حماسة وعزم ليتم تعمير المدفع في أقل زمن ممكن وهو في غير حاجة لان يعتنق عقيدة ديمقراطية أو شيوعية أو دينية.. الخ. والدافع الحقيقي وراء حماسه ليس دافع العقيدة المحددة ولكنه دافع اجتماعي يتعلق برغبته في أن يظفر برضا وإعجاب الجماعة التي ينتمي إليها (أي طاقم المدفع) فهو لا يرغب في أن يكون أقل كفاية من زملائه.

٢- إن الحرب ليست قتالاً بين العقائد والمذاهب بقدر ما هي قتال من أجل أهداف تخضع الظروف والاتجاهات متغيرة. فالشيوعية والديمقراطية اللتان حاربتا حتباً إلى جنب ضد النازية أصبحتا اليوم طرفي عداء وفي الوقت نفسه اعتنقت النازية كمذهب وكعقيدة.

٣- إن كثيراً من الجنود كانوا غير متفهمين لعقيدة معينة واضحة وقت السلم بل منهم من كان يصدر متاعب كثيرة لرؤسائه، وإذا بهم يقاتلون في ميدان

المعركة قتالاً عنيفاً وفي روح عالية مدفوعين بمبادئ غير واعية كانت مختفية تماماً في نفوسهم، ولم يتحدثوا عنها مطلقاً من قبل.

٤- لقد قاتلت دول صغيرة في الحرب العالمية الثانية ببسالة وإخلاص رغم أنها لم تكن تدين بعقيدة ذات مذهب شائع محدد، كدولتي اليونان ويوغسلافيا. أما الدافع القوي الذي كان وراء قتالهم العنيف فهو كرههم المطلق للنازية وللأساليب التي تبعتها مع الدول التي غزتها من قبل.

وإذا حللنا أفكار ومواقف الأفراد في هذه الدول المتوسطة السابقة (كيوغسلافيا واليونان) نجد أن اتجاهاتهم الفكرية والنفسية كانت واضحة تماماً تجاه كثير من القضايا كفكرة استقلال الوطن ومصالح المجموعة وشرف الوطن... الخ. ومن أجل هذا ينبغي توضيح هذه المبادئ والاتجاهات في عقول الجنود بدلاً من حملهم على اعتناق عقيدة محددة ثابتة.

٥- ومع اعتناق الأفراد كلهم لعقيدة واحدة يؤمنون بها جميعهم إلا أننا نستطيع أن نلاحظ اختلافاً واضحاً في درجة التضحية والإخلاص عند كل فرد.

وهناك كثير من قصص البطولة التي تروى عن أفراد بالذات كانوا يضحون بأرواحهم من أجل مبادئ شخصية تخصهم وحدهم بعيداً عن مذاهب العقيدة العامة مثل حملة القنابل الذين يركضون والموت يحوطهم ليسقطوا رجلاً جريحاً. ومثل قبطان السفينة الذي يترك نفسه ليغرق مع سفينته لأنه يعرف إن بعض رجاله حجزوا في داخلها وتعذرت عليهم النجاة، أو مجرد أن السفينة أصبحت ولا مناص من غرقها فينتحر معها إنه يموت من أجل قيمة اجتماعية أضخم في رأسه من اعتناقه لمذهب معين محدود. فهذه السفينة التي عاش معها أصبحت قطعة من نفسه بل أصبحت عالمه الخاص المتكامل ورجاله الذين يلقون مصرعهم بداخلها أحياء

إليه، فهو يفضل الموت إلى عوارهم عن الحياة بعلمهم في مرارة وهو يختار الموت مكفناً بعالمه الخاص المتكامل (السفينة).

موقف الدول المختلفة من هذه المدارس الثلاث :

إن المدرسة الأولى القديمة التي تعتنق عقيدة القتال هي التي كانت تسود في القرون الماضية وتكاد تنقرض حالياً إلا من أدمغة بعض الرجال القليلين كقيادة الإنكليز في معاملتهم بلدود المستعمرات في الحربين الأولى والثانية.

أما المدرسة الثانية التي تدعو إلى عقيدة عملية ثابتة كالنازية والشيوعية. الخ فهي مدارس الدول التي لا تفصل عقيدتها العسكرية عن عقيدتها السياسية فهي تلقن مبادئ هذه العقيدة لكل من المواطنين المدنيين والعسكريين على السواء. أما مدرسة الاتجاهات الحديثة فهي المدرسة الأمريكية التي تزعزع إيمان جنودها بالعقيدة المذهبية ولكنها تستند في الوقت نفسه إلى عقائد أخرى شعاراتها من أجمل الديمقراطية والعالم الحر لكي تجمع حولها أكبر عدد ممكن من الدول التي تشاركها هذا المبدأ.

الخلاصة :

الرجل لا الآلة هو الذي يكسب الحرب ولم يقض تطور الأسلحة على أهمية العامل البشري بل كل تطور كان يصحبه تطور في الاتجاه المضاد مما كفل بقاء الرجل وصموده، وبذلك ظل النصر يتوقف عليه في ميدان المعركة. وحتى في الحرب الذرية فسيكون النصر للطرف الذي تظل جيوشه البرية تقاوم برجالها حتى النهاية.

ومهما تعددت أساليب الحرب وفنونها فإن روح القتال ستظل تتأثر بأفكار الجنود وعقائدهم واتجاهاتهم الفكرية.

ولقد مضى ميدان المعركة الحديثة على الجندي والذي كانت الطاعة عمياء كل مؤهلاته وأصبح الأمر الآن يتطلب جندياً مؤمناً ومفكراً ذا عقيدة في القتال.

وتشير الدلائل التاريخية إلى أثر العقيدة في رفع روح القتال وإحراز النصر وتدعم الإحصائيات علاقة الروح المعنوية العالية بالعقيدة والإيمان بهدف القتال.

وتؤثر العقيدة في رفع روح القتال في الحرب عن طريق غرس الحماسة في الجنود وزيادة تحملهم، وتغلبهم على الخوف، وزيادة تضامنهم، وإحساسهم بالتعاطف الجماعي المشترك وروح الفريق. هذه العوامل كلها تزيد في كفاية الجنود وفي قدرتهم على القتال وتقويتهم على العدو وبلوغ النصر.

أما في السلم فإن العقيدة تعمل على مداومة تشعير الجنود المسؤولية واستمرار التدريب رغم مصاعبه ومشاقه. أما المشكلات الشخصية للجنود فقد تهون مصاعبها في نظر الجندي المؤمن بعقيدة صادقة.

وباختصار فإن للعقيدة أثرها في النصر سواء في القتال أثناء الحرب أو في التدريب أثناء السلم. إذا تعمل التعبئة المعنوية على إذكاء عقائد الجنود وحماستهم في السلم والحرب.

أما مدارس العقيدة، فإن مدرسة الحرية لا تؤمن بضرورة تعبئة الجنود معنوياً في إذكاء عقيدة القتال بغية فهمهم أو حتى تفهيمهم لهدف الحرب الذي من أجله يقاتلون.

وتؤكد مدرسة العقيدة المذهبية ضرورة اعتناق الجنود لعقيدة مذهبية محددة تتوكز حولها جميع اتجاهاتهم الفكرية ليصلوا صفاً واحداً للدفاع عن هذه العقيدة وبذا يصبح انتصار العقيدة نفسها هو هدف القتال.

أما مدرسة (تنمية الاتجاهات) فهي ترى عدم الاعتماد على عقيدة محددة اعتماداً كلياً لأنها لا تتحمل أحياناً تفسير جميع القضايا والأهداف التي يحارب من أجلها الجنود علاوة على أن الجنود لا يقبلون فكرة (أن الحرب قتال بين العقائد) لذا يجب توضيح الاتجاهات الصحيحة والمبادئ العامة وقضايا الوطن والخطر المحدق به في المواقف المختلفة.

الفصل التاسع

القيادة ونظرياتها

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

القيادة ونظرياتها

يعرف علم النفس الاجتماعي القيادة بأنها :

دور اجتماعي رئيس يقوم به فرد (القائد أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة (الأتباع) ويتسم هذا الدور بأن من يقوم به يكون له القوة والقدرة على التأثير في الآخرين وتوجيه سلوكهم في سبيل بلوغ هدف الجماعة. والقيادة شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي بين القائد والاتباع حيث تبرز سمة (القيادة - التبعية) والقيادة سلوك يقوم به القائد للمساعدة على بلوغ أهداف الجماعة، وتحريك الجماعة نحو هذه الأهداف، وتحسين التفاعل الاجتماعي بين الأعضاء، والحفاظ على تماسك الجماعة، وتيسير الموارد للجماعة.

وهكذا يمكن النظر إلى القيادة كدور اجتماعي أو وظيفة اجتماعية ويمكن النظر إليها كسمة شخصية، كما يمكن النظر إليها كعملية سلوكية والقيادة دائماً تفاعل اجتماعي لنشط مؤثر موجه وليست مجرد مركز ومكانة وقوة. وعلى أي حال فقد تتطلب دراسة عملية التأثير أن نميز بين قيادة (الدفع) وقيادة (الجذب).

وتوحد القيادة من أجل الجماعة حينما تحدث معاييرها وبناؤها للقدرات الخاصة لأحد أعضائها أن تستخدم لصالح الجميع. إن مفهوم القيادة يرتبط بالجماعة أكثر من ارتباطه بالأفراد (كما يقول حبيب).

وهكذا نجد أن القائد هو أي شخص يقود جماعة من الأفراد يؤثر في سلوكهم ويوجه عملهم. فهو بهذا المعنى يكون قدوة لسلوك أعضاء الجماعة ويكون الشخص المركزي في الجماعة.

ويرى علماء النفس الاجتماعي الذي يدرسوا القيادة في ظروف المختبر والحياة العملية بأن القائد هو ذلك العضو من الجماعة الذي يمارس على آراء هذه الجماعة، وعلى اتجاهها لقراراتها، تأثيراً يفوق تأثير الأعضاء الآخرين، وإن انطباق مثل هذا التعريف على القادة المشهورين في الماضي أمر واضح، فلم يسيطر أي شخص في تاريخ الشعب الألماني ما بين عام ١٩٣٣- ١٩٤٥ سيطرة بلغت في قوتها ما بلغته سيطرة هتلر... وفي مجال الثقافة والعلوم فقد كان لأفكار البرت آينشتاين النظرية تأثيرها البالغ في زملائه من علماء الطبيعة وفي المجتمع العلمي بشكل عام، وحتى في الجمهور بعضاء الكبير، كذلك كان تأثير بيتهوفن في الموسيقى، وميكل انجلو في النحت وشيكسبير في الدراما تأثيراً فذاً في زمانهم هم، وفي الأجيال التالية لهم (٣٠- ١٥).

القيادة والرئاسة :

قد يلتبس الأمر على بعضهم فلا يستطيعون التفرقة بين القيادة والرئاسة ولذلك نحسن أن نحدد باختصار أهم الفروق بينهما كما يلي:

القيادة :

تنبع من داخل الجماعة وتظهر تلقائياً وتكون مسبوقة بعملية تنافس عليها من قبل عدد من أعضاء الجماعة، والجماعة هي التي تحدد هدفها وليس القائد والتفاعل الديناميي بين الأفراد شرط أساسي لظهور القيادة. وسلطة القائد يخلعها تلقائياً أفراد الجماعة الذين يختارونه كقائد ويصبحون اتباعاً له.

الرئاسة :

تقوم نتيجة لنظام وليس نتيجة لاعتراف تلقائي من جانب الأفراد بمساهمة الشخص في تحقيق أهداف الجماعة. ويختار الرئيس الهدف ولا تحدده الجماعة نفسها. وتتميز الجماعة بمشاعر مشتركة قليلة، أو عمل مشترك ضئيل وهي تسعى لتحقيق هدف الجماعة. ويوجد تباعد اجتماعي أكبر بين الرئيس وأعضاء الجماعة. يحاول الأول الاحتفاظ به كوسيلة للسيطرة على الجماعة ودفعها لتحقيق مصالحه وتستند الرئاسة إلى السلطة والسيطرة. وهكذا لا يمكن أن نسمي (المرؤوسين) بدقة (الجماعة) على حد تعبير لويس كامل مليكة.

والرئيس الناضج هو الذي يقترب في سلوكه مع الجماعة من القائد، أي أنه يجمع بين صفات الرئيس وصفات القائد.

نظريات القادة

نظرية السمات :

ركزت البحوث المبكرة عن القيادة على دراسة شخصية وسمات القائد وخصائصه الجسدية والعقلية والانفعالية والاجتماعية. وقد قامت نظرية السمات في أول الأمر على أن القيادة سمة موحدة يتميز بها القادة أينما وجدوا بصرف النظر عن نوع القائد أو الموقف أو الثقافة. إلا أن هذه النظرة لم تصمد أمام الواقع، ذلك أن أنواعاً مختلفة من القيادة تنشأ في الثقافات المختلفة، وصحيح أن هناك سمات معينة شائعة بين القادة، إلا أن الدلائل لا توحي بأن القيادة سمة موحدة. وتشير نتائج البحوث والدراسات على أنه ليس هناك سمة عامة أو دلائل موحدة لتفسير القيادة على أساس سمات معينة في كل الحالات.

ولقد أكد بعضهم على توافر بعض السمات العادية أو توافر سمات فوق العادية. وكانت معظم سمات القائد فيما مضى نظرية مبالغ فيها وتصور عما يود الناس أن تكون ولا تدل على ما هو كائن فعلاً. فظهرت قوائم من السمات مثل التدين والخيال والحدس وحتى الإيهام وأحياناً الإتيان بما يشبه المعجزات. وتقدم البحث العلمي حول سمات القائد (وخاصة سمات القائد الجيد). ولم نعد نختارها على أساس افتراضي، ولكنها أصبحت تشتق من نتائج الاختبارات والمقاييس العلمية التي تطبق وتفسر بحرص وعناية وأجريت الكثير من الدراسات عن السمات الجسدية والعقلية والاجتماعية والانفعالية للقادة وبذلك محاولات عديدة للوصول

إلى معايير مناسبة يرجع إليها في الحكم على القائد الجيد لأن بعض السمات المرغوب فيها من الصعب قياسها.

ويلاحظ أن السمات والخصائص والقدرات التي تميز القائد تختلف من جماعة إلى أخرى حسب وظيفتها وتغير هذه الوظيفة تبعاً للظروف الاجتماعية التي تمر بها الجماعة. والقائد، كما يرى هولاندر، ليس شخصاً يتصف بمجموعة محددة وثابتة من سمات الشخصية، ولكنه ببساطة عضو من أعضاء الجماعة يدركه أعضاؤها بتكرار أكثر وبثبات أكبر على أنه يقوم بسلوك تأثيري على الجماعة. ولاشك أن كل أعضاء الجماعة تقريباً تحت بعض الظروف سوف يؤثرون في الآخرين، ولذلك فإن التعرف على القادة ليس مسألة التمسك بوجود كل السمات مجتمعة، حتى لنعد أن التمييز بين القادة والأعضاء الآخرين النشطين يكون غير كامل.

والأمر الذي يجب أن نلاحظه هنا هو أن الفرق بين القائد والأتباع فيما يتعلق بسمات القيادة هو فرق في الدرجة وليس في النوع. وإن الأهمية النسبية لهذه السمات تتوقف على طبيعة المواقف الاجتماعية التي توجد فيها الجماعة، والأهداف التي تسعى الجماعة لتحقيقها وأن أهمية هذه السمات تتغير على مر الزمان بالنسبة للجماعة.

وحول هذه النقطة يرى كوفالوف أن النموذج الأفضل للقائد هو القائد الديناميكي الذي يبدل أسلوب قيادته تبعاً لتطور الجماعة. ويضيف: أن على القائد أن لا يبدل الأسلوب العام لقيادته تبعاً لدرجة تطور الجماعة فحسب بل وتغيير طابع المتطلبات الجزئية تبعاً للظاهرة التي تهمه في اللحظة المعينة: الانضباط، نوعية العمل، أسلوب العلاقات المتبادلة، أو غيرها من الجوانب.

ولقد اسفرت نتائج البحوث والدراسات عن قوائم من سمات القائد الجيد نورد أهمها فيما يلي:

– السمات الجسمية : وهنا نجد أن القادة أميل إلى أن يكونوا أطول من الاتباع، وأثقل وزناً منهم بقليلة حين يشترط في القائد أن يكون أقوى من الجماعة وحين يكون هدف الجماعة هو القتال مع غيرها. وهنا أيضاً نجد أن القادة أميل إلى أن يكونوا أكثر حيوية وأوفر نشاطاً من الأتباع.

– السمات العقلية المعرفية : وهنا نجد أن القادة أكثر تفوقاً من ناحية الذكاء العام من الأتباع، خاصة في الجماعات التي تكون ذات طبيعة أكاديمية، على ألا نوحظ أن القائد الذي تزيد نسبة ذكائه عن متوسط ذكاء أفراد الجماعة بأكثر من انحرافين معياريين يكون الفارق بينه وبين الأتباع واضحاً في الميول والقيم والاتجاهات مما قد يجعل التفاهم بين القائد والاتباع أكثر صعوبة مما لو كان ذكاؤه أقرب إلى متوسط ذكاء الجماعة مع زيادة غير كبيرة. كذلك لوحظ أن القائد يميل إلى أن يكن أغنى ثقافة، وأثرى معرفة وأوسع أفقاً، وأبعد نظراً، وأنفذ بصيرة وأقدر على التنبؤ بالمفاجآت والاستعداد لها، وأغنى مستوى في الإدراك والتفكير وأفضل من حيث الطلاقة اللفظية، وأعمق في الحكم على الأشياء في اتخاذ القرارات.

– السمات الانفعالية : وهنا نجد أن القادة يتصفون بالثبات الانفعالي والنضج الانفعالي وقوة الإرادة والثقة بالنفس، ومعرفة النفس، وضبط النفس.

– السمات الاجتماعية : وهنا نجد أن القادة يتسمون أكثر من الأتباع بالتعاون وتشجيع روح التعاون بين الأعضاء، والقدرة على التعامل مع الجماعة، كذلك نجد أن القائد أميل إلى الانبساطية وروح الفكاهة والمرح بين الاتباع، وأقدر

على الاحتفاظ بأعضاء الجماعة ومراعاة مشاعرهم، وكسب ثقتهم فيه وثقتهم في أنفسهم وهو أكثر أعضاء الجماعة ميلاً إلى المشاركة والإسهام بشكل إيجابي في النشاط الاجتماعي وإنه أكثر من حيث المهارة الاجتماعية، وهو أقدر على خلق روح معنوية عالية في الجماعة وأبرع في لم شملها والإبقاء عليها.

- سمات عامة : وهذه تشمل حسن المظهر المعقول، والمحافظة على الوقت ومعرفة العمل والإلمام به والاقتدار به، والأمانة وحسن السمعة والتمتع بعادات شخصية حسنة، والتمسك بالقيم الروحية والإنسانية والمعايير الاجتماعية والتواضع.

النظرية الوظيفية :

إن القيادة في ضوء هذه النظرية هي القيام بالوظائف الجماعية التي تساعد الجماعة على تحقيق أهدافها. وينظر إلى القيادة هنا في جملتها على أنها وظيفة تنظيمية.

يهتم أصحاب هذه النظرية بالسؤال عن كيفية توزع الوظائف القيادية في الجماعة فقد يكون توزيع الوظائف القيادية على نطاق واسع، وقد يكون ضيقاً جداً لدرجة أن كل وظائف القيادة تنحصر في شخص واحد هو القائد وتتلخص أهم وظائف القائد في الجماعة فيما يلي:

- التخطيط : للأهداف قريبة المدى وبعيدة المدى.

- وضع السياسة : والقائد هنا يتحرك في إطار تتحدث فيه الأهداف من ثلاثة مصادر فوقية من السلطات العليا للجماعة (كما في الجماعات العسكرية)، ومصادر تحتية نابعة من قرار أعضاء الجماعة ككل، ومن القائد نفسه حيث تفوضه

السلطة العليا أو الجماعة نفسها - في حالة الثقة الكاملة فيه - فينفرد بوضع السياسة.

الأيديولوجية : وهنا ينظر إلى القائد كأيديولوجي فهو في كثير من الأحيان قد يعمل كمصدر لأفكار معتقدات وقيم الأعضاء.

الخبرة : وهنا ينظر إلى القائد كمصدر ومصدر للخبرة الفنية والإدارية والمعرفة في الجماعة.

الإدارة والتنفيذ : وتحريك الفاعل الاجتماعي وتنسيق سياسة وأهداف الجماعة ومراقبة تنفيذ السياسة وتحقيق الأهداف.

- الحكم والوساطة : وهنا يكون القائد حكماً ووسيطاً فيما قد ينشب من صراعات أو مشاحنات داخل الجماعة.

- الثواب والعقاب : حيث يكون القائد هو مصدر الثواب والعقاب، وهذا يمكنه من المحافظة على الضبط والربط في الجماعة.

- نموذج يحتذى : ومثل أعلى للسلوك بالنسبة لأعضاء الجماعة.

رمز للجماعة : واستمرارها في أداء مهمتها.

صورة للأب : ورمز مثالي للتوحيد والتقمص.

النظرية الوظيفية :

وتنظر إلى وظائف القيادة والسلوك الذي يعبر عنها والتي يقوم بها الفرد في موقف معين على أنها القيادة. وتشير هذه النظرية إلى أن أي عضو في الجماعة قد يصبح قائدها في موقف يمكنه من القيام بالوظائف القيادية المناسبة لهذا الموقف.

ومن المعروف أن الفرد الذي يكون قائداً في موقف قد لا يكون بالضرورة قائداً في موقف آخر، فقد يصلح الفرد لقيادته الجماعة في وقت الحرب بينما لا يصلح لقيادتها في وقت السلم.

وتقول هذه النظرية ان القائد لا يمكن أن يظهر إلا إذا تهيأت الظروف في المواقف الاجتماعية لاستخدام امكاناته القيادية ويضرب أصحاب هذه النظرية الأمثال للناس بأن قادة الفكرة والعبقرية والمخترعين من أمثال أديسون مخترع الفونوغراف وفورد مخترع السيارة، لو كانا قد ظهرا في القرن السابع عشر حيث لم يكن التقدم العلمي بمعدله وبهذه الطريق لظهور عبقريتهما لما تيسر لهما نيله المكان الذي احتلاه حين مهد التقدم العلمي لظهور هذه العبقرية.

النظرية التفاعلية :

تقوم هذه النظرية على أساس التكامل والتفاعل بين كل المتغيرات الرئيسية في القيادة وهي:

القائد وشخصيته ونشاطه في الجماعة.

الاتباع: اتجاهاتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم.

الجماعة نفسها: بناؤها والعلاقات بين أفرادها وخصائصها وأهدافها وديناميتها الخ.

المواقف: كما تحددها العوامل المادية وطبيعة العمل وظروفه.

وترتكز هذه النظرية على تفاعل القائد مع الأتباع، وإدراك القائد لنفسه وإدراك الأتباع له. وإدراكه لهم، والإدراك المشترك بين كل من القائد والاتباع للجماعة والموقف وهكذا تقوم النظرية في أساسها على أن القيادة عملية تفاعل

اجتماعي فالقائد يجب أن يكون عضواً في الجماعة يشاركها معاييرها وقيمتها واتجاهاتها وأهدافها وآمالها ومشكلاتها وسلوكها الاجتماعي. وحسب هذه النظرية إذن يمكن التعرف على شخصية القائد وعلى الموقف الاجتماعي وعلى التفاعل بينهما.

نظرية الرجل العظيم :

ويؤكد أصحاب هذه النظرية أن بعض الرجال العظام يبرزون في المجتمع لما يتمتعون به من قدرات ومواهب عظيمة وخصائص وعبقرية غير عادية تجعل منهم قادة أياً كانت المواقف الاجتماعية التي يواجهونها ومن أوائل الدعاة إلى هذه النظرية فرنسيس جالتون. ومن أمثلة الرجال العظام المعاصرين الذين تردد ذكرهم كثيراً لينن وتشرشل وابرنهاور وديغول.

السلوك القيادي

اهتم المشتغلون بالبحث في علم النفس الاجتماعي بدراسة السلوك القيادي وأهم خصائص السلوك القيادي ما يلي:

- المبادأة أو الابتكار والمثابرة والطموح: فالجماعة تنتظر من القائد أن يكون أكثر الأعضاء مبادأة بالعمل وأكثرهم قدرة على الابتكار في المواقف الاجتماعية. فهو أول من تتوقع منه الجماعة أن يبدأ بالسلوك والتصرف. كذلك تتوقع الجماعة منه أن يكون أكثر مثابرة، وأقوى احتمالاً، ومستوى طموحه أعلى من الفرد المتوسط.

- التفاعل الاجتماعي: فالجماعة تنتظر من القائد أن يكون أكثر الأعضاء مساهمة ونشاطاً وإيجابية في التفاعل الاجتماعي في شيء أكثر من الود.

الاجتماعي، وبدرجة أكبر من الذكاء الاجتماعي. وتنتظر منه أن يكون أكثر وداً وحرارة في استجاباته الانفعالية.

- السيطرة: قد يكون لدى القائد رغبة أكثر من غيره من أعضاء الجماعة في السيطرة وعلو المركز والمكانة الاجتماعية وتركيز السلطة والقوة في يده.

- التمثيل الخارجي للجماعة: وهنا يعمل القائد كممثل خارجي للجماعة وكسفير لها لدى الجماعات الأخرى والأفراد الآخرين خارج الجماعة.

- العلاقات العامة: وهنا يعمل القائد كضابط للعلاقات العامة الداخلية بين أعضاء الجماعة بعضهم وبعض، وهو يعمل كحارس على سلامة التماسك الاجتماعي.

- التكامل: يعمل القائد على تحقيق التكامل الاجتماعي في جماعته ويعمل على تخفيف حدة التوتر ويعمل على جمع شمل الجماعة، ويخدم مبدأ القيادة الجماعية ويسعى إلى تدعيمه.

- التخطيط والنظام والتنظيم: بالاشتراك مع أعضاء الجماعة يضطلع القائد بقدر أكبر من غيره في عملية التخطيط للسلوك الجماعي للجماعة، وتنظيم هذا السلوك وتنسيقه وتوجيهه وتركيز انتباه الأعضاء على الهدف.

- الإعلام: يلعب القائد دوراً هاماً كرجل إعلام في الجماعة، يطلعها على حقائق الأمور ويظهر لها ما يخفى عنها. فعن طريقه عادة تصل المعلومات إلى أعضاء الجماعة، وتنقل المعلومات منها إلى الجماعات الأخرى.

- التقبل والاعتراف المتبادل بين القائد والاتباع: وبشرط أن يعبر عن هذا التقبل والاعتراف والعلاقات الوطيدة ومراعاة مشاعر الآخرين، وأن يترجم هذا كله سلوكياً.

- التوافق النفسي الاجتماعي: وهذا ضروري جداً في السلوك القيادي، ويربط به الثبات والرزانة وعدم التأثر بالنقد وتقبله بروح طيبة والاستفادة منه، والاعتراف بالأخطاء والمبادرة إلى إصلاحها.

وقد أجرى عالم النفس الاجتماعي كارتر وزملاؤه عام ١٩٥٣ دراسة عن طريق ملاحظة سلوك القادة في مواقف قيادية بأن سجلوا سلوكهم وسلوك أعضاء الجماعة وهم في مواقف التفاعل الاجتماعي. وتمت الملاحظة حيث كان الملاحظون يجلسون وراء حاجز بحيث يرون أفراد الجماعة دون أن يراهم الآخرون وقد وجد الباحثون أن السلوك الذي تميز به القادة أكثر من الأعضاء يتصل بتحليل الموقف والمبادأة ووجدوا أيضاً أن سلوك القادة المعينين لا يتشابه تماماً مع سلوك القادة الذين يختارهم أعضاء الجماعة ويحتلون مراكز القيادة. وتظهر لهم أن هدف وعمل الجماعة يؤثران في طبيعة سلوك القادة ويرون أن سلوك القائد يتلخص أساساً في تحقيق هدف الجماعة وصيانة بناء الجماعة. هذا ويتضح أثر الجماعة في سلوك القائد الناجح فيما يلي:

- تفاعل الجماعة مع القائد ومساعدته على تنفيذ ما يخطط أو يشير إليه مما يصل بالجماعة إلى هدفها المنشود.

- استخدام اللباقة في استثمار اهتمام القائد مما يساعد على إحاسه وتحقيق مصلحة الجماعة.

- إدراك الجماعة أعطاء القائد ومواطن ضعفه حتى يمكن للجماعة توجيهه وسد النقص لديه بلباقة تحقيقاً لصالح الجماعة.

على الجماعة تسوية المسائل البسيطة من تلقاء نفسها تخفيفاً للعبء عن القائد. وقد اتجه بعض الدارسين على بحث الدوافع إلى القيادة التي تجعل بعض أعضاء الجماعة يسعون إلى احتلال دور القيادة، ولاحظوا أن القادة يختلفون - حسب شخصياتهم - بالنسبة للدوافع التي تدفعهم إلى القيام بدور القيادة وقد وجد الباحثون أن أهم الدوافع إلى القيادة هي:

- الرغبة في الجزاء المادي.

- الحاجة إلى السيطرة من حيث الشعور والسلوك، والمكانة، وتأثيرها الحاجة إلى الخضوع والتبعية والاعتماد على الغير من جانب الأتباع.

- قوة القائد بالنسبة للاتباع، والحاجة إلى الشعور بالقوة والرغبة في استخدامها في معاملته للأتباع.

- الحاجة إلى المكانة العالية والشهرة مما يضفي على القائد قوة وسلطة وتعود عليه بجزاء مادي.

القائد والاتباع

يمكن أن نعدّ الاتباع هم عناصر القيادة على الأقل من ناحيتين:

أولاً: لا يمكن أن يكون هناك قادة دون اتباع.

ثانياً: القيادة تتعلق عن طريق إدراك أفراد الجماعة أن عملاً يقوم به أحدهم يؤثر تأثيراً إيجابياً في تقدم الجماعة نحو تحقيق هدفها. ومن ثم اختياره قائداً لها.

ولذا افترضنا أن القائد هو أهم الجماعة وأهم عضو فرد فيها، وأنه هو مركز سلوك أعضاء الجماعة، وهو الشخص المركزي في الجماعة له أكبر سلطات فيها، فإن هذا لا يعني أن باقي الأعضاء (الاتباع) ليس لهم أهمية في التفاعل الاجتماعي. إن العلاقات المتبادلة بين القائد والاتباع تتضح في الاتصال بين الطرفين وتتحدد من خلال التفاعل الاجتماعي وتحديد المعايير الاجتماعية وأدوار كل من القائد والأتباع كذلك فإن علاقة الاتصال هذه ليست ذات طرف واحد.

ولقد سبق أن رأينا أن الفرق بين القائد والاتباع فيما يتعلق بسمات القيادة والسلوك القيادي إنما هو فرق في الدرجة وليس في النوع.

أما عن العلاقات الانفعالية بين القائد والأتباع، فإنها اما أن تقوم على الحب واما على الخوف وفي دراسة للعالم حيسب عام ١٩٥٤، وجد أنه إذا كان الحب شديداً والخوف شديداً، كانت العلاقة أبوية وإن كان الحب كبيراً والخوف قليلاً أو منعدماً، كانت العلاقة تقية وإن كان الحب قليلاً أو منعدماً والخوف كبيراً كانت العلاقة طفيلياً.

القيادة العسكرية

القيادة العسكرية هي فن التأثير في الرجال وتوجيههم نحو هدف معين بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم، وكلها لابد منها لإحراز النصر في المعركة وتحقيق الهدف.

والقائد العسكري الجيد هو الذي يتحلى بالسمات القيادية الديمقراطية والثقافة العامة، والتدريب العملي، والصحة النفسية، وفي هذا قال القائد الإنكليزي

مونتغمري لابد أن يتعمق في دراسة علم النفس وبخاصة نفسية خصومه، أما مكان القائد فقد حدده القائد الالماني روميل قائلاً (إن مكان القائد في مقدمة الصفوف وليس في الخلف مع هيئة الأركان) ونابليون بونابرت، الذي بدأ عسكرياً ووصل إلى عرش الامبراطورية، فقد قال كل جندي يحمل عصا الماريشالية في حقيبته.

ومن دلائل النجاح في القيادة العسكرية، ارتفاع القدرة القتالية للجماعة والتزام الأفراد بقواعد الضبط والربط، وارتفاع الروح المعنوية، وسيادة روح الفريق.

ويهتم المسؤولون في القوات المسلحة بما يسمونه تربية فن القيادة فتنمية المهارة في القيادة على أساس أن القيادة هبة واكتساب، ويجب ان تكون ديمقراطية (بناء جيش من الأحرار) كما يهتم المسؤولون بتنمية الشعور بالمسؤولية والتدريب العملي، ودراسة التاريخ العربي، وخلق قادة جدد (البديل) منذ زمن بعيد قال الحكيم الصيني سانما: (القائد يصنع أكثر مما يولد).

إنك تستحق لقب القائد العظيم إذا صفقت قواتك بصورة فنية، وركزتها بطريقة صحيحة، ودفعتها للقتال في الوقت المناسب، وأدرتها بحكمة وكفاءتها بحق وحرصتها بعناية، ووزنت الأمور بدقة.

ولا يذكر أحد أهمية القائد الجيد وبخاصة أن الجماعة في القوات المسلحة عليها واجب مقدس وعظيم يتوقف على حسن أدائها لواجبها كرامة الوطن نفسه ويضع الكثيرون العبء الأكبر على القيادة.

وفي هذا قال نابليون بونابرت (لا يوجد جندي رديء، بل يوجد ضابط رديء).

وقد تعددت الآراء بخصوص الكفاية العسكرية، وفيما يلي بعض هذه الآراء:

رأي سقراط: توفير المؤن والعتاد، ووضع الخطط والقدرة والنشاط في تنفيذها وقوة الملاحظة والذكاء والشفقة والقسوة، والصراحة والعدالة والدهاء واليقظة والإسراف، والبخل، والكرم، والعفو، وفن القتال.

- رأي ليدل هارت: روح القيادة، الشجاعة المادية وقت الخطر، والصمود الروحي وقت الشدة وروح الإدراك، والمعقول، والعبقرية العسكرية.

- رأي المارشال ويفل: الصلابة، والشباب، والذكاء، والشجاعة والمرونة والتصرف بعد المعلومات الناقصة، والإدراك العام، ومعرفة الشؤون العامة ومعرفة كافة الأسلحة والتكتيك والاستراتيجيات والتطور العلمي، واحترام التخصص والاتصال الدائم بالجنود ومطالعة حياة القادة ومذكراتهم وقراءة أحداث التاريخ.

- رأي المارشال مونتغمري: مراعاة العامل الإنساني، والاحتفاظ بثقة الجنود، دراسة نفسية الجنود التعمق في دراسة علم النفس وخاصة نفسية الخصم.

- رأي العماد مصطفى طلاس: القائد هو راعي مرؤوسيه ومصدر نشاطهم وهو الرقيب والمشرف هو الحسيب أو الملكم، وهو من يعرف ومن يأمر ومن يعاقب وكلنا من نحمي مرؤوسيه، ويسهر على مصالحهم ويدافع عنهم، وهو مطالب أن يكون عادلاً في معاملة مرؤوسيه وقدوة لهم، ويجب أن يكون أيضاً

شجاعاً مقداماً ذا إرادة قوية وثابتة، ويتحمل المسؤولية بلا تردد ملماً بمبادئ الحرب وقادراً على اتخاذ القرار السريع الواضح في الوقت المناسب وذو خيال خصب ورؤية واضحة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة النصر ولا تثبط عزيمته مرارة الهزيمة. وإضافة إلى ذلك أن يكون القائد سابراً لأغوار النفس البشرية، وذو لياقة بدنية عالية تمكنه من مشاركة رجاله في تحمل مشاق القتال وأهواله.

* ويتحدث القادة العسكريون عن أنواع القيادة العسكرية تحت اسم:

القيادة الإقناعية: وتعتمد على قدرة القائد ومهارته. ومن محاسنها سيادة روح المحبة والقدرة والروح الإيجابية والإقبال على العمل وحسن التصرف.

القيادة الارغامية: تعتمد على قوة القائد وسيطرته. ومن عيوبها عدم الرضا وعدم القدرة والجمود وعدم الحب والشعور العدائي والكبت والانفصال وسيادة روح السلبية.

عموماً يمكن القول إن من مبادئ القيادة العسكرية التخصص في هذا النوع من القيادة، ومعرفة الرجال والجنود، والعمل على رعاية شؤونهم والمداومة على إعلام الجنود (وضعهم في الصورة) والقدوة والمثل الأعلى. للجنود، والتأكيد على أن المهمة المطلوب عملها مفهومة، وجعل الأوامر حاسمة ومقبولة والإشراف على تنفيذها وتدريب الرجال على العمل كفريق، وجعل القرارات سليمة وحاسمة في الوقت المناسب، والبحث عن الذي يمكنه تحمل المسؤولية وتنمي تنميتهم، واستخدام القيادة طبقاً للقدرات الشخصية له واستخدام الوحدة طبقاً لقدرتها، وتحمل مسؤولية الأعمال وعدم الهرب منها.

ومن الأساليب الناجحة في قيادة الجندي: اقامة روابط المحبة والاحترام المتبادل بين القائد والجندي، والاهتمام برعاية شؤون الجندي، والاشراف

بشخصيته، والمحافظة على كرامته، والجمع بين الحزم واللطف في معاملته، واستخدام كل من الثواب والعقاب بحكمة واستغلال تأثير الكلمة الطيبة والمشاركة الوجدانية، واستغلال ذكاء المهندي وسائر الخصائص الإيجابية للمهندي مثل التدين والإيمان بالله وبقضائه وقدره، والتماسك مع الآخرين والروح المعنوية وروح الفريق. كذلك يجب تنمية الخصائص الإيجابية لديه مثل المرونة والشهامة والحصانة، والرجولة، والبعد عن التسرف والكراسة، والعاطفة، والبساطة، والتقشف، والشجاعة، وقوة التحمل والصبر والعناد، والذكاء، وروح الدعابة.

وفي الوقت نفسه يجب العمل على التخلص من الصفات السلبية وعلاجها وأهمها: عدم الموضوعية والمبالغة، والتهويل، والاستكانة وحب الاستقرار والرغبة والسعي نحو الراحة، واللامبالاة والبعد عن المسؤولية والتظاهر بالقدرة أو بالمعرفة أو بالفهم على غير أساس والقسوة اذا لاحت الفرصة للتحكم والتسلط.

جامعة دمشق Damascus University

اختيار القادة

يلجأ بعضهم إلى طريقة الاختبارات الموقفية لدراسة القيادة واختيار القادة. وفي هذه الطريقة يوضع عدد من الأفراد في موقف يقومون فيه بسلوك اجتماعي مثل مناقشة موضوع أو حل مشكلة.. الخ ولا يكون من بينهم من أعطي أي مسؤولية وبعد ذلك يلاحظ أيُّ الأفراد أكثر مبادأة وأنشط وأكثر تأثيراً في سلوك الآخرين وهذا هو القائد. وقد وجد أن هذه الطريقة أفضل من مجرد النظر إلى اختبارات الشخصية وتقدير السمات كوسيلة لاختيار القادة وقد سبق أن لاحظنا أن القيادة تختلف من موقف ومن جماعة إلى جماعة. فقد تنتقل القيادة من فرد إلى آخر عندما يتغير الموقف فمثلاً قائد المناقشة قد يترك المجال لغيره لقيادة تنفيذ الخطة التي تمخضت عنها المناقشة. وقد لاحظ (جيب) ١٩٤٧ بعد أن درس الاختبارات الموقفية في الجيش الألماني والقوات المسلحة البريطانية والجيش الأمريكي والقوات المسلحة الاشتراكية، وفي الصناعة أن سمات القائد والأتباع لا تظهر في فراغ ولكنها تظهر في المواقف الاجتماعية التي تتطلب السلوك القيادي.

وفي الجيش الأمريكي أثناء الحرب العالمية الثانية استخدمت طرائق لاختيار القادة لمهمات حربية، مثل أعمال المخابرات وغيرها على أساس تحليل التفاعل والاختبارات الموقفية، أي على أساس من ملاحظة السلوك في نماذج مصغرة من المواقف العملية التي يختار لها القادة، وقد اشتمل الجزء الرئيسي من عملية الاختيار على برنامج يستغرق ثلاثة أيام متتالية من الملاحظة والاختبار خلال فيها المرشحون للقيادة معاً في جماعات صغيرة تحت ملاحظة دقيقة مستمرة من رجال مكتب الخدمات الاستراتيجية بالجيش الأمريكي. وقد شمل البرنامج بعض الاختبارات الاستبيانات المكتوبة، واختبارات إسقاطية ومقابلات شخصية، وملاحظات عامة

في ظروف عادية. وقد صمم لهذا الغرض عدد كبير من الاختبارات الوظيفية كما حبس فورها مما سبق استخدامه في الجيش البريطاني والألماني.

وقد ساهم علماء النفس في اختيار المرشحين لمراكز الضباط في الجيش البريطاني بوساطة مجلس أمن الضباط الأمراء. وقد ذكر فرنون وباري (١٩٤٩) أن اختيارهم كان يتم بطريقة تحديد السمات العامة للقائد، أي عن طريق تقدير المرشحين حسب عدد من السمات التي يظن أنها تميز القادة عن غيرهم، وعن طريق إجراء مقابلات شخصية مع المرشحين لتقدير هذه السمات وقياسها.

وقد وجد الباحث أن ٢٢٪ من أصل ٤٩١ ضابطاً تم اختيارهم وفق هذه الطريقة هم الذين ثبت بعد فترة أنهم في مستوى فوق المتوسط ٤١٪ في مستوى متوسط ٣٧٪ دون المتوسط. ويقرر فرنون ١٩٥٣ أنه استخدمت المقابلة فقط في الاختبار وكان معامل صدقها منخفضاً ويتضح من ذلك أن هذه الطرائق التقليدية لاختيار القادة بعيدة إلى حد كبير عن الكمال (٥- ١٤٣- ١٤٤).

ويوصي بأن تسهم الاختبارات النفسية مثل اختبارات الذكاء، واختبارات الشخصية واختبارات الطرائق النفسي.. الخ في زيادة صدق الاختبار، هذا وقد حاول فولدمان وفرانس (١٩٦٥) انتكشاف آثار طرائق اختيار القادة في سلوك الجماعة. وهذه الطرائق هي:

- اختيار الجماعة للقائد بالانتخاب (قائد منتخب).

- اختيار القائد حسب القدرة على القيام بعمل محدد في الجماعة (قائداً مختاراً).

- تعيين القائد (قائداً معيناً).

- لا يوجد قائد في الجماعة (دون قائد).

وطلب هلان الباحثان من كل جماعة بحث كل طريقة للقيام بعمل معين، وحسب الزمن الذي استغرقه الأداء وعدد المحاولات المستغرقة. فيما يتعلق بالزمن أو وقت الأداء كان أحسن أداء نظام القائد المختار يليه نظام القائد المنتخب يليه نظام دون قائد، ثم نظام القائد المعين وفيما يتعلق بعدد المحاولات المستغرقة كان أحسن أداء نظام القائد المختار يليه نظام القائد المنتخب يليه نظام القائد المعين ثم نظام دون قائد.

وهكذا خلص الباحثان إلى أن نظام اختيار القائد يؤثر في أداء الجماعة ومن أهم ما يلاحظ أن الجماعة دون قائد تفوق في الأداء الجماعات ذات القائد المعين. وعلى العموم فإن الجماعات ذات القائد من حيث الأداء والزمن الذي تستغرقه أفضل من الجماعة دون قائد بشرط أن يكون هذا القائد مختاراً. أي أن لطريقة اختيار القائد أثراً مهماً في أداء الجماعة.

ومن هذا نستخلص أيضاً أن الأتباع يظلون قائدهم إذا اختاروه أو إذا أثبت هو في سلوكه أنه جدير بالقيادة، وخاصة أنه لم يكن يعلم أن حسن أدائه كان تلقائياً حيث لم يكن يتنافس من أجل القيادة. ولقد لاحظ الباحثان أيضاً أن الجماعات ذات القائد المعين والجماعات دون القائد قد يكون القائد فيها كفئاً أو غير كفء بالمصادفة وفي كل من الحالتين لم تصل الجماعة إلى أداء أحسن.

عموماً نستخلص مما عرضنا في هذا الفصل أنه إذا نظرنا إلى القيادة كسمة من سمات الشخصية فإن معظم سمات الشخصية تكتسب، وإذا نظرنا إليها كدور اجتماعي فإنه يتحدد في إطار معايير اجتماعية مكتسبة أيضاً. وهذا يجعلنا نرى بطلان القول القديم (إن القادة يولدون ولا يصنعون) ومن ثم فليس هناك حاجة إلى

التدريب على القيادة. إن النظرة الحديثة إلى القيادة هي أنها يمكن تعلمها وتعليمها وأن القائد يصنع أكثر مما يولد. ومن ثم يجب الاهتمام بتدريب القادة الجدد.

قال رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل العاشر

الدعاية والدعاية المضادة

Damascus University

الدعاية والدعاية المضادة

تعد الدعاية من الوسائل والأدوات الفعالة التي تستخدمها الدول كافة في تنفيذ سياستها الداخلية والخارجية وفي تحقيق أهدافها في حالتي السلم والحرب، وتعد الدعاية أيضاً بمثابة القطاع المقابل من الجبهة الايديولوجية، وواسطة هامة من وسائط التحصين العقائدي والسياسي لكوادر الضباط والجنود وسائر الجماهير الشعبية الأخرى من أجل تعبئتها بشكل فعال لتنفيذ مهامها الدفاعية والسياسية والاقتصادية، والعمل الدعائي ليس بالعمل الحديث، وإن كان في الوقت الحاضر قد تطور تطوراً كبيراً وملحوظاً من حيث الوسائل والأساليب وذلك بحكم التقدم العلمي والتكنولوجي الذي شهده القرن العشرين، لدرجة ذهب بعض المختصين في مجالات الدعاية والإعلام إلى القول بأن القرن العشرين هو قرن الدعاية والنشر.

ونظراً لأهمية الدعاية في الوقت الحاضر، فقد قامت الدول على اختلاف مذاهبها وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية برصد الإمكانات وتخصيص الطاقات والوسائل العلمية والتقنية وقامت بتأهيل العديد من الكوادر في هذا المجال وقد احتل الاتحاد السوفياتي مركز الصدارة بين الدول في هذا المجال، حيث قام - لينين - بتطوير مفاهيم الدعاية واستخدامها على أحسن الوجوه محدداً الأغراض من الدعاية ومستنداً إلى معطيات الاشتراكية العلمية في هذا المجال.

أما في الدول الغربية فقد بدأ الاهتمام الكبير بالدعاية منذ الحرب العالمية الأولى، حيث تأسس في بريطانيا عام ١٩١٨ قسم للدعاية المضادة برعاية اللورد نورث كليف، كما تأسست أيضاً جمعية عالمية لهذا الغرض ضمت كلاً من

بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، واتخذت لندن مركزاً لها. وفي ألمانيا النازية أعادت الدعاية على يد -غوبلز- وزير الإعلام النازي أبعاداً جديدة وفاعلية كبيرة، كما أن إيطاليا الفاشية أعارت الدعاية اهتماماً كبيراً..

وحاولت الحرب العالمية الثانية تعطي للعمل الدعائي أبعاداً جديدة ومتنوعة في الوسيلة والأسلوب، ولم يمض الوقت الطويل بعد توقف العمليات العسكرية للحرب العالمية الثانية حتى شهدت الدعاية إحدى واجهات الحرب البارزة، واكتسبت أهمية كبيرة في التأثير على عقول الأفراد والجماهير في العالم بأسره وزاد من أهمية الدعاية في المجتمع الدولي بعد الحرب العالمية الثانية المعاصر وجود نظامين سياسيين اقتصاديين متباينين:

النظام الاشتراكي، والنظام الرأسمالي. ويجب أن نميز بين أهداف الدعاية الرأسمالية الإمبريالية وأهداف الدعاية الاشتراكية، فالأولى موجهة لقهر الشعوب واستغلالها في حين أن الثانية موجهة لخدمة الجماهير الشعبية وإزالة الاستغلال والاضطهاد عنها، ومساعدتها في التحرر من الاستعمار بكل أشكاله ووسائله.

١- تعريف الدعاية :

تنوعت وتباينت التعاريف للدعاية. ويرجع هذا التنوع والتعدد إلى اختلاف المنابع الفكرية التي تنهل منها الدعاية، فالدعاية بوجه عام هي فن إقناع الآخرين بأن يسلكوا في حياتهم سلوكاً معيناً ما كانوا ليسلكوه بدونه.

والدعاية تعني التأثير السياسي في وعي الجماهير وإرادتها عن طريق تعبئتها لتنفيذ المهام التي يواجهها شعبنا العربي وتحقيق الخطط الموضوعة من قبل قيادة الحزب والدولة لبناء المجتمع والدفاع عن الوطن.

ومن التعاريف المقبولة للدعاية التعريف التالي: الدعاية علم يبحث في فن قيادة العقول والنفوس والإرادات البشرية بمختلف الوسائل، نحو مواقف مرسومة وجماهيرة، والهدف من هذه المواقف تحويل الرأي العام والتأثير به (٣٠- ٤٧).

ويجب أن نشير إلى أن الدعاية لا تعتمد على التلاعب بالعواطف ودغدغتها فقط وإنما تعتمد على الإقناع العقلي دون أن تهمل العاطفة ذلك لأن الحدود الفاصلة بين العقل والعاطفة غير موجودة، فالجانبان متداخلان لا تفصل بينهما حدود، وكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر. ومن هنا المنطلق فإن الدعاية التجارية لا تكتفي بمجرد استثارة المستهلك عن طريق مخاطبة عواطفه، بل لابد لها أيضاً من إقناعه، وهذا لا يتم إلا عن طريق تقديم معلومات كافية عما يقدمه البائع ومميزات السلعة التي يود البائع بيعها.

وهناك شروط لابد من توافرها لنجاح العمل الدعائي وهي: ابتعاده عن الإثارة والإقناع بالسلوك العملي والتطبيق، ومراعاة ظروف كل مرحلة من المراحل الكفاحية، ومعرفة خصائص المستهدفين الذين تمارس الدعاية في أوساطهم كذلك توجد شروط لنجاح الدعاية وهي: أن تكون الدعاية مفهومة وواضحة في معناها وأسلوبها وتعتمد على البساطة في اللفظ وتبتعد عن المصطلحات المعقدة والألفاظ الرنانة، وأن تكون أيضاً صادقة تلبي حاجات الجماهير وتثير اهتمامهم في الوقت الذي تعتمد فيه على البراهين والأدلة والحجج المنطقية والمعلومات الدقيقة... الخ.

وفي القوات المسلحة السورية ترتكز الدعاية على شرح أهداف حزب البعث العربي الاشتراكي وسياسته وبرامجه. وشرح المهمات الملقاة على عاتق القوات المسلحة في مواجهة أعداء الأمة العربية في الداخل والخارج، وتعبئة المكتسبات الثورية والقفزات الاشتراكية لجماهير شعبنا. إضافة إلى فضح الطابع

العدواني للإمبريالية والصهيونية وأساليبها من أجل إثارة الحماس الوطني والثوري عند المقاتلين وتنمية روح الحقد على الإمبريالية والصهيونية.

٢- أنواع الدعاية :

هناك عدة أنواع للدعاية نذكر منها:

أ- الدعاية البيضاء: وهي الدعاية التي تصدر عن مؤسسات رسمية في الدولة تنشر الآراء الرسمية أو تنقل الأخبار والمعلومات عن المصادر المعروفة.

ب- الدعاية السوداء: وهي الدعاية التي تصدر عن دولة معادية أو منظمات متواطئة ضمن البلد ذاته. وغالباً ما يكون وراء هذا النوع من الدعاية مصدر معلن مثل إذاعة- هيفا... الخ.

جـ- الدعاية الرمادية: هذا النوع من الدعاية يعتمد على ترويج الإشاعات عن طريق إسنادها إلى مصادر غير محددة كإحدى الإذاعات الأجنبية- إذاعة صوت أمريكا مثلاً- والدعاية الرمادية مجهولة الهوية والمصدر ولا تتقيد بمصدر واحد ومحدد.

د- الدعاية المضادة: وهي النوع من الدعاية الذي يصارع آراء الخصم ويسعى لابطال مفعول دعايته ويدحض آراء العدو وخططه. وغرض هذه الدعاية هو بث الشكوك وتنمية الأحقاد والفرقة بين قوات العدو وسكانه وإجبار العدو على الاستسلام والقضاء على روحه المعنوية وتفتيت جبهته الداخلية.

هـ- الدعاية الاستراتيجية: وهي الدعاية التي توجه ضد قوات العدو والشعوب المعادية والمناطق الصديقة التي يحتلها العدو، وهذا النوع من الدعاية بالإضافة إلى الخطط الحربية الموضوعة تستهدف تحقيق أغراض موضوعية مدروسة

في فترات قد تمتد أسابيع أو أشهراً أو سنوات. كما توجه الدعاية الاستراتيجية إلى سكان العدو المدنيين.

و- الدعاية التكتيكية: وهي التي تتعلق بالخطط المرحلية، توجه إلى عدد معين من المستمعين وتأتي تدعيماً لعمليات حربية عملية.

ز- الدعاية الداخلية: وهي الدعاية التي توجه إلى السكان المدنيين في المناطق المحتلة من قبل العدو كالدعاية التي توجهها إلى سكان الأرض المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي هضبة الجولان، وذلك لدعم وتنمية روح النضال والمقاومة ضد الاحتلال الصهيوني.

ويوجد أيضاً تقسيم آخر للدعاية يعتمد على العلاقة بين نشاط الدعاية والدعاية المضادة التي يقوم بها العدو. مثل الدعاية الدفاعية، والدعاية الهجومية.

الدعاية الدفاعية: تهدف إلى الاحتفاظ بنوع من النشاط الاجتماعي أو القيام على المستويين المدني والعسكري المتفق عليه والمعمول به والدفاع عنه بشكل مركز، كالدعاية التي تتم في مؤسسة إنتاجية لأحد المشاريع بغية تحقيق زيادة في الإنتاج وخفض التكاليف.

أما الدعاية الهجومية: فهي التي تستهدف وقف أي نشاط اجتماعي لا يرغب فيه القائم بالدعاية أو التوجه وتحويله إلى نشاط جديد مرغوب، ويتحقق إما عن طريق وسائل ثورية- في نفس المجتمع- أو عن طريق وسائل دولية دبلوماسية أو حربية- بين مجتمعات مختلفة.

والمثل على ذلك هو الدعاية التي تهدف إلى بث اليأس عند العدو الصهيوني وذلك من خلال التأكيد على اصرار العرب على حماية وطنهم والدفاع عن حقوقهم وتحرير ما تم اغتصابه بالقوة من العدو.

أما من حيث مضمون الدعاية فيمكن أن نميز بين نوعين من الدعاية المباشرة وغير المباشرة.

الدعاية المباشرة : هي التي تظهر بصورتها الواضحة والصريحة للشعب مثال: خطاب الرئيس إلى مواطنيه، وخطاب القائد العسكري إلى مرؤوسيه.

أما الدعاية غير المباشرة : فهي الدعاية التي تحاول الوصول إلى أهدافها بصورة غير مباشرة دون أن تظهر بشكل علني أو بشكل واضح.

٣- تحليل الدعاية المضادة :

أ- تعريف الدعاية المضادة :

الدعاية المضادة هي الدعاية التي تهدف إلى مصارعة آراء الخصم وتحطيم معنوياته وشل مقاومته وإجباره على الاستسلام والفرار من المعركة أو التردد في تنفيذ الأوامر، كما تهدف إلى نشر الفوضى والبلبلة والاضطراب بين صفوف وقوات العدو ودب حالات الذعر والخوف الانهيار النفسي بين عناصره وفقدان التوازن وشل إرادة الصمود والقتال لدى جنوده وتحطيم معنوياته وخلق حالات الانقسام والفوضى بين أفراده وسكانه المدنيين ومنعه من إحراز النصر أو التقدم.

ب- خطة الدعاية المضادة :

يجب أن تكون خطة الدعاية المضادة مبنية على مبادئ أساسية وقواعد معينة نذكر منها:

- تحديد مبادئ الخصم أو العدو وأفكاره: إذا عرفنا العناصر المكونة لدعاية العدو، أمكننا عزلها وتقويمها حسب درجة أهميتها، وبذلك يسهل دحضها. كما أن تحليل دعاية العدو إلى أجزائها ومكوناتها ومن ثم ترتيبها حسب أهميتها يسهل للصديق محاربتها، ولابد من إبعاد القوالب اللفظية الرمزية المؤثرة في العاطفة عن أفكار العدو، لكي يسهل مهاجمتها الواحدة تلو الأخرى، واكتشاف التناقض فيها.

- مهاجمة النقاط الضعيفة في دعاية العدو: يجب اكتشاف نقاط الضعف ومهاجمتها بقوة. وهذه قاعدة أساسية في كل استراتيجية. فمن الطبيعي عند مواجهة تحالف الخصوم توجيه الجهد للتصدي لأقهمهم وأكثرهم تردداً. فالدعاية تركز ضده في بادئ الأمر. والثورة على نقطة الضعف في الخصم واستغلالها هي القاعدة الأساسية في كل دعاية مضادة ناجحة.

٣- عدم مجابهة دعاية العدو وجهاً لوجه عندما تكون هذه الدعاية في أشد قوتها، وإنما استخدام وسائل غير مباشرة للتأثير عليها ومن ثم إضعافها والانقضاض عليها بعد ذلك.

٤- مهاجمة العدو والتقليل من شأنه. وذلك بإسكات دعاية العدو المضادة وجعل العدوّ في موقف الدفاع دائماً، لأن المدافع دائماً أقل شأناً واحتراماً من المهاجم.

٥- تحليل دعاية العدو وإبراز التناقض فيها: وتشكل الأرقام والحقائق والوقائع أقوى السلاح للرد على دعاية العدو وليس ثمة رد قاهر مثل ذلك الذي تقدمه الوقائع فإذا أمكن الحصول على صورة فوتوغرافية أو على شاهد يكذب ولو في نقطة واحدة حجة الخصم، انهارت حججه كلها من الأساس ومثال على

ذلك: إبراز قائد طائرة معادية ثم إسقاطها على شاشة التلفزيون بعد نفي العدو إسقاط أي طائرة له في المعركة الجوية.

٦- الاستهزاء بالعدو: إن مهاجمة أساليب العدو الدعائية وفضحها ونشر النكت والقصص المخلة عنه يسبب له توتراً وأرقاً حقيقيين.. فالاستهزاء بالخصم يقلد أسلوبه وطريقته في الجدل ينشر النكات عنه والقصص الصغيرة المضحكة ذات السخرية القاسية. ولا نستطيع إحصاء الوسائل المختلفة التي يمكن بوساطتها السخرية من العدو فهي تكون فظة أحياناً إلا أنها فعالة أما النكتة فلها تأثير قوي وقد يكون تأثيرها أقوى من تأثير ألف خطاب بشرط ألا تخرج بذلك عن الصيغ الأدبية المعتادة لنيل رضا المستمع واحترامه.

٧- المفاجأة والمبادأة: يجب أن نسبق الخصم في الأعمال الدعائية، ونفاجئه بحقائق ووقائع مستمدة من تصرفات قيادته، فكلما كانت المبادأة والمفاجأة في جانب الصديق، أعطى تأثيراً نفسياً ومادياً قوياً للقائمين على الدعاية وكذلك في أوضاع الرأي العام الذي نوجه إليه العمل الدعائي. يضاف إلى ذلك ضرورة عدم ترك العدو يسيطر على الموقف ويخلق انطباعاً بوجود إجماع لصالحه، بل على العكس يجب إظهار الصديق بمظهر القوة وغرس الخوف في نفس العدو والعمل على مفاجأته.... وعدم السماح له باستخدام أسلوب المفاجأة.

يجب على القائمين في فروع التوجيه السياسي والنفسي والعاملين في مجال الدعاية المضادة القيام بعملية تحليل دعاية العدو المضادة مرتين كل يوم الأولى في الصباح والثانية في المساء حيث يتم تجميع كل الأخبار والإشاعات والدعايات التي قامت أجهزة العدو بنشرها وإذاعتها سواء من الإذاعات أو وكالات أنباء أو

صحف أو مكالمات.. الخ ويتم وضع أولويات حسب أهمية كل خبر وطريقة معالجته بالوسائل الآتية:

آ- هل يجب الرد على النبأ مباشرة أو بطريقة غير مباشرة أو أن النبأ لا يستوجب الرد وفي أي وسيلة دعائية يجب الرد عليها ، هل في الصحيفة أو في الإذاعة.. الخ؟ لابد من وجود أولويات لكل الأخبار والتعليقات المعادية ووسائل الرد عليها.

ب- قد يتم في بعض الأحيان تجميع الأخبار المعادية، والرد عليها دفعة واحدة في نشرة إخبارية واحدة، وفي هذه الحالة يتم تحطيم الدعاية المعادية والتلاعب من جذورها.

جـ- إذا كانت الدعاية المضادة (المعادية) قوية، فمن الصعب مهاجمتها في أشد عنفوانها ولابد في هذه الحالة من التريث بعض الوقت والعودة للرد عليها المرحلة تلو الأخرى.

د- إن كشف التناقضات في الدعاية المعادية للعدو سواء في أقواله أو أفعاله يدعم دعاية الصديق ويعطيها القوة التي تؤهلها لاستقطاب الرأي العام ونيل ثقته.

وهناك عدة وسائل للتأثير على جماهير المستمعين يستخدمها القادة والموجهون السياسيون والأجهزة والمنظمات الحزبية والسياسية ومنها المطبوعات (صحف، مجلات، كراسات، منشورات، لافتات... الخ) ثم الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والصور.. الخ.

ففي مجال المطبوعات توجد الوسائل التالية:

أ- الصحف :

تشكل الصحافة الأداة الرئيسة للدعاية المضادة، وتقوم بدور رئيسي في عمال الدعاية من خلال ما تنشره من أخبار وتعليقات ومقالات وقصص، وما تتضمنه من صور ورسوم وإعلانات متنوعة.

والصحافة سلاح مهم جداً من أسلحة الدعاية لما تلعبه من تأثير كبير في تشكيل الرأي العام ونظراً لما تتميز به من سرعة الانتشار وإمكان الاقتناء.

ب- الكتاب المبسط :

كثيراً ما تستخدم الدعاية أسلوب الكتب المبسطة لشرح الأحداث السياسية الهامة والتطورات البارزة التي تخص الفئات من الدعاية المعادية، وتنمي لديه فكرة البحث والاطلاع، وكمثال على هذا النوع من المطبوعات، تلك الكتب التي تصدرها الإدارة السياسية وتوزعها على الضباط بين الفترة والأخرى، مثال كتاب الجندي في الملعب العسكري الإسرائيلي والذي يعطي فكرة عن أسلوب القيادة والتنظيم في المجتمع الإسرائيلي.

ج- الكراسات :

والكراس شأنه شأن الكتاب يعد من أسلحة الدعاية المضادة ويحقق هدف الكتاب نفسه ولكنه يتميز عنه بقلة التكاليف وسعة الانتشار والتوزيع.

د- الإعلان والمنشور :

يجب أن يكونا موجزين ومؤثرين: فالمنشورات أو الأوراق الطائرة تستخدم على نطاق واسع جداً في الحرب النفسية لأنها تعطي الدراسة الوافية عن أحوال العدو وظروفه التي يعانيها وتوزع بوساطة الطائرات أو قذائف المدفع أو القنابل

ويمكن القول إن الإعلان والنشور من أهم وسائل الدعاية المضادة وذات الأثر النفسي الهام الذي يلعب دوراً أساسياً في دفع قوات العدو إلى الاستسلام.

هذا وتعد الإذاعة الأداة الرئيسية لبث الكلمة ونقلها إلى ملايين الناس في مختلف الأمكنة وفي وقت واحد، وتتميز هذه الأداة بسرعة الرد على الأعداء عن طريق التعليقات الإذاعية والأخبار عن سير المعارك. وتعتمد الحرب الكلامية على هذه الأداة اعتماداً كبيراً لما تفعله من قطاعات الناس مهما اختلفت مواقعهم وما تناله من اهتمام الناس.

وتستخدم الجيوش المتحاربة مكبرات الصوت كوسيلة إذاعية لبث أفكارها ودعايتها.

بالإضافة إلى ذلك هناك وسائل أخرى مثل: السينما والمسرح والغناء والموسيقى والصور أو الشعارات... الخ، بالإضافة إلى الوسيلة التي تعتمد على السمع والبصر وهي - التلفزيون ونظراً لأدخال وسائط مادية فنية جديدة في الإعلام، فقد توسعت استخدامات وسائط التلفزة السينمائية وأجهزة التسجيل الصوتي، ولكل من هذه وغيرها من وسائط المطبوعات أشكال خاصة يستخدمها الباحثون للتأثير في وعي الناس ومشاعرهم.

جامعة دمشق Damascus University

قواعد وقوانين الدعاية

١- قانون التبسيط :

تعتمد الدعاية قبل كل شيء- وفي جميع ميادين عملها- في التبسيط حيث تجزئ عقيدتها وحصرها إلى نقاط معدودة محددة بوضوح قدر المستطاع ولابد أن يكون في متناول الدعاية سلسلة من الدساتير والبيانات والتصريحات والشعارات والبرامج والعبارات المختصرة.

وتسير الدعاية في طريق مبسط وعلى غاية من الوضوح كما في الأمر اليومي والشعار والرمز. فالأمر اليومي يلخص الهدف المطلوب بلوغه أما الشعار فهو يبعث التأملات ويثير الحماسة والحقد على العدو بصورة أكثر فعالية مثل شعار حزب البعث العربي الاشتراكي في الوحدة والحرية والاشتراكية.

٢- قانون التضخيم والتسوية :

إن تضخيم الأخبار طريقة صحفية مألوفة لدى صحافة سائر الأحزاب والتنظيمات حيث تقوم بجمع الأخبار المتنوعة مع اتجاهها وتزيد في إبرازها حسب وجهة نظرها. واستخدمت الدعاية النازية باستمرار الخبر كوسيلة لتوجيه الأذهان لأنه يقوم بعمله وهو مشحون بدعاية مؤثرة فعالة.

٣- قانون التوزيع والتكرار :

إن أول شرط يجب توافره في الدعاية الجيدة التكرار دون ملل لموضوعاتها الرئيسة فالدعاية تجب اقتصارها على عدد قليل من الأفكار وتكرارها دون وهن،

لأن الجماهير لا تتذكر حتى أبسط الأفكار، إذا لم يُعد على مسامعها مئات المرات.

تثبيت الموضوع مع توزيع العرض وتسميته صفة رئيسية لجميع معارك الدعاية يضاف إلى ذلك أن الشرط الأساسي لكل توزيع ناجح هو في جميع الأحوال تحقيق المطابقة بعناية فائقة بين اللهجة والصنعة من جهة والجماهير المخاطبة من جهة أخرى. فواجب رجل الدعاية مخاطبة جماهير الناس وباللهجة المناسبة للجموع الواضحة وليست باللغة الثقافية التي يفهمها هو نفسه أي صاحب الدعاية.

ب- قانون التحويل :

لابد من اكتشاف أذواق الجماهير وعاطفة عقولها وعواطفها لذلك لابد من عملية (تحويل) حقيقية وبثقلة تدابير حذرية للقضاء على كل دعاية سيئة والقضاء الدعاية القابلة للهضم من قبل الجماهير.

ولقد كان أضعاف هذا الأسلوب هو عقل نفسه إذ كان في كل خطبة يلجأ إلى خلق موضوع جديد في الدعاية لتحويل أنظار العدو إلى موضوع جديد.

ج- قانون الإجماع والعدوى :

إن مهمة الدعاية هي تدعيم الإجماع في الرأي وخلقه. فالجماعة لها دورها البارز على رأي الفرد وتوجيهه وفق مصالحها.

ولابد من خلق الانطباع بتوفر الإجماع واستغلاله كوسيلة لإثارة الحماسة ووحدة الأفكار والرأي.

إن الإجماع دليل قوة في الوقت نفسه أيضاً. وإنه هدف من أهداف الدعاية أن تعبر عن وحدة أنصارها وتقويتهم على المخصم. فالرموز والشارات والأعلام واللباس الموحد والأناشيد تؤلف كلها (مناخ قوة) لا غنى للدعاية عنه، وأكثر وسائل العدوى انتشاراً هي المظاهرات الجماهيرية والمؤتمرات العامة والمسيرات وغيرها، ويمكن عن طريق هذه الوسائل التكشف بسهولة عن العناصر المهيأة لتمثل الجمهور كياناً واحداً.

والخلاصة : فإن الخمسة الأمريكية الصهيونية التي تعرض لها قطرنا وأمتنا العربية، والتي تستخدم طائرات وسائل الضغط والتهديد لفرض حقوق العرب المشروعة، تستخلص منا العمل بمختلف وسائل الدعاية والكلمة سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

إن العدو الإسرائيلي والقوى الصهيونية تسيطر سيطرة كبيرة على أغلب وسائل الإعلام الغربية- فإلى جانب سيطرتها على أغلب وكالات الأنباء العالمية فإن لها (٨٩٠) جريدة ومجلة تنطق باسمها أو تسير وفق مخططاتها وخاصة في العالم الرأسمالي الغربي ويمكننا إيجاز أهداف الدعاية الصهيونية الموجهة ضد العرب بما يلي:

آ- تحطيم إرادة القتال وشل روح الصمود والقضاء على الروح المعنوية للمقاتلين.

ب- تحطيم وحدة الجبهة الوطنية التقدمية في قطرنا العربي السوري والإساءة إلى الجبهة الداخلية وبث روح التفرقة والعداء بين صفوف الجماهير الشعبية.

ج- بث اليأس والشك بين أفراد الجيش والتشكيك في قدرة القوات المسلحة في إمكانية تحقيق النصر.

د- تسعى الصهيونية إلى التشكيك في إمكان العرب وقدرتهم على الصمود والتصدي، وتحاول الإيقاع بين العرب وأصدقائهم.

هـ- التشكيك في القيادة السياسية لقطرنا وزعزعة الثقة بها وتشويه مواقفها في الصمود والتصدي للعدوان.

و- يحاول العدو من خلال أساليبه الدعائية الإساءة إلى تاريخ والقيم العربية والنيل من حضارة أمتنا العريقة.

من خلال كل ذلك يتبين لنا مدى الأهمية الحالية للدعاية وكونها تشكل دعامة الحرب الحديثة، وهذه الحرب التي لم تعد مجرد مواجهة عسكرية مسلحة، بل أيضاً صراعاً بين الآراء والمبادئ والقيم والمعنويات ونظراً لهذا الدور المتزايد للحرب الراهنة فإن التخصص وإقامة المعاهد الدعائية وتأهيل الكوادر اللازمة في الدعاية أصبحت من الأمور التي تفرضها متطلبات الحرب الحديثة وطبيعة الحياة المعاصرة.

جامعة دمشق Damascus University

الفصل الحادي عشر

الحرب النفسية وعلم النفس

Damascus University

الحرب النفسية وعلم النفس

الحرب النفسية هي جزء من الحرب الشاملة، هدفها تحقيق النصر السايكولوجي على العدو عن طريق تخفيض معنوياته وجعل جنوده يتوقفون القتال، وجعل شعبه مهيأ للخضوع والاستسلام وهي موجهة إلى الفكر والعقيدة والشجاعة والثقة بالنفس وضد الرغبة في القتال.

والحرب النفسية حرب دفاعية وهجومية لأنها تهي قدرات ومعنويات الشعب والجنود، بينما تحطم في الوقت نفسه معنويات العدو، ويمكن أن تشن قبل الحرب، وأثناءها، وبعدها، وهي لا تخضع لرقابة أو قانون ولا لمعاهدات الحرب وليس لها مجالس أو ميدان معركة مثل وصف الأرض أو نظام للمعركة إنها عملية مستمرة وليس لها أعداء.

ويظهر نجاح الحرب النفسية أو فشلها بعد شهور وربما بعد سنوات من تنفيذها ولكن وقت المعركة تظهر نتائجها مباشرة... ونجاحها يمكن أن يكون ساحقاً برغم صعوبة تقديره، كما أن فشلها يمكن أن يكون قاتلاً، وان كان ملموساً، ولكن يمكن الكشف عنه وادراكه.

مفهوم وتاريخ الحرب النفسية :

منذ أن عرفت البشرية الحروب، كان هدف تجريد الخصم من الروح المعنوية وإرادة القتال عاملاً في كل صراع كما أنه اعتبر أقصر طريق لإيقاع الهزيمة به وفرض الإرادة عليه. وهذا ما نسميه في عصرنا الحاضر باسم - الحرب النفسية - حيث كان تأثيرها في الحروب القديمة رهيباً، إلى حد كان يقرر مصير بعض المعارك.

وتعتمد القوى الإمبريالية على الحرب النفسية في إخضاع الشعوب اعتماداً كبيراً. فالقيادة الأمريكية مثلاً ترى أن المهمة الأساسية للحرب النفسية هي فرض الإرادة على العدو بغير الطرائق العسكرية وإنما باستخدام الدعاية المنظمة لمعنوياته.

ويقول موشي دايان في هذا الصدد أيضاً: (إننا نستهلك كمية كبيرة من الذخيرة الغالية الثمن لندمر مدفعاً واحداً من مدافع العدو أليس من الأفضل والأرخص أن نستعمل الدعاية والحرب النفسية كوسيلة أخرى لتشل الأصابع التي تضغط على زناد هذا المدفع؟) (٣٥- ١٦٣).

وقد تأخذ الحرب النفسية الموجهة ضد دولة معادية شكل ضغوط سياسية وتهديدات وإنذارات أو تكون على شكل حصار اقتصادي لإضعاف الطاقة الاقتصادية للعدو، أو قد تأخذ شكل بث أفكار انهزامية استسلامية، أو قد تظهر على شكل غارة حربية مفاجئة وخاطفة لأجل تحطيم الروح المعنوية وإضعاف ثقة العدو بنفسه وإشعاره بيأس موقفه وضعف قوته الحربية.

وقد تشجع الحرب النفسية بعض مظاهر الانحلال الخلقي، وضعف الشعور القومي في أوساط الشعب المعادي، فتحرض الأفراد على الاهتمام بمصالحهم الشخصية والأنانية، وعدم الاكتراث بالمصالح العامة عن طريق إشاعة عناصر تخريبة عميلة تبث أفكار التشكيك والتردد وانعدام الثقة أو قد تمارس ذلك بترويج الإشاعات المغرضة والدعاية المفرقة للصفوف.

لقد أدى التطور في صناعة الحرب الحديثة إلى الشمول بحيث تمتد المعارك لتشمل كل الجبهات وبكل ما يمكن استخدامه من أسلحة.

وفي الحرب الشاملة هناك جبهة داخلية، كما توجد جبهات قتال، وجبهة عسكرية، وجبهة اقتصادية، وجبهة نفسية سايكولوجية.

إن الحرب الاقتصادية والحرب النفسية والحرب العسكرية تشكل معاً الحرب الشاملة. إن هذه الحروب الثلاث الاقتصادية والنفسية والعسكرية مرتبطة بعضها مع بعض بحيث يكون النصر العسكري نصراً اقتصادياً إذا كانت نتيجة الاستيلاء على كميات كبيرة من موارد العدو أو قطع طرق الإمداد الهامة له، كما أن النصر العسكري قد يكون نصراً سيكولوجياً إذا استطاع أن يخفض معنويات العدو ويجعل جنوده يتوقعون الهزيمة أو يهيىء شعب العدو للاستسلام والخضوع. ولا فائدة من الانتصار العسكري إذا أدى إلى هزيمة سيكولوجية.

انتصر اليابانيون في معركة بيرل هاربر على الأمريكيين ولكنهم خسروا الحرب لأن هذا الهجوم وحد صفوف الأمريكيين وتناسى الناس الخلافات والفرقة والانقسام بين صفوفهم وتجمعوا للعمل من أجل غرض واحد هو سحق اليابان.

يظهر نجاح الحرب النفسية أو فشلها بعد شهور وربما بعد سنوات من تنفيذها ولكن وقت المعركة تظهر نتائجها مباشرة.. ونجاحها يمكن أن يكون ساحقاً برغم صعوبة تقديرها كمياً، كما أن فشلها يمكن أن يكون قاتلاً وإن كان غير ملموس ولكن يمكن الكشف عنه وإدراكه.

والحرب النفسية لا تتوائم مع النظريات المألوفة للحرب، والعلم العسكري رغم تطوره إذ أن قوام العدو، والمبادأة بالحرب والاعتراف بالحايدين وتعيين الأعداء وإعلان السلم. تعد كلها مشكلات سياسية وتخرج عن نطاق مسؤولية القائد، وحتى في استخدام القوة دون قيام حالة حرب فإن القائد يقوم بها فقط عندما توصف طبيعة العملية بوساطة السلطات الأعلى.

أما في الحرب النفسية فإن ميدانها يختلف من ناحية عدم استطاعة السلطات السياسية تحديد مفهومها تحديداً وافياً، إذ تبدأ الحرب النفسية نظراً لطبيعة أسلحتها وأدواتها ونظراً للمهمات التي تشتمل عليها قبل إعلان الحرب بوقت طويل.. وتستمر بعد أن توقف السلطات العدائية العلانية... وغالباً ما يتعذب العدو في الحرب النفسية التعريف بنفسه فهو يقضي أكثر الوقت وراء صوت الوطن، والدين أو الصداقة أو الصديق.

ولا يستطيع الضابط أو المقدم إلى أن يدرس كل طبيعة الحرب لكي يدرك واجبه ويعرف طريقه فالتقاليد والمهارة العسكرية والنظام والعقوبة الصحيحة هي التي تريد له ذلك.

والحرب النفسية لا تعدو أن تكون مجرد آلة تستخدم في مناسبة خاصة إذ صارت عاملاً تاماً وشاملاً في الموقف العسكري له أثره في أي قوة على ظهر الأرض وهي جزء من الحرب التي تعرفها بأنها قتال رسمي منظم بين الرجال.

والفرق بين الحرب والمجزرة أن الحرب قتال عقلاني أما عملية قتل الرجال الذين لا يدافعون عن أنفسهم فهي مجزرة.

إنك لا تستطيع قتل العدو وقت الحرب إلا إذا فعلت ذلك باسم الدولة وإلا بعد التأمل جرماً. والحرب ليست مجرد شر وميل إلى القتل وإلا لما كانت هناك حاجة إلى مهمات أو كان الحرب إذا كانت مجرد مجزرة من الوحشية، إن الحركة العقلية عملية أصولية فلسفية معقدة فنياً.. فالجندي يجب أن يقتل ليبقى الناس الذين يجب أن يقتلوا بطريقة صحيحة وبالتوقيت الصحيح، وأن تكون هذه الأغراض معروفة ومعترف بها.

الغاية من القتال هي محاولة كل طرف تغيير آراء الآخر، وأحياناً لا يمكن استمالة بعض الأفراد وإقناعهم ولذا فمن الضروري عزلهم أو تحييدهم أو قتلهم واعتقالهم أو سجنهم.

يتوقف القتال غالباً بين الأطراف قبل أن يصلوا إلى مرحلة الفناء التام فإما.

١- أن يفقد المهزومون كل القدرة على التنظيم لفشلهم في الاتفاق على القيادة والأساليب. ومن ثم فإنهم يفضون أيديهم من القتال لأنه لم يعد في استطاعتهم القتال كمجموعة (رئيس الولايات الكونفدرالية الجنوبية ترك القطار مع رئيس وزرائه في ريتشموند والذين استقلوا القطار للجنوب أصبحوا لاجئين.

٢- وإما أن المهزومين يظلون محافظين على تنظيمهم ويستخدمون تنظيمهم السياسي للاتصال بالعدو ولترتيب إنهاء الحرب عن طريق الوسائل المنظمة للتفاوض مع رغبات المنتصرين.

(اعتراف بريطانيا باستقلال أمريكا- عندما وقعت فنلندا ما أملته عليها روسيا- وعندما قرر اليابانيون التوقف عن القتال).

٣- وأحياناً قد يحل كل هذا معاً إذا أراد أفراد الشعب أن يحل السلام مكان الحرب ولكنهم يجدون أن حكومتهم لا تحفل باعتراف العدو.

ولئن كانت الغاية هي قتل الأعداء فإن الحرب بالأساس تقوم ضد عقول الأعداء وليس ضد أجسامهم لتشويهها.

الحرب أساس نفسي :

في الكتب التي ألفت لدراسة الرابع الثالث سميت باستراتيجية الإرهاب أو بحرب الأعصاب.. وأغلب هذه الدراسات تقدم تجارب شخصية ودراسات في الطب النفسي والعقلي.

* وخلصوا في نتائجهم إلى أن الجهد الحربي الألماني تركز في ناحيتين:

١- اللمقة في توقيت الجهود السياسية والعسكرية في وقت واحد معاً.

٢- الاستخدام المفيد لنتائج علم النفس الحديث لتحقيق الأهداف العسكرية وإدراكها.

ولقد استخدم الألمان تقنياتهم العسكرية وحربهم النفسية لدرجة أن التشيك سلموا أرض السوفييت دون طلقة واحدة.

وفي نهاية الأمر فإن العناصر التي جعلت الحرب النفسية ممكنة في بداية الحرب العالمية الثانية هي نفسها التي أدت إلى عقم ألمانيا وإلى خرابها الكامل عام ١٩٤٤- ١٩٤٥ وهذه العناصر هي:

١- السلطة الزائلة على الجند.

٢- الشعب الذي يعيش دون إحساره بحقيقة الموقف.

٣- الدعاية المركزة.

٤- التخطيط السياسي السري.

ويمكن تمييز نوعين من الحرب النفسية: النوع الأول هو الحرب النفسية الاستراتيجية وهي تلك الدعاية الموجهة إلى فئات العدو، مدنيين وعسكريين. أما

النوع الثاني فتعني به الحرب النفسية التعويقية، وهي الدعاية التي توجه إلى تشكيلات العدو في ميدان القتال.

أولاً – وسائل الحرب النفسية :

تستخدم الحرب النفسية وسائل مختلفة منها المنشورات التي تلقى فوق ميادين القتال، المعادية بواسطة الطائرات، أو تقذف عن طريق قنابل مدفعية مصممة خصيصاً لهذا الغرض أو توزع من قبل الجواسيس والعملاء وعناصر المقاومة المحلية.

وقد ألقى سلاح الطيران الأمريكي في حرب فيتنام أكثر من (٨٠) مليار منشور، أما الطيران الانكليزي فقد ألقى على الجبهات في الحرب العالمية الثانية أكثر من (٦٠) مليار منشور.

ومن بين الوسائل الأخرى المستعملة في تنفيذ الحرب النفسية الإذاعات اللاسلكية وعمليات الإذاعة الميدانية. أما في حالة وجود اتصال مباشر مع العدو أو التواجد في مكانه فيمكن استخدام مكبرات الصوت التي استخدمت على نطاق واسع من قبل الإسرائيليين للتأثير في معنويات الجيش المصري أثناء الحرب في جبهة سيناء في أثناء حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ أو استخدام في هذه الحالة أيضاً القنابل الضوئية إذا كانت وضعية التضاريس ثابتة لمدة طويلة وفي ظروف قتال الشوارع وفي المدن الكبرى.

وتعد الدعاية المرئية من الإذاعات مطبوعة أو مصورة فوتوغرافية أو رسوم كاريكاتورية قد تساعد عليها الأجهزة المخابراتية، وقد ترسم بالفرشاة أو بعض أجهزة الكمبيوتر الحديثة.

ثانياً- مبادئ أساسية في الحرب النفسية :

تعتمد الحرب النفسية على معطيات علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها. وقد لخصت استخداماتها الكثيرة في الحرب العالمية الثانية وما بعدها، عن مبادئ أساسية واسعة تعارف عليها الخبراء نذكر فيما يلي بعضها باختصار:

١- التهديد والتصلب في الدعاية:

يجب أن ينطلق التهديد في الدعاية من موقف قوة وتفوق وسيطرة في ميدان القتال إذا لم يسبق تاريخ الحروب عن حالة واحدة تم فيها استسلام تشكيل معاد بمجرد توجيه النذار دعائي إليه غير مقترن بالقوة.

وكقاعدة، إن التهديد بالقوة لا يكون فعالاً وناجعاً إلا إذا سبقه أو أعقبه مباشرة استعمال القوة كبرهان عملي على قيمة التهديد. إذ ليس هناك ما يضر بالدعاية مثل التهديد بدون تضمينه للمدلول العملي له.

والجيش الإسرائيلي يتقن هذا المبدأ تماماً، حتى أنه قد أعلنه على الملأ العام كسياسة ثابتة له. فوزير الدفاع الإسرائيلي كان قد صرح أمام المراسلين الأجانب بتاريخ ١٩٨١/٣/١٢ أن سياسة الحكومة الإسرائيلية هي دك عاصمات المخربين في جنوب لبنان فوق رؤوسهم، في كل مرة تطلق فيها رصاصة واحدة على جنودنا إلى الحد الذي أصبح الجميع يتوقعون بصورة آلية عدواناً إسرائيلياً على جنوب لبنانه في اليوم التالي لإطلاق أي صاروخ كاتيوشا على إحدى المستوطنات الجليلية.

وكان مناحم بيغن قد سبق الجيش الصهيوني في إرهاب الشعوب وإشاعة قانون الثأر إشباعاً لرغبته في سفك الدماء والتوسع. فقد كانت تهديداته وإنذاراته

مرهبة حقاً لأنها مدعمة بقوة هائلة، حتى أن دولاً بكاملها قد استسلمت بعد أول إنذار، وبدون أن تطلق طلقة واحدة من الطرفين.

وهناك قاعدة أخرى تقول، إن الدعاية لا تكون مؤثرة إذا اتخذت طابعاً دفاعياً فلو ناشدنا إسرائيل عشرات السنين، وحاولنا إقناعها بضرورة الانسحاب من الأراضي المحتلة امتثالاً لقوانين المجتمع الدولي، فإنها لن تنسحب بالتأكيد، إلا إذا شعرت أن القوة العربية قد تنامت إلى الحد الذي أصبحت فيه تهدد وجودها فالحرب النفسية في الأساس هي هجومية وليست دفاعية.

ومن ناحية ثالثة إذا كان هدف العدو مهماً نفسياً ومعنوياً للاستسلام حينئذ يكون التهديد المدعوم ببرهان عملي (مثل قصف مدفعي جوي كثيف) دافعاً له إلى اليأس وبالتالي إلى الاستسلام. أما إذا كان غير مهماً نفسياً بعد، وكانت الأكثرية الساحقة لأفراد تشكيلة بهذا الموقف أيضاً، فمن المحتمل أن يستقطب التهديد في هذه الحالة نوعاً من المقاومة المتعصبة المتزمتة، والصمود في القتال حتى النهاية.

٢- بث التفرقة وتنمية الشعور بالأنانية:

إن توسيع شقة الخلاف بين حليفين معاديين، وزرع بذور التفرقة بين الضباط من جهة، وضباط الصف والجنود من جهة أخرى، أو بين الجيش والشعب.. الخ كل ذلك هو من الأهداف التي يتوق إلى تحقيقها اختصاصي الحرب النفسية الثورية.

لقد ألقى الألمان في الحرب العالمية الثانية على الجيش البريطاني صوراً تظهر فيها فتيات بريطانيات معردن من لباسهن، واعتدي عليهن من قبل الأمريكيين، في محاولة لإثارة غيرة الجنود البريطانيين وتحريض نقمتهم على حلفائهم الأمريكيين.

ومن ناحية أخرى، فإن النيل من الشعور الجماعي لأفراد العدو في محاولة لفرط عقدهم، يمكن أن يأتي عن طريق تعزيز الأنانية الفردية ودفعهم إلى تفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ونشر الفضائح والاغتيالات، بغرض التشكيك وزرع القلق في النفس.

إن كل هذه المحاولات تساهم في إضعاف روح التضامن بين أفراد العدو كما أن استغلال العواطف العائلية والأبوية وتنمية الاهتمامات بالحاجات الشخصية، تؤدي إلى الانسلاخ عن الشعور الجماعي والمثل العليا الجماعية.

أما بالنسبة لعدونا الصهيوني فهناك العديد من نقاط الضعف التي يمكننا النفاذ منها لتفريق صفوفه. فمثلاً يمكن استغلال تلك الهوة السحيقة بين اليهود الشرقيين (السفارديم) وبين اليهود الغربيين (الاشكنازيم) ونقطة الضعف هذه هي ثغرة حقيقية وخطيرة في بنيان المجتمع الإسرائيلي، اعترف بها مناحيم بيغن نفسه أثناء زيارته لمستعمرة (كفرهيلل) بتاريخ ١٩٨١/٣/٩ حيث أعرب لسكانها الذين ينتمون إلى أصل يمني، عن مشاركتهم الأسف بسبب النظر إليهم بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية. وكذلك يمكن إثارة النقمة ضد الصقور والأحزاب المتطرفة التي تنادي بسياسة التوسع ومواصلة الحروب وسفك الدماء في مقابل تشجيع التيار المعتدل الذي ينادي بالتعايش مع العرب ضمن كيان محدود السكان والأرض.

٣- صدق الدعاية :

إن القاعدة الأساسية في الدعاية هي أن تكون صادقة. وانتهاج الحقيقة في الدعاية ضرورة والتزامها أكثر من أخلاقية. ذلك لأنه إذا لم يراع الصدق فيها، فإن الحقائق نفسها أو الأعداء سيكشفون الزيف وعدم صحة الدعاية.

يقول الرئيس حافظ الأسد في هذا الصدد نريد للإعلام أن يكون صادقاً، وأن يمارس النقد بحرية إذ لا قيمة للأخبار إذا لم تكن صادقة.

ويقول لينين في هذا المجال أيضاً : (إن قوة الدعاية تكمن في صدقها، وفي إمكانياتها العلمية وبراهينها، وإن الدعاية هي أحد الشروط الرئيسية لتحرير وعي جماهير جنود العدو وسكانه من مخلفات الأوهام والأساطير. وتحتل الوقائع الصحيحة والموثوقة هي أكثر الأشياء صلابة وبالتالي أكثرها فاعلية).

إلا أن مبدأ الصدق هذا رغم ضرورته، فإنه في بعض الأحيان يتعذر الالتزام به كاملاً. ذلك أن الحقيقة نفسها قد تكون ضارة إذا لم تكن النفوس مهيأة لتقبلها فلقد أشير إلى موشي دايان بعدم الذهاب إلى مبنى التلفزيون في الساعات العصيبة من اليوم الثاني لحرب تشرين التحريرية لمواجهة (الشعب الإسرائيلي) بحقائق الهزيمة كاملة، حيث قالت له جولدا مائير: إذا قلنا الحقيقة والكارثة على الأبواب فإنه سيندلع الذعر).

وفي الواقع شهد عالمنا المعاصر في الفترات الأخيرة ألواناً مختلفة من المراوغات والالتفاف حول الحقيقة، حتى أضحى الصدق في الدعاية أزمة حقيقية. فالدبلوماسية البريطانية المشهورة بالمكر ترى أن الصدق في الدعاية السوداء ليس ضرورياً، بل المهم هو قابلية التصديق. فإذا استطاعت الدعاية أن تبدو كأنها صادقة، وأن تصيح في الظاهر بالحقيقة، فإنها تكون قد حققت أهدافها. وذلك لأن الدعاية السوداء ليس هدفها إعطاء المعلومات ولكن هو حرب نفسية.

أما النازية فكانت السباقة في التضليل والخداع، إذا أن المبدأ الجوهري في الدعاية النازية لدى وزير الدعاية الألماني (غوبلز) كان: (إن الكذب عندما لا يكون في الإمكان دحضه يبقى مقبولاً ومفيداً) وهذا المبدأ تستخدمه إسرائيل في

دعايتها السيئة بمهارة فائقة، فهي مثلاً لا تقول: وصادت طائراتنا إلى قواعدها سالمة إلا إذا تأكدت تماماً أنه لم يسقط لها أية طائرة خارج حدودها. أما طائراتها التي تسقط داخل حدودها فلا تعرف بها إطلاقاً لأنها يمكن أن تستر عليها بسهولة أن يكتشف كذبها.

والمدرسة الأمريكية عبر عنها عبير الدعاية النازية (ج. جوبلز) قائلاً: (في الحرب النفسية يمكن للكذبة أحياناً إذا اقتضى الموقف، إلى الأخبار الملفقة والابتزاز والاستفزاز وغيرها من الطرائق المشابهة.

وهذا المبدأ الدعائي الأمريكي أوضحه (ف. ستونتين) حيث قال: (ولا شيء إطلاقاً يلزم الدعاية بأن تكون صحيحة وصادقة. يجب أن تكون مشابهة للحقيقة وأن تظهر وكأنها حقيقة. أما أن تكون صحيحة وصادقة فلا ضرورة إطلاقاً لذلك).

ثالثاً: تقدير فعالية الحرب النفسية ونتائجها في ضوء قوات العدو :

إن معرفة تأثيرات الحرب النفسية على معنويات العدو هي أمر صعب لسببين:

أ- إنه من المستحيل الفصل بين التأثير الذي يلحق بمعنويات العدو عن طريق ضربات النيران القوية والعمليات العسكرية الحاسمة كالقتال والتطويق وبين التأثير الذي يحدث عن طريق المنشورات والإذاعات والدعاية المرئية الموجهة للعدو وما شابه ذلك.

ب- في الواقع إن تأثيرات الحرب النفسية تعتبر تأثيرات تراكمية، وإن النتائج في أكثر الحالات لا تظهر إلا بعد فترة طويلة من الزمن، وبسبب ذلك فإنه لابد من

استغلال مختلف المصادر وجميع المؤشرات التي تدل على فعالية الحرب النفسية- وقد استخدمت عدة طرائق لهذه الغاية منها:

١- ملاحظة مطابقة التغيرات بين نسبة استقبال الأسرى والمستسلمين وعمليات الحرب النفسية الميدانية.

٢- عدد النشرات التي في حوزة الأسرى تعطي دليلاً على مدى وصول المنشورات إلى تحقيق أهدافها.

٣- استجواب الأسرى. إن تذكر الأسرى بمحتوى النشرات والنداءات واللافتات المرئية والملاحظات التي تصدر حولها من قبلهم، وكذلك مناقشات أفراد العدو فيما بينهم حول تلك النشرات، والنداءات كما كان يراها أسرى العدو عند استجوابهم.. الخ كل هذه الأمور يهتم بها خبراء الحرب النفسية التعويلة للتأكيد من تأثيرات هذه الوسائل الدعائية على أفراد العدو.

٤- تقارير المراقبين: تعد تقارير المراقبين المحايدين والمتسللين والعملاء وسيلة مهمة. ولكنها بصورة عامة تأتي متأخرة.

٥- التغيرات في معنويات العدو: وبخاصة فعالية القتال وسلوك العدو وأنواع الأسرى المستقبلين.

٦- إجراءات العدو المضادة: إن الإجراءات والتدابير المضادة من جانب العدو، تعد أعظم مقياس تقيم بموجبها تأثير الحرب النفسية الميدانية، لأن القائد الممتاز لا يضيع الوقت والجهود في الدفاع ضد عملية لا يهابها، أو يكون مجرد إزعاج، ولذلك عندما يقوم العدو بمقاومة الهجوم النفسي فإنه يفعل ذلك لأنه تأثر به.

علاقة الحرب النفسية بعلم النفس :

هناك أمثلة من التاريخ تدل على نجاح الحرب النفسية وادارتها من قبل أشخاص ليس لديهم معرفة بقواعد هذا العلم. يدعون مثلاً لم يكن يعلم شيئاً عن قواعد علم النفس ولكنه استغل الغريزة حوانب ناقشها هذا العلم في إرهاب العدو والقضاء على معنوياته فاستطاع أن يحقق النصر.

وبالمثل فان التاريخ مليء بقادة استطاعوا استخدام علم النفس بدرجة عالية من المهارة الفنية، ولكننا لا نستطيع اليوم انتظار الموهوبين لتطبيق نظريات هذا العلم في حروب العصر دون دراسة أو تخطيط. ونستطيع القول إن علم النفس الحديث يدور حول الغرائز والعواطف أكثر مما يدور حول التحليل، كما يهتم بدراسة نفسية المجموعات والمنظمات.

وتتساءل ماذا يستطيع أن يقدم عالم النفس للحرب؟

يستطيع عالم النفس أن يساهم بمجهود فعال في هذه الحرب من خلال ما يلي:

١- جذب انتباه الجندي إلى العناصر المكونة للعقل البشري ماذا يفيد ذلك؟ .عليه أن يتفهم الطبيعة البشرية ليفهم نفسه وزملاءه، وعلى الضباط أن يتعلموا كيف يفسرون ويؤثرون على سلوك مرؤوسيهم.

٢- يستطيع أن يتحكم في عقلية الفرد وتفكيره ويحول سعة الحيلة الفردية إلى حين وحور جماعي.

٣- يستطيع أن يحول الثقة إلى اعتزاز في الشخصية والاستسلام والتكاسل إلى ثورة عاتية.

٤- يستطيع عالم النفس أن يوضح الوسيلة الفنية أو التكنيكية التي تهدف إلى إيضاح ما يكمن به العمل حقيقته. فهو باعتباراته العلمية المتواصلة على الموارد التي يحصل عليها بطرق عقلية العمل.

(مثال قياس نتائج اختباره لعدد معين من أسرى العمل في مسرح معين من مسارح الحرب وفي فترة معينة وبهذه القياسات يضع تقديراً منطقياً معقولاً، ويمكنه أن يوضح إلى حد كبير الوسائل التي قد يسأثر منها العمل وعست لظروف خاصة معينة.

وقد لا يتوافر لعالم النفس الأسرى إلا أنه يعتمد على تحليل الأنباء والدعايات التي تذيعها سلطات العمل وإلى شعبها أو جنودها في الميدان.. وبهذه الوسيلة يستطيع ممارسوا الحرب النفسية (علماء النفس) تفهم الأمور الغامضة وحل الكثير من المشكلات التي لو أسيء تقديرها لأدت إلى أسوأ النتائج. وعلى المختص النفسي في الدعاية أن يتبع ما يلي:

١- إحسار العمل بالموضوعات التي يعالي بها وتهمه- (الوضع الاقتصادي مثلاً لماذا التضخم الاقتصادي لماذا الإضرابات التي تحدث بين عمال شركة الطيران والمناجم... الخ).

٢- وعليه أن يكن هادئاً لا تثيره الانفعالات النفسية. يجب أن يتعامل بالموضوعية والتنسيق المنظم. على سبيل المثال رجل دعاية في دولة استعمارية يخاطب الأفارقة بقوله أيها الشرذمة من القتلة والسفاكين يامن تعيشون في الأدغال متى تعبرون أنكم بحاجة إلى من يقودكم إلى الحرية والنور (بهذه الحالة لا يزيدهم سوى رغبة في القتال والمقاومة).

٣- على عالم النفس أن يبحث عن الموارد السيكولوجية لدى الأجهزة الصديقة ليستطيع وضع خططه الدعائية وأن يعتمد على النشرات والإذاعات والراديو.

٤- إن جميع المختصين في الاقتصاد والانثروبولوجيا والجغرافية والأجناس.. والاجتماع لهم صلة برجل الدعاية الذي لا يستطيع أن يمارس عمله بعيداً عنهم.

٥- ولقد دعمت علم النفس حديثاً عملية غسل المخ التي تستخدم لتوجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد الحر أو ضد إرادته ورضائه.

علم النفس العسكري والحروب النفسية :

والحرب النفسية ليست الطريقة الوحيدة التي يسهم فيها علم النفس العسكري في إنجاح القتال:

١- فعلى الجندي أن يعرف الطبيعة البشرية نفسه ويعرف زملاءه وعلى الضباط أن يتعلموا كيف يفسرون ويؤثرون على سلوك مرؤوسيهم.

٢- على الجندي أن يعرف الكثير عن الاحتياجات البشرية وعن الدوافع والانفعالات فإذا أحس مثلاً بالخوف عليه أن يعرف كيف يتصرف عندما يعتريه. وعليه أن يعرف متى يكون الغضب نافعاً. ومتى يسبب المتاعب كما أن عليه أن يفهم أسباب القلق والشعور بعدم الطمأنينة وانتقاد الأمن وأن يلم بأسباب وأثر الانفعالات والضغط والحقد على العدو وعن العلاقة بين القتال والمعلومات الجنسية، وبين الحياة العسكرية.

٣- وأن يعرف الجندي علاقة كل ذلك بالروح المعنوية وكيف تنشأ ومتى يمكن تجنب الأشياء التي تؤدي إلى خفض الروح المعنوية.

٤- وأن يعرف الجندي مشكلات التكيف العقلي للجنود في الجيش ثم بالنسبة للقتال، وأن يفهم لماذا يشعر الجنود بأنهم غير آمنين على سلامتهم وما العوامل التي تخلق الشجاعة والجرأة وما علاقة اقتراب الانهيار وكيف يمكن منعه وماذا يفعل نحوه إذا ما حدث.

ولقد أصبح اختيار القادة من المشكلات الرئيسة في سيكولوجية الحرب، كيف يمن المعلومات الجيدة وأي نوع من الرجال يجب أن يكون هو، وإذا كان قائداً ضعيفاً فهل يمكن جعله قائداً جيداً.

٥- على الجندي أن يعرف عوامل الفزع التي تؤثر في الجماهير، وخاصة عندما تصير الجبهة الداخلية جبهة قتال.. أو تبدأ الجبهة الداخلية بالانهيار والتقسيم.

٦- على الجندي أن يعرف لماذا ينتشر الفزع بين صفوف الاحتياط أكثر من العاملين وكيف يمكن القضاء عليه.

التصرف والعمل في المواقف الخطرة، ولذلك فمن الضروري أن تكون ظروف التدريب والمشاريع والبيانات مشابهة لظروف وأجواء المعركة الحقيقية بقدر المستطاع.

٧- وأخيراً فإن إثارة الغضب والقلق يؤدي إلى تحريض الشجاعة وانتصارها على الخوف.

ليست الشجاعة والخوف بالقوتين المتعارضتين كما يبدو لأول وهلة، فهما في الواقع تنهلان من منبع واحد وفي وقت واحد. فالمقاتل المسلح بروح الشجاعة لم يصل إلى هذه الدرجة من القوة والاندفاع إلا بعد أن لمس خطر العدو، وخاف

على مصيره ومصير أسرته ووطنه إذا ما تحقق انتصار العدو. وحتى في معظم المعركة وأثناء مقارعة العدو، فإن المقاتل الشجاع لا يخلو في أعماقه من مشاعر الخوف التي تلازم شجاعته، ولكن مشاعر الخوف في هذه الحالة تؤدي دورها في تحريض شجاعته وإثارة إقدامه، فبدون الخوف والغضب لا يستطيع المقاتل حتى حماية نفسه من نيران العدو.

وأما الجبان الذي يتعاذل بسبب عدم قدرته على السيطرة على خوفه فهو الفرد الذي انتصر فيه خوفه على شجاعته.

إن الرعب والخوف إذن يمدان المقاتل في لحظاته الحرجة بطاقة خارقة من القوة للتغلب على الخصم، طبقاً لمبدأ نفسي معروف هو القوة من خلال الخوف.

لكن ينبغي الانتباه إلى حقيقة أكدتها علم النفس وهي أن القلق والخوف والغضب هي أسلحة ذات حدين. فإذا أثيرت إلى حد معين مقبول، تكون مفيدة وباعثة على الشجاعة التي تهدف إلى التصدي للخطر. أما إذا زادت على الحد المقبول فإنها تنقلب إلى ذعر مدمر.

صحيح أن الخوف يمد الفرد بطاقة كبرى للتغلب على العدو، إلا أنه عندما يتعذر القيام بفعل آني عنيف، أو عندما تتوقف سلامة الفرد على التفكير والهدوء وضبط النفس والانضباط والمهارة، حينئذ يصبح الانفعال والتصرف الأهوج سلوكاً يعرض صاحبه إلى مخاطرة كبيرة.

فكما أن الخوف الشديد يشل القدرة، فالغضب بدوره يعمي البصر، فالمقاتل الماهر الذكي، يعرف تماماً أنه بإمكانه التغلب على خصمه الأقوى والأكثر مهارة

منه إذا استطاع تعطيل ذكائه وتفتيت قواه، عن طريق إثارة غضبه وإحراجه عن صوابه فيدفعه إلى القيام بضربات هوجاء، وسلوك أرعن وأفعال عشوائية.

وخلاصة القول، إنه في فترة الانتظار للولوج في المعركة فإن العمل يمكن أن يساعد على تبرير الخوف، والاشتباك والاتصال مع الزملاء يساعدان أيضاً على التخفيف من وطأة الخوف، وفي جميع الأحوال ليس هناك ما يخيف العسكري مثل الخوف من المجهول، كما أن السيطرة على سلوك الأفراد من عوامل التغلب على الخوف. وأما العقيدة فلها دور بارز في مواجهة الخوف. ولئن كان التدريب الجيد أمراً ضرورياً في ضبط مخاوف المعركة، فان تحريض الشجاعة تتيح للإرادة أن تنتصر على الخوف.

استنتاجات الجنرال وود :

لقد استنتج الجنرال وود من خلال تجربته الطويلة في مركز الأبحاث النفسي الأمريكي ما يلي:

١- علينا أن نضع في حسابنا في الحروب المقبلة رد فعل ناجم عن صدمة جماهيرية على نطاق أوسع بكثير مما عرفناه في الحروب السابقة وإذا لم نضع ذلك في حسابنا فإننا لن نكون قادرين على معالجة الموضوع الذي له شقان هما: (العلاج النفسي- والعلاج المعنوي).

٢- إن وسائل الإعلام الحديثة لا يجدي نفعي الحروب الدموية بفضل إعلاء المكان ثم تجميع القوات من جديد وهذا يتطلب معرفة مسبقة بجميع العناصر بجميع طرائق الانسحاب ونقاط التجمع حينما تشغل الأرض.

٣- إن أول خطوة من أعمال استعادة القدرة القتالية هي استطلاع منطقة الاشتعاع النووي ومعرفة مدى الدمار الذي لحق بها، واستعادة الاتصال مع جميع الوحدات الأخرى وإلا حاول العدو بث الإشاعات لإثارة الرعب والذعر فيها ولذلك لابد من استخدام وسائل اتصال حديثة.

٤- أن التدريب وحده والعقيدة أو المذهب يستطيعان كثيراً في تخفيف آثار الصدمة التي تصيب الأفراد أثناء القتال.

جامعة دمشق Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثاني عشر

الحرب النفسية الدفاعية وغسل الدماغ

Damascus University

الحرب النفسية الشاملة وغسيل الدماغ

أهداف الحرب النفسية :

إن الحرب النفسية موجهة ضد الفكر والعقيدة، وطروح المعنوية وضد رغبة القتال كما أسلفنا فيما سبق بهذا تقاتل الجبهة العسكرية والجبهة الداخلية (فمثلاً يسهل القتال- كان هدف العدو الإسرائيلي في حرب حزيران ليس فقط احتلال أجزاء أراضي جديدة وإنما أيضاً ضرب حركات التحرر الوطنية في الوطن العربي والقضاء على التوجهات الاشتراكية).

يقال أيضاً في فصل القوات مع مصر لم يكن همه الاحتفاظ بأراضي بقدر ما كان همه هو تطبيع العلاقات بعضى أن تعود الأمور طبيعية بيننا وبين الكيان الصهيوني (أي ان تلغي تاريخاً كاملاً من النضال القتالي والسياسي والاجتماعي والعسكري ضد العدو).

وهذا فإن تأثير الحرب النفسية أكثر خطورة من الحرب العسكرية وأكثر ضرراً بقضية وإنها لا تعتمد المواجهة المباشرة كما في المعارك العسكرية ولكنها تلجأ إلى أساليب خفية ومقنعة ومقنعة وغير معروفة بالنسبة لغالبية الشعب.

إن من شأن الحرب النفسية أن تؤدي إلى بلبلة أفكار أفراد الشعب وشعورهم بالخوف والقلق والرهبة كما تؤدي إلى فقدان شعورهم بالثقة بالنفس وضعف الروح المعنوية والشعور باليأس وعدم إحراز الانتصار وإلى انتشار نزعات استسلامية وتيارات انهزامية وفي كثير من الأحيان تؤدي الحرب النفسية إلى زعزعة الثقة بالقيادة الحاكمة، وعدم الثقة في قدرة القيادة السياسية والعسكرية، لكي لا

بالتف الشعب حول قادته ومن الأمثلة مثلاً (أن الحلفاء كانوا يقولون في الحرب العالمية الثانية انهم ليسوا ضد الشعب الألماني ولا يعادونه ولكنهم ضد هتلر) وطبيعي أن الغاية هي انتفاض الشعب الألماني من حول قائده هتلر.

وسائلها: ولكي نستطيع التصدي لها لابد لنا من معرفة أساليب ووسائلها إنها تعتمد على ما يلي:

١- معرفة طبائع الشعب الذي ستوجه إليه حملاتها والملك تسعى إلى دراسة عقائد وميول واتجاهات تفكير هذا الشعب ليتسنى لها الوصول إلى مواطن الضعف.

٢- تلجأ أساليب الحرب النفسية إلى جمع المعلومات والأسرار التي لحدث فعلاً ثم تستغلها أو تغيرها كلية ثم تنشرها وتزولها تأويلاً مغرضاً يخدم أغراضها (كأن تثير الشعور بالطريقة في نفوس الشعب أو تنقص من معنوياته أو تثبط من عزيمته وتجعله يتكالب ويتهافت على جمع المؤن والمواد الغذائية وتخزينها وذلك تبعة لما تشيعه من أقوال عن احتمال حدوث مجاعات أو نضوب موارد الغذاء.

٣- ليس من الضروري أن تكون الوقائع صحيحة فقد تلجأ إذاعة العدو للقصص والأساطير وتعمل على إذاعتها بين صفوف الشعب معتمدة في ذلك على عدم تحصين عقول الشعب ضدها (فقد يذيع العدو عن نفسه أن له قوة لا تقهر أو أن لديه أسلحة فتاكة سرية. أو أن يذيع أنباء وهمية عن انتصاراته أو أن يعمد إلى التقليل من خسائره المادية والبشرية التي تلحق به وإصراره على التقليل من شأن المعنويات الثورية والتي تشنها حالياً المقاومة الوطنية اللبنانية.

٤- أن هذه الأساليب الآنفة تعتمد على الإيحاء وإقناع الناس بصحة ما تذيعه من إشاعات ولذلك علينا أن نقابل هذه الإشاعات بمزيد من الحذر لأنها غالباً ما تكون خفية ومستترة.

كيفية مقاومة الحروب النفسية :

١- إن مسؤولية التصدي للحرب النفسية هي مسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع وخاصة الشباب حيث أن لهم دوراً طليعياً في مواجهتها لانهم دعامة المجتمع وعدة المستقبل.

٢- عدم الاستماع إلى الإشاعات وتجنب ترويجها ومسؤولية الشباب هنا تبصير المواطنين بالغاية من هذه الإشاعات وخفاياها.

٣- عدم إذاعة الأخبار والمعلومات عن الظروف العسكرية والاقتصادية والاجتماعية للوطن أي يجب الاحتفاظ بأسرار الوطن لكي لا يستفيد منها العدو.

٤- القيام بدور إيجابي في التوعية القومية وتفنيد الشائعات استناداً للحقائق والبراهين المنطقية والعلمية الملموسة.

٥- العمل على تنمية شعور الثقة بالنفس والإيمان بالله والعروبة وبالوطن.

٦- سرد قصص الأبطال والأمجاد والانتصارات العربية الخالدة (مثل عين جالوت- وحطين وذي قار).

٧- الإيمان بالقضايا العربية العادلة وبالحق العربي المشروع في استمرار الكفاح والنضال لتحرير الأجزاء المحتلة من الوطن العربي.

٨- الدعوة لمواصلة الكفاح والصمود وعدم اليأس وحث الناس على المساهمة الإيجابية في المعركة كل في موقعه.

٩- غرس القيم الدينية والخلقية والمبادئ القومية في نفوس الناس وتعبئة الشعور القومي حتى لا يتسرب المبدأ الإنهزامي إلى عقول الناس ومنطقهم.

١٠- الاهتمام بالنشاط الكشفي والعسكري والتدريب على أساليب الدفاع المدني وحماية المواطنين وأملاكهم.

١١- العمل على إذكاء روح الوحدة الوطنية والتفاف الشعب حول قيادته والإيمان بها وبقدرة قواتها المسلحة ومساندتها بكل قوة (مثل إعلاء الجرحى والمصابين- في الحال عندما ضربت الطائرات الإسرائيلية قام عمال معمل الخميرة والبيرة بتصليح خطوط الكهرباء والهاتف وحماية المياه).

١٢- الدعوة إلى إعلاء صوت المعركة فوق كل شيء والتضحية من أجل إحراز النصر وبذل كل ما نستطيع في سبيل ذلك.

١٣- وضع سياسة إعلامية قوية قوامها الصدق والموضوعية والوضوح حتى يكون الشعب على بينة مما يجري. ولكي لا يضطر إلى أخذ معلوماته من الإذاعات المغرضة.

١٤- التصدي للإشاعة من طريق تكذيبها وهذا لا يصح في كل الشائعات لأن تكذيبها يعني اعلانها مرة أخرى.

١٥- يمكن أن تكذب الشائعة شخصية كبيرة لها مكانتها الاجتماعية والسياسية أو العسكرية وعندئذ يميل الناس إلى تصديقه أكثر من وسائل الإعلام العادية.

١٦- أن يخضع كل ما نسمعه أو نراه في الإعلام وبخاصة زمن المعركة إلى التدقيق والتمحيص والشك فيه للوصول إلى الحقيقة.

١٧- ليس من الضروري أن تشبع جميع أساليب الدعاية ولكن مختص الدعاية الناجح يحاول إشباع حاجات الجماهير المكبوتة وإذا لم يكن هناك حاجات غير مشبعة فإن على المختص أن يخلق حاجات جديدة عند الأفراد.

الشائعات في الحرب النفسية

هناك تعريفات كثيرة للإشاعة من أهمها تعريف آولبورت القائل: انها كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق تتناقل من شخص إلى آخر عادة بالكلمة المنطوقة، دون أن تكون هناك معايير أكيدة للتصديق.

خصائصها:

١- أداة نقل الإشاعة في العادة هو النطق.

٢- الإشاعة نوعية وموضوعية وهي لهذا غالباً ما تكون ذات أهمية وقتية.

٣- تكاد تدور الإشاعة حول أحداث أو شخصيات.

٤- يظل الإشاعة على الغالب تحمله هويته (فلان من الناس) (ممثل سينمائي) اليهود- القوات الأجنبية.

٥- تتطلق الإشاعة في وسط اجتماعي متجانس بفضل دوافع الأفراد القائمين على نقلها ولذلك فان مهمة الإشاعة هي تسويغ هذه الدوافع وتفسيرها.

ومع هذا فإن الشيء الذي تتضمنه الإشاعة عادة قد يكون نقل جزء من الحقيقة. كأن يقول الراوي لست متأكداً ولكن هكذا يقولون.

٣- التكاليف يجب ألا تقل كثيراً عن إطلاق العيار.

٤- تزداد الأهمية في غياب العناصر الأكيدة للتصديق كما قلنا سابقاً وعلمت من مصادر حسن الإطلاع أن يتولون كذا ولذلك علينا مراعاة ما نسمعه وتحليله تحليلاً واعياً فتقتضي الأمر جمع معلومات تخدم الموضوع المادي نحن بصدده للوصول إلى الحقيقة وتكذيب الإشاعة.

أمثلة للإشاعات : تنقسم الإشاعات إلى:

١- مضللة للروح المعنوية وبث الفساد والشقاق في الصفوف وغرس عدم الثقة في النفوس (التضليل).

٢- بث الإرهاب والذعر في النفوس (التعبير بالإشاعة).

٣- استخدامها كستار لإخفاء حقيقة ما وللتمويه من خلال مصادر الأنباء وكتمانها بقصد إثارة الشكوك حول مصداقية المسؤولين العسكرية والسياسية.

القانون الأساسي للإشاعة :

إن العوامل الأساسية للإشاعة هما الأهمية والغموض وبالتالي فإن قوة الإشاعة تتناسب طردياً مع الأهمية الموضوعية للغموض.

فإذا انعدم الغموض فقدت الإشاعة أهميتها وانعدمت وإذا انعدمت كانت الإشاعة حق خالصاً ولذلك فإن الإشاعة تتلاشى وتزول بمرور الزمن وتكون ضرورة قيام الإشاعة أحسن ما يمكن.

فالإشاعات العسكرية بالغة الأهمية والسرية الحربية مع الرقابة العسكرية الدقيقة يساعدها الغموض فيما يتعلق بتقييم العدو وقدراته التي لا يمكن التنبؤ بها.

إن هذه السرية وهذه البلبلة تعملان على خلق غموض سحيق حول هذه المسائل التي تعنينا إلى حد كبير.

أنواع الشائعات وأقسامها:

- الإشاعة الزاحفة: وهي تروج ببطء وهمس وبطريقة سرية.

- الإشاعة الغامضة: وهي التي تروج ثم تغوص تحت السطح لتظهر مرة أخرى عندما تتهيأ لها الظروف.

- الإشاعة الهجومية: وهذه توجه ضد العدو.

أقسام الشائعات بحسب موضوعها:

١- اتهامية

٢- توقعية

٣- إشاعة التضاكم

٤- إشاعة مروعة

٥- إشاعة الاستطلاع (الفضول)

٦- إشاعة هدامة

٧- إشاعة مفرقة

٨- إشاعة مثيرة للأعصاب

٩- إشاعة الخوف

١٠- إشاعة الكراهية

١١- إشاعة ملتهبة

١٢- إشاعة سوء السلوك

١٣- إشاعة شغب

١٤- إشاعة جنسية

١٥- إشاعة الخرافية

١٦- إشاعة سامة

١٧- إشاعة ضرورة

١٨- إشاعة التمني

الإشاعة والفكاهة :

هناك قرابة بين الإشاعة والفكاهة فالإشاعة قابلة للتصديق ولكن الفكاهة الغاية منها إثارة الضحك وغالباً ما تأخذ أبعاداً سياسية ولذلك فإن الفكاهة قد تعتبر مثل الإشاعة (المثال) أحد الأشخاص سمع فريقاً يستغيث فانقذه ولما خرج به من الماء قال له أنا هتلر أو موسوليني أو – فلان بحسب شخصية الأفراد ووجودهم في أية بلد.. فيقول له المنقذ اطلب لأعيدك فيعيده المنقذ: لي طلب واحد هو أن لا تقول إنني أنقذتك.

وقد تكون الفكاهة للتنفيس عن شيء ما فالذي يذكر النكتة (مثلاً) عن الزنوج فإنه يخفي وراءها كرهاً لهم أو لكي يحط من شأنهم. ومن العسير جداً إقامة حد فاصل ما بين الإشاعات العنوانية التي تطلق في لباس فكه والنكايات المغرضة التي هي مجرد فكاهات لأن الدلالة الوظيفية واحدة، ولكن يمكن التفريق بينهما أحياناً من الدليل الذي يمكن التحقق من صحته.

مقاومة الشائعات :

تقع المسؤولية في مقاومة الشائعات على القيادة والأفراد بوقت واحد وكذلك على مسؤولية مكتب الأمن ومن أهم الأساليب لمقاومة الشائعات:

١– تعاون الجمهور في الإبلاغ عن الشائعات وتكذيبها وعدم ترديدها.

٢- تكثيف وسائل الإعلام المختلفة من أجل عرض الشائعات في وقتها وإذاعة الثقة بين المواطنين وتنمية الوعي العام وتحديد مدى الحساسية النفسية بصفة عامة وضد الشائعات بصفة خاصة.

٣- التوعية المستمرة لتثبيت الإيمان والثقة بالمعلومات الرسمية عن طريق الندوات والمحاضرات والمناقشات.

٤- القضاء على حدة الإشاعة للوصول إلى جذورها وإصدار البيانات الصحيحة السريعة.

٥- الثقة بالقيادة والحكومة والثقة بأن الأمور العسكرية تحت دائماً بالسيطرة والتحكم والاقتناع بأن كل ما يقوله العدو ويحتمل منه خلق الشائعات مقلوب تماماً عن الحقيقة.

الحرب النفسية الشائعة

لا يمكن أن يعلن أي من الطرفين المتحاربين خلقه باستخدام أي من أسلحة الدمار إلا باستخدام الحرب النفسية. وذلك بترويج شائعات وتصديق دعايته وقبول إشاعاته والاستسلام لحروبه النفسية.. الخ.

وتسير الحرب النفسية الشائعة جنباً إلى جنب مع الحرب النفسية المعروفة، إن كلاهما من أسلحة الحرب النفسية تعمل الدوائر النفسية للعدو وتعبئة الرأي العام.

وسائل الحرب النفسية الشائعة :

١- استخدام الدعاية المضادة.

٢- مقاومة الشائعات والقضاء عليها.

٣- حسن القيادة.

٤- مكافحة الجاسوسية الصادرة عن طريق اليقظة والحذر والسهر على مصالح الشعب.

الوقاية ضد الحرب النفسية :

١- عدم الاستسلام لاستقبال الحرب النفسية المعادية والتأثر بها التي تكون موجودة دوماً بين صفوف المقاتلين وفي الجبهة الداخلية.

٢- تدعيم الروح المعنوية لتشكيلات الجيش كافة عن طريق المحاضرات الثقافية والترفيهية.

٣- رفع روح القتال لدى التشكيلات من خلال التعلي بعقيدة ثابتة.

٤- التوجيه المعنوي لمقاومة حرب العدو السايكولوجية عن طريق:

آ- التبصير للبكر وعلق الوعي المعنوي المضاد (التحصين) (تبصير الأفراد بأساليب العدو الموجهة خلق وعي معنوي مضاد لها) والتثقيف لعدم إثارة الروح بالدعاية والإشاعات بين الطوائف الدينية والقوميات والحدود والقيادة والرؤساء والمرؤوسين والمدنيين والعسكريين وبين الأشقاء في الدول العربية.

ب- التحصين السيكولوجي للمعركة: يجب إقناع الأفراد بالحقائق التالية:

(١)- إن احتلال العدو في بعض المراحل لجزء من أرضنا أو التقدم في منطقة من إقليمنا ليس معناه النصر النهائي أو الانهيار بالنسبة إلينا.

(٢)- ان استخدام عمليات الدفاع أو الانسحاب ليس معناه الهزيمة أو النصر النهائي للعدو لأن هناك اعتبارات تكتيكية وإدارية مختلفة قد تتمثل هذه المواقف لزمن معين (مثال معركة العلمين وديكرك وحوادث العدوان الثلاثي على مصر العربية).

(٣)- النصر المرحلي للعدو ليس نصراً نهائياً (هتلر انتصر أربع سنوات متتالية وقضي عليه في النهاية).

(٤)- إن المدن والأراضي ذات القيم الروحية ليست كل شيء في الحرب.

(٥)- إن احتلالاً جزء من الإقليم ليست معناه انتهاء أعمال المقاومة في هذا الجزء.

وأخيراً فإن القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها الأعداء، وإن العلم هو الطريق للقوة والتربية هي الطريق للعلم وإن الإيمان هو جوهر التربية، الإيمان بالوطن وبالأمة في وقت واحد.

غسيل الدماغ

هو عملية تطويع (الدماغ) وإعادة تشكيل الفكر عن طريق تغيير الاتجاهات النفسية بحيث يتم التغيير بطريقة التقهير (أي محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد أو ضد إرادته أو ضد ما يتفق مع أفكاره ومعتقداته وقيمه إنه عملية إعادة تعليم.. أي عملية تحويل الإيمان أو العقيدة التي كفر بها ثم إلى إيمان بنقيضها.

ونفسياً فإن غسل الدماغ هو عملية توغل القوى النفسية البيهة في الانفعالات الداخلية للفرد.

يعتمد غسل الدماغ على استغلال علم وظائف الأعضاء والجهاز العصبي والعلاقة بين علم وظائف الأعضاء وسيطرتها على العقل.

طريقة غسل الدماغ:

يلخص هنري براون هذه الطريقة بما يلي:

١- عزل الفرد اجتماعياً عزلاً كاملاً وحرمانه من أي مثيرات خارجية (معتقل- مستشفى- سجن) وعاداته برقم وليس باسمه (والاعتماد على الحرمان جوع مطلق- ألم- تعب- صدمات كهربائية- استخدام العقاقير الطبية التي تضعف قدرة الفرد على التحكم في إرادته، وعلق عصاب موقفي- وجعله يعتمد على الآخرين كما لو كان طفلاً وتقليل ساعات نومه ونقص الغذاء والحرمان من الملابس) كل ذلك يجعل الفرد في حالة اكتئاب شديد- وخوف وذعر شديدين خوف من الإعدام أو الموت وإقناعه بأنه متهم بتهمة خطيرة ولكنها غامضة ولابد أن يعترف بها ويقر بأنه مخطيء ومذنب) كل ذلك لإقناعه بأن كل ما يعانيه هو بسبب ذنبه.

٢- يأتي دور اللين والمودة والتساهل والرفق والاعتذار عن المعاملة السابقة وإظهار الصداقة والسجين يخرج إلى الشمس والهواء تحت حراسة مخففة أو دون حراسة فيأكل ويشرب ويدخن ويشرب الشاي والقهوة وتتحول الاستجوابات والتحقيقات إلى مناقشات (والغاية من ذلك هو إجباره على المزيد من الاعتراف لأن الفرد يعرف إذا اعترف فإن المعاملة ستزداد تحسناً.

٣- بعد ذلك يبدأون بإقناعه بوجهة النظر والأفكار المراد غرسها وهي عملية إعادة التعليم.

٤- يلي ذلك مرحلة اعتراف نهائي.

٥- ثم يحدث تغير لمفهوم الذات لدى الفرد- وتستخدم أساليب مثل التقويم الإيماني الذي يكون قابلاً له.

٦- ثم يتم هو الأفكار المراد غرسها تماماً.

٧- ثم تقدم الأفكار الجديدة ويحمل الفرد على تعلم معايير سلوكية جديدة وأدوار اجتماعية جديدة وهكذا يتم تحويل الفرد إلى فرد آخر.

أما مقاومة غسل الدماغ فيتم بشدة المقاومة وزيادة الثقة بالنفس وعدم الاستسلام والامتناع عن الإدلاء بمعلومات وعدم الوقوع تحت إيحاءات المصدر الملاحية والأهم من ذلك كله هو الإيمان.

الفصل الثالث عشر

إرادة القتال والمعركة

Damascus University

إرادة القتال والمعركة

يقول مناضل فيتنامي: تتعسر إرادة القتال لديك عندما تعي القضية التي من أجلها تعيش.

وهذا القول يبقى صحيحاً دائماً، لأنه يعني أن الانتصار على العدو يتطلب قبل كل شيء وعياً كاملاً للقضية التي يضحي المقاتلون من أجلها، وهذا الوعي متوافر دوماً عند المقاتل الشجاع والمناضل الذي يهب أغلى ما عنده لوطنه وأمته، ولذلك فإننا عندما نكرم هؤلاء المناضلين نقول أنهم يمتلكون إرادة قتالية عالية.. فماذا نعني بإرادة القتال هذه؟ كيف تنشأ؟ وعند أي من المراحل النضالية يمكن ملاحظتها؟

إرادة القتال والشخصية :

ليس من شك في أن الإرادة تلعب دوراً هاماً في بناء الشخصية وأن علاقة الأفراد بالأشياء تتحدد من خلال فهمهم المباشر للواقع.. وواقع الحياة.

وإذا كانت الحياة هي المؤشر الطبيعي إلى مدى تفاعل الأفراد مع طبيعة العلاقات الاجتماعية فإن الإرادة ومن ورائها الشخصية هما اللتان تضمنان المعنى الإنساني مفهومها العميق.. بتعبير آخر انه إذا كانت العلاقات الاجتماعية تكتسب بدءاً من السلوك الشخصي، وانتهاء بالمفهوم الشامل لهذا السلوك فإن الإرادة هي الأخرى لا يمكن أن تكتسب وتتكامل بعيدة عن الظروف الموضوعية للمجتمع، ووعي المقاتل للعلاقة بين الفعل في نطاق التطبيق والقول في نطاق الفكرة.. فأنت عندما تناقش فكرة ما فمعنى ذلك أنك في الطريق إلى العمل إلى إيجاد فعل ما وإذن فالإرادة هي تحقيق الفكرة، إنها انتقال للفكر من خلال مجموعة الأفعال التي

تحققها ذوات الأفراد تلك هي فيما نرى، الإرادة بمفهومها الشامل ولكن لابد لنا ونحن في صدد الحديث عن إرادة القتال أن نقف على ميزتين مشتركتين في الأساس، بين إرادة القتال والإرادة بوجه عام.

الميزة الأولى: إن كلاً من الإرادتين تجسد روح الممارسة، أي أننا نستدل على أي منهما بطريقة مجموعة النتائج التي تترتب في حياة الأفراد.

الميزة الثانية: إن كلاً منهما حاضر في الشخصية، ولكن هذا الحضور يمثل محصلة لتأثيرات داخلية هي في الحقيقة من صلب الأفراد، وخارجية تتعلق بطبيعة الوسط المرتبط بالأفراد أنفسهم.

بعد هذا نتساءل: ما الفرق الجوهري بين الإرادتين، أهو في عدد أي من العوامل يمكن إقامة التمايز بينهما؟

ثمة نظرية تقول: إن إرادة القتال واحدة من بين مجموع الإرادات التي تتكون في الشخصية، كإرادة القوة مثلاً. فإذا كان الأمر كذلك فإن الفرائض القائم بين الإرادتين تتضمن سواء. إن جوهر الصبر عندما نقول إن إرادة القتال تسعى إلى الأفضل أي إلى تحقيق بقاء واستمرارية تلك الأشياء المعروفة في شخصية الفرد المقاتل ضمن الإرادة العامة ذاتها.. ولذلك فإن المواقع التي خسرها في ذواتنا ما هي إلا مجموعة مواقف قد تكاثفت في الشخصية فأعكست الإرادة صياغتها لتصار من ثم إلى تحقيقها عن طريق إرادة القتال المتفلة، وإرادة القتال هذه تضيف بدورها إلى هذه الصياغة (المواقف) أنماطاً معينة من الطرائق بغية تنفيذها على الوجه المناسب، فإرادة القتال بالتعريف هي أداة تحقيق مجموعة الأحكام التي يصدرها العقل، ووعي المتقبلة التي ستتحقق بها هذه الأحكام ومن هنا تبرز أهمية إرادة القتال كقوة فاعلة موجودة في ذات المقاتل ومتكاملة مع شخصيته الإنسانية.

القدرة شيء آخر :

وعلى الرغم من أن الكلاسيين درجوا على التفريق بين إرادة القتال والقدرة عليه وعلى الرغم مما قد يثار أصلاً من شك حول عدم إمكان تحديد خصائص مميزة لإرادة القتال مستقلة عن القدرة، فإن الإرادة تجعل القدرة متصفة، أي إنها تصبغها بطابع فاعل أثناء المعركة والقتال.. إن القدرة على سبيل المثال هي إمكان إلقاء المقاتل للسلاح، وإرادة القتال هي ضغط، على الزناد بالفعل فالقدرة معرفتنا بالسلاح وكيفية استخدامه وحسب، ولكن إرادة القتال هي استخدامنا السلاح بالفعل.. ومادام العقل قد أنهى كلاً من الإرادة والقدرة لبوس الواقعية فهذا يعني بأن لكليهما وجوداً حقيقياً.

متى تتحقق إرادة القتال :

وبعيداً عن جملة المواقف والدوافع المتوضعة في شخصية الإنسان المقاتل وتفكيره والتي تساهم في إنماء إرادة القتال لديه، وبعيداً عن المرحلة العقلانية (الفكرة) التي تجاور في إطارها طرائق تفعيل الإرادة للفعل فإن إرادة القتال لا تكتشف عن هويتها إلا عندما تتجلى بحدوث الشيء في الواقع وإذا كان غير ذلك، فعند أي من النقاط يمكن أن نتوكر أحكامنا؟

إن هذا الحدوث هو ما نسميه مرحلة ما بعد العقل أي مرحلة الواقعية التي تكشف لنا عن إرادة القتال، والتي لابد لها أن تتفاعل بالمؤثرات الداخلية والخارجية التي تقع على الأفراد.

صحيح أن مجموعة المؤثرات هذه تبدو متشابكة فيما بينها للدرجة يصعب معها التفريق بين المؤثر هل هو داخلي أم خارجي، ولكننا مع ذلك سنحاول إقامة هذا التفريق.. فما هي هذه المؤثرات وما مدى علاقتها بإرادة القتال؟.

المؤثرات الداخلية : ونميز منها:

١- درجة الوعي: إن الوعي في الأساس هو صورة من صور المعرفة فلكي أعرف الشيء لابد من أن أدركه أقصد حتى لا تتشرد طاقتي لابد أن تتوافر لدي الغاية التي توجه سلوكي، وبمقدار ما أدرك هذه الحقيقة بمقدار ما يضاف إلى قدرتي طاقات جديدة وإلى قناعتي درجة عظيمة من الوعي.... إن الوعي يتضح في قول: أنا أقاتل لأن قناعتي تركزت عند غاية التحرير.

وضمن إطار تحقيق الغاية المقصودة لابد أن تأتي درجة الوعي ملازمة لدرجة الثقافة، وما أعنيه بالثقافة هنا تلك الأفكار المكتسبة بإحدى طرائق المعرفة أو التدريب، وسواء اعتمدت المعرفة على أسس عملية أو نظرية فإنها تقدم لإرادة القتال وباستمرار أنماطاً جديدة يمكن ملاحظتها على وجه أخص في أعلية المقاتلين وبلغتهم وبالتالي تصرفاتهم الذكية حيال أكثر المواقف المعقدة. إن الثقافة بتعبير أدق، إحياء لمكنونات دفينة في ذواتنا عندما توجه الانتباه والمهارة نحو موضوعات معينة دون موضوعات أخرى من ذلك مثلاً طريقة تعامل المقاتل مع سلاحه والاعتناء به معتمداً أقصى درجات الحيطة والحيطة.

٢- المشاعر العاطفية: والعواطف كما هو معروف، تتطور مع نمو حاجات الإنسان، معرفته، فباتساع دائرة حاجاته تتسع دائرة عواطفه حتى تشمل البلدة، فالوطن كله، وهذه العاطفة يطلق عليها علم النفس التربوي اسم (العاطفة

الجماعية). فإذا كان تطور العواطف يلعب دوراً كبيراً في توسيع مجالات الشخصية فإنه بالوقت نفسه يساهم في بلورة إرادة القتال لدى المقاتلين.

على سبيل المثال: إن مشاعر الحب (حب المقاتل لرفاقه ورئيسه) تبدو من خلالها مسؤولية المشاركة الجماعية عندهم، أما مشاعر الكراهية فليست سوى إسقاط لهذه الروح تولد الحقد والانتقام بين العدو والغاية التي تمهد إرادة القتال إلى تحقيقها والحقيقة أن العاطفة الجماعية لدى العربي كانت وما تزال وثيقة الصلة بوحدة المصير (وحدة الهدف- الأمل- الألم المشترك..) وأن انطلاق العربي من هذا الشعور قد ذكى إرادته القتالية.. لقد كان رد العرب على كسرى عندما عرضوا عليهم إحدى ثلاث: إما القتال وإما أن يجلوا عن أراضيهم أو أن يسلموه ودائع النعمان، لقد كان ردهم القتال.. وما الحرب الصليبية إلا دليل جديد على تلازم إرادة القتال العربي مع رفضه التهديد لكرامته..

وهذا يدفعنا للتأكيد على أن المقاتل العربي كان ولا يزال يعد انتصار عروبته بمثابة انتصار لكيانه ولإرادته القتالية بوقت واحد.

بهذه الروح أقدم سليمان الحلبي على قتل (كليبر الإنكليزي) وبها أقدم الشهيد جول جمال على التضحية بنفسه إبان المعركة الثلاثية على القطر العربي المصري عام ١٩٥٦.. وهب الشهيد غازي منصور ورفاقه للدفاع عن أحياء القطر العربي اللبناني.

٣- الروح المعنوية: وتبدو أهميتها من أنها تفرض على إرادة القتال أن تحدد خطواتها في إطارها فمن ناحية أن إرادة القتال قبل احتلالها بالواقع تكون في حالة تأهب للظهور في أفعال المقاتل، والذي يحدث أن الروح المعنوية (النفس) تقدم انعكاساتها إلى الفعل الإرادي فيأتي مشحوناً نتيجة لذلك بإحدى القيم الإيجابية أو

السلبية فإذا كانت القيمة سلبية كان الفعل قاصراً على تحقيق أحكام إرادة القتال وإذا كانت القيمة إيجابية اضيفت إلى مجموعة العوامل الموجبة التي تتكون منها إرادة القتال، وفي جميع الأحوال فان القيمة سلبية أكانت أم إيجابية تبقى درجتها خاضعة لشدة الانعكاس ودرجته، مما يصعب معه تحديدها على وجه دقيق، ومن ناحية أخرى، إن الروح المعنوية إذ تؤثر بالإرادة فإنها بالوقت نفسه تتأثر بها، ذلك لأن العوامل النفسية (الحزن- الفرح- الخوف- الشجاعة) لا يمكن أن تمارس وجودها بعيدة عن الإرادة العامة، وماداست إرادة القتال تعبيراً عن قدرة متضمنة في الإرادة الكلية، فإن نماذج الانفعال النفسي مع هذه القدرة يتسع المجال وبالضرورة إلى ظهور تركيب ثنائي قوامه شدة الانفعال من جهة وتأثير الإرادة الفعالة من جهة ثانية، وطبعاً لذلك يأتي فعل إرادة القتال قوياً أو ضعيفاً. ويمكن أن نلاحظ ذلك في المثال التالي: عندما يقاتل الجندي على تأدية الأعمال الأخرى بحافز معنوي، فلأن إرادة القتال موجودة لديه في الأصل، كان هذا الانفعال مساعداً لإصراره على إنجاح أعماله.

وكما أن الانفعال المفرح الذي يدفع المقاتل للقيام بواجبه بدقة تتولد في معظم الأحيان نتيجة فعل الحوافز فإن انفعال الخوف الذي يحد من إرادة القتال يأتي نتيجة مجموعة من العوامل (المعلمة) التي تكاثفت في الشخصية ومن بينها تلك الأفكار والذكريات المؤلمة فهي مؤلمة لأنها اصطبغت مع الأيام بصبغة انفعالية ضمن سوية مصدرها كما يحدده علم النفس (حادثة كبتت في اللاشعور) أما أثر هذه الأفكار والذكريات فيلاحظ في أن انفعال الخوف المرتبط بها يظل يعمل على شكل صور كثيرة.. فالخوف الذي يشعر به الجندي كلما سمع صفارة الإنذار يمكن أن يكون سببه ارتباط صوت الصفارة عنده مع صوت انفجار القنابل المخيف

وخوفه كلما دخل نفقاً أو خندقاً قد يكون نتيجة خوفه من الأماكن المغلقة ككل ولكن ما هو منشأ هذا الخوف وما هي الطريقة للتخلص منه؟.

إن منشأه في الأصل وقوع حادثة مخيفة للفرد خلال حياته لتصور الخندق الذي يخاف دخول الخندق، لقد طلب إليه أن يسجل أحلامه، وأن يحاول استرجاع ذكرياته القريبة التي تتصل بهذه الأحلام، فكان أن تذكر بعد جهد قليل حادثة قديمة وقعت له في سن الرابعة، أثناء زيارته لمصر اعتاد صاحبه أن يحملي من يزوره من الأطفال ومعه سلة قديمة مبلغاً ضئيلاً من المال، وكان منزل التاجر في منتصف ممر مظلم ضيق فدخل الطفل وباع الرجل ما كان معه، وأثناء خروجه صادف أن كان في نهاية الممر من الجهة الأخرى كلب كبير.. وعندما ذهب الطفل إلى مدخل الممر وحده مغلقاً فأسقط ما في يده وحينئذ بدأ الكلب ينبح نباحاً عالياً فانتابه ذعر شديد، وكان من أثر ذلك أنه أصبح يخاف ويدون وعي منه المرور بذلك التاجر.

ويحلل علم النفس هذه الحادثة بقوله: لقد تم نسيان الحادثة بالطريقة التالية: وهي أن الولد تعلم أن يكون شجاعاً وألا يخشى الحيوانات العادية كالكلاب والقطط وما شابه ذلك، ولما حدثت له هذا الحادث تولاه صراع بين الخوف الطبيعي والشجاعة التي غرسها فيه المجتمع، فاستطاعت الشجاعة وكبت الخوف من الكلاب فنسيه نسياناً تاماً ولكن الطفل استبقى نوعاً من الخوف لا يقوم المجتمع بتعويده من أجله كثيراً وهو أنه لا يحب المرور في الممرات الضيقة أو المكوث في الأماكن المغلقة... وعندما أصبح جندياً صار يشعر بالخوف كلما دخل نفقاً أو خندقاً، ولكن مادام خوفه يتنافى مع واجب الجندية أو واجب "الدفاع عن الوطن وفكرة الشجاعة لم يلبث أن كبت الخوف في اللاشعور.. على الرغم من هذا الكبت فقد كان يتكرر خوفه كلما دخل أحد الخنادق ولكن أمكن علاجه على

طريق (فرويد) التي تعتمد إبراز الحادثة (العقدة) ومن ثم علاقتها بانفعال الخوف، أي إيضاح أن الحادثة في حد ذاتها هي مصدر ما يشعر به من خوف.

المؤثرات الخارجية .

تلك هي العوامل الداخلية التي تؤثر في إرادة القتال سلبياً أو إيجابياً أما المؤثرات الخارجية فيمكن إجمالها بالنقطتين التاليتين:

١- الآمرون وتوجيهاتهم: ففي وجود المقاتل بين أفراد يتحملون معه مسؤولية حماية الوطن والسهر على مصلحته تركيداً لإرادة القتال، فمنهم يستمد الثقة بالنفس، ومن توجيهاتهم المستمرة يكتسب الحزم الذي هو معيار كل عمل ناجح إنه إذ تذوب إرادته في إرادة الجماعة يصبح جزءاً من إرادة القتال الكلية التي تعلمه قبل كل شيء معنى التضحية من أجل الآمرين وبالتالي أفضل السبل لتصعيد طاقاته.

٢- درجة التوافق: ونميز هنا حالتين للتوافق:

أ- توافق مع الظروف إن أي عمل يقوم به المقاتل لابد أن يكون متأثراً بطريقة أو بأخرى بالظروف الاجتماعية التي تحيطها. على سبيل المثال يكلف أحد المقاتلين بالقيام بمهمة ما، ونتيجة لوجود إرادة القتال الحازمة يندفع إلى تأديتها بعد أن أجرى نوعاً من التكيف ما بين إرادته التي منحه الإيمان العميق بالمهمة وظروفه الاجتماعية التي تشده إلى التفكير بطفلة أو زوجته المريضة.. ولهذا السبب كان من الضروري على الرئيس أن يعيش مع المقاتلين وأن يستمع إليهم ويتفهم مشكلاتهم الاجتماعية ويحاول قدر الإمكان حلها وأكثر من ذلك توجب عليه أن يسأل عن أطفال المقاتلين كل بدوره وللراحل التي يمرون بها خلال دراستهم، وما هي

الأسباب التي تؤثر في نفسية المقاتل سواء داخل العمل (في الكتيبة) أو خارجها (في البيت).

ب- توافق مع العمل المراد القيام به: ومن الضروري أيضاً لكي تكون النتيجة مرضية بالنسبة للرئيس وللمقاتل على السواء أن يكون هناك توافق بين إرادة المقاتل والعمل الموكول إليه أو الذي سيؤديه إن هذا التوافق يتمثل في الاستعداد للقيام بالمهمات الصعبة التي تتطلب المهارة والذكاء فلما ازداد الجندي في أدائها إذا كانت تتناسب مع قدراته ومدى استعداده للتضحية من أجلها، وإن القائد يستطيع التوصل إلى أحكام صحيحة على استعداد المقاتلين لتأدية مهمة صعبة عن طريق ملاحظة القابلية التي يتلقى بها كل مقاتل أمراً ما، والتقدير الذي يناله هذا المقاتل في جميع الأحوال يجعل المقاتل ينظر إلى أصعب الأعمال التي يواجهها نظرة سيطرة وثقة لتحليلها.

هذا واعلم: وإلى جانب جميع العوامل الإيجابية الآنفة التي تنبع من خلالها أهمية إرادة القتال ككل متكامل فإن هناك مبدأ كلما يجري البحث في طبيعة الإرادة مفصولة عنه، إن هذا المبدأ هو الواجب ومهما عرف الواجب فإنه بالنتيجة يتحكم بأفعال الإرادة لأنه مبدأ يعلو فوق كل التعاريف لا بل إنه يفوقها، إن الواجب بعبارة ثانية نشاط مساعد تتلقاه إرادة القتال من الإرادة الكلية ليضاف إلى مجموعة خبرات وتجارب المقاتلين في المعركة وهذا ما يدفع العقل في أكثر الأحيان ليقول للمقاتل: (هذا العمل واجبك فافعله) إن ذلك بمثابة أمر يقول للإنسان هذا واجبك فافعله.

أخيراً: إن إرادة القتال تتجلى في أفعال المقاتلين، وبالكيفية التي تتحقق بها هذه الأفعال، وإن انتصار إرادة القتال هذه هو في واقع الأمر انتصار الشخصية

بوقتها واستمراريتها، وبالتالي بقدرتها على الفعل من خلال نتائج المعركة. ولكن إرادة القتال هذه تبقى تحت تأثير جملة مبادئ وعوامل نفسية، ولذلك فإن تقلبها المستمرة بفهم إيجابية لا تشكل انكساراً لها على مجموعة الأعمال المعقدة والصعوبات المحتملة وحسب، وإنما تشكل أيضاً تعميقاً للوعي الضروري لممارسة العمل الواجب وتوكيداً بالتالي للغاية الحق من أجلها نقاتل.. ونعيش.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

المصادر والمراجع

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

المصادر والمراجع

١- زحلاوي الياس (ترجمة).. المجتمع والعنف.. تأليف فريق من الأخصائيين.. منشورات وزارة الثقافة.. دمشق ١٩٧٥.

٢- حمصي اطلون.. علم النفس العام.. الجزء الأول.. مطبعة ابن حيان دمشق ١٩٨٨.

٣- كاينبرغ اوتو.. علم النفس الاجتماعي.. ترجمة حافظ الجمالي.. مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٣.

٤- الحكيم خلدون.. علم النفس التطبيقي العسكري.. جامعة دمشق كلية الآداب ١٩٨٢.

٥- هندي احسان.. قوانين الاحتلال الحربي.. الإدارة السياسية دمشق ١٩٧٧.

6- Hallter: "Institt international de l Europe" traduit par Jhon Bergamin 1883- par 131.

٧- الأمم المتحدة (كرنس) في سبيل حقوق الإنسان.. مكتب الأمم المتحدة للاستعلام والنشر القاهرة ١٩٦٥ رقم م١٥.

8- Pictet: "Leprincipes du Droit international humitaire" Pugliestions du cicr- Geneve

9- Revue internationale de la croix. Rouge, No, 403, Tulliete 1952- P. 560.

١٠- وزارة الثقافة والارشاد القومي.. الحياة العسكرية عند العرب ق٥ دمشق ١٩٦٥.

11- Revue internationale de croix- Rouge, Avrill 1955.

12- Pictet; "Le droit de la guerre, op. Cit. P. 5.

١٤- شباط فؤاد.. قانون الأمم.. طبعة ١٩٦٥ دمشق.

15- J.J. Rousseau: "Lecontrat social" 1, 4, Paris, le fevar 1819.

16- Henricenter: "La croix- Rouge internationale" collection "Que sais ie?" No 831.

17- The united Nation and the human person 1968.

١٨- الصلي بسام.. جيش الدفاع الصهيوني.. مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية دمشق ١٩٧٩.

١٩- عبد الناظم عبد الله.. الثورة عبر التاريخ.. دار العلم للملايين.. بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨١.

٢٠- طلاس مصطفى.. الرسول العربي وفن الحرب.. دار القرآن الكريم.. بيروت ١٩٧٧.

٢١- هارت مايكل.. المائة الأوائل.. ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد شعبان سيافو.. دار قتيبة ١٩٧٩.

٢٢- سعد علي وسليم لعامة.. الشخصية السوية والإنتاج.. الطبعة الأولى دمشق ١٩٩٣.

٢٣- فرويد سيغموند.. الحرب والحضارة والحب والموت.. ترجمة د. عبد المنعم الحفني.. مكتبة مدبولي.. القاهرة ١٩٧٧.

٢٤- عزمي، محمود، دراسات في الحرب الخاطفة، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢.

٢٥- حاتم، محمد عبد القادر، الإعلام والدعاية (نظريات وتجارب) مكتبة الانكلو مصرية القاهرة، ١٩٧٢.

٢٦- كيلاني هيثم.. الجديد في المذهب العسكري الإسرائيلي.. منشورات مجلة الفكر العسكري دمشق، ١٩٨١.

٢٧- المختار محمد؛ وقاسم عادل، علم النفس في خدمة المقاتلين، هيئة التدريب، الجزء الثالث، الإدارة السياسية، ١٩٧٤.

٢٨- عساج، عبد الرحيم، عقيدة القتال، مطابع جريدة الصباح، القاهرة، ١٩٥٥.

٢٩- عطايا، محمود أمين، العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد حرب تشرين، الرواد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٣٠- حسام الدين، يوسف، الدعاية والدعاية المضادة، الإدارة السياسية، فرع الحرب النفسية، دمشق، ١٩٧٦.

٣١- بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٣.

٣٢- أطلس، محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧.

٣٣- روسو، جان جاك، اميل أو التربية، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف بمصر القاهرة، ١٩٥٦.

٣٤- ديوي، جون، التربية في العصر الحديث، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ومحمد حسين المعزلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.

٣٥- شانديسي شارل، علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة المقدم، الدكتور محمد ياسر الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨٣.

٣٦- عاصود، بدر الدين، أسس التربية العسكرية، منشورات الإدارة السياسية، دمشق، ١٩٧٨.

٣٧- مونور بول، المرجع في تاريخ التربية جزءان، ترجمة صالح عبد العزيز، مكتبة النهضة العربية المصرية، ١٩٥٨.

٣٨- مكارينكو انطون، الجماعة وتكوين الشخصية، ترجمة أسامة الغزولي، دار التقدم، فرع طشقند، ١٩٧٨.

٣٩- نجاتي عثمان، علم النفس الحربي، مكتبة النهضة العربية المصرية، ١٩٥٦.

٤٠- اولبورت جوردن وليد بوستمان، سيكولوجية الإشاعة، ترجمة صلاح مخيمر وميخائيل رزق، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤.

٤١- الأشقر رياض، الإدارة العسكرية الإسرائيلية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧٩.

٤٢- رزق الياس، الخارطة السياسية للكيان الصهيوني، دار البعث، دمشق ١٩٨٦.

43- During Jean, "Islam" Edit, Rofert laffont Paris 1975.

44- Yezid Sayigh :Israel,s military performance in june 1982" Journal of Palestine studies, no, 49. 1983.

45- Richard Simpkin: "Tank warfare" Brassey, london, 1979.

٤٦- آفا حسون؛ وأحمد سامح الخالدي وقاسم مصفر.. القوة العسكرية الإسرائيلية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفهرس

المقدمة	٣
الفصل الأول: العنف والعدوان – الحرب والحرب العاطفية – التعصب والتمييز العنصري	١٢
١– العنف	١٢
٢– العدوان	١٣
٣– الحرب	١٥
٤– قانون الحرب	١٧
٥– الحرب العاطفية	٢٤
٦– التعصب والتمييز العنصري المطبق في دولة العدو الصهيوني	٢٦
الفصل الثاني: تاريخ التربية العسكرية	٣٠
١– التربية العسكرية في العصور القديمة	٣٠
أ– التربية العسكرية عند الفرس	٣١
ب– التربية العسكرية عند قدماء المصريين	٣٢
جـ– التربية العسكرية في اسبارطه	٣٣
د– التربية العسكرية في اثينا	٣٤
هـ– التربية العسكرية لدى الرومان	٣٦
و– نظام الفروسية في العصور الوسطى	٣٨
ز– التربية العسكرية الإسلامية من خلال شخص الرسول العربي	٤١

٢- التربية العسكرية في العصور الحديثة	٤٧
أ- المرحلة الأولى	٤٨
ب- المرحلة الثانية	٥٢
جـ- المرحلة الثالثة	٥٤
الفصل الثالث: التكيف مع الحياة العسكرية (طرائق ومشكلات)	٥٧
١- التكيف مع الحياة العسكرية الجديدة	٥٨
٢- التكيف مع المخاوف التي تنتاب العسكري	٥٩
٣- الانتماء	٦١
٤- المشكلات النفسية للشخصية العسكرية	٦٣
٥- عصاب الحرب	٦٧
٦- مظاهر الصحة النفسية	٦٩
الفصل الرابع: تصنيف المهارات والقدرات في القوات المسلحة	٧١
١- اختلاف القدرات والقابليات العقلية عند العسكريين	٧٣
٢- القدرات العقلية، معناها وطرق قياسها	٧٦
٣- القدرة العملية اللازمة للتدريب الفني بصورة عامة والقوات المسلحة بشكل خاص	٧٩
٤- القدرة الميكانيكية	٧٩
٥- القدرة الكتابية	٨١
٦- طرق قياس القدرات المختلفة	٨٢

الفصل الخامس: الانضباط العسكري	٨٥
١- الانضباط والمعنوية القتالية	٨٧
٢- الفرد وخصائصه النفسية	٨٨
٣- الروح الانضباطية	٩٠
٤- عمل القادة ودورهم في تعزيز الانضباط العسكري	٩٢
الفصل السادس: الأعمال القتالية في القوات المسلحة	٩٧
١- الإنسان عامل حسم في الحرب الحديثة	٩٨
٢- العامل المعنوي	٩٩
٣- الصفات القتالية العالية	١٠١
٤- أشكال وأساليب عمل القادة لتكوين الصفات المعنوية القتالية لدى المقاتلين	١٠٣
٥- انتقاء الكفاءات وحسن توجيه الجنود	١٠٥
الفصل السابع: الخوف في ميدان المعركة وطرق السيطرة عليه	١٠٧
١- الخوف وظهوره في مرحلة انتظار المعركة	١١٠
٢- الأسباب التي تؤدي إلى الخوف	١١١
٣- ظاهرة الحشد	١١٣
٤- الفزع والعوامل الباعثة له	١١٥
٥- العوامل المسببة للذعر	١١٧
٦- طرق السيطرة على الخوف	١١٩

٧- دور العقيدة في مواجهة الخوف	١٢٣
الفصل الثامن: عقيدة القتال	١٢٥
١- أنواع العقائد	١٢٦
- تعريف العقيدة- عقيدة المرتزقة المأجورين- عقيدة المحرمين على القتال- عقيدة المؤمنين- عقيدة الشعب الحديثة (العقيدة الروسية- الإنكليزية الأمريكية)-	١٢٨
العقيدة الصهيونية	١٣١
٢- العامل البشري في الحروب الحديثة	١٣٣
٣- تأثر العامل البشري بالعقيدة	١٣٤
٤- أثر العقيدة في الحرب أثناء السلم والحرب	١٣٥
٥- الأثر المعنوي للعقيدة في روح القتال خلال الحرب	١٣٨
٦- مدارس العقيدة المحتملة (المأجورة- المدرسة الناجمة للإنسان بعقيدة ذات مذهب محدد- المدرسة العقيدية)	١٤٢
٧- موقف الدول المختلفة من هذه المدارس الثلاث	١٤٨
الفصل التاسع: القيادة ونظرياتها	١٥١
١- تعريف القيادة	١٥٢
٢- القيادة والرئاسة	١٥٣
٣- نظريات القيادة	١٥٥
- نظرية السمات - النظرية الوظيفية - النظرية الموقفية - النظرية التفاعلية	١٥٥
٤- السلوك القيادي	١٦١

٥- القائد والاتباع	١٦٤
٦- القيادة العسكرية	١٦٥
٧- اختيار القادة	١٧٠
الفصل العاشر: الدعاية والدعاية المضادة	١٧٦
١- تعريف الدعاية	١٧٧
٢- أنواع الدعاية	١٧٩
٣- تحليل الدعاية المضادة	١٨١
٤- قواعد وقوانين الدعاية	١٨٧
- قانون التبسيط - قانون التضخم والتحوير - قانون التوزيع والتكرار - قانون التحويل - قانون الإجماع والعدوى	١٨٧
الفصل الحادي عشر: الحرب النفسية وعلم النفس	١٩١
- مفهوم وتاريخ الحرب النفسية	١٩٢
١- وسائط الحرب النفسية	١٩٨
٢- مبادئ أساسية في الحرب النفسية	١٩٩
٣- تقدير فعالية الحرب النفسية وتحكمها في ظروف حرارت العدو	٢٠٣
٤- علاقة الحرب النفسية بعلم النفس	٢٠٥
٥- علم النفس العسكري والحرب النفسية	٢٠٧
الفصل الثاني عشر: الحرب النفسية الدفاعية وغسل الدماغ	٢١٤
١- أهداف الحرب النفسية	٢١٤

٢- كيفية مقاومة الحرب النفسية	٢١٦
٣- الشائعات في الحرب النفسية	٢١٨
٤- أهداف الشائعات	٢١٩
٥- أنواع الشائعات وأسسها	٢٢٠
٦- مقاومة الشائعات	٢٢١
٧- الحرب النفسية الدعائية	٢٢٢
٨- غسل الدماغ	٢٢٤
الفصل الثالث عشر: إرادة القتال والمعركة	٢٢٧
١- إرادة القتال والشخصية	٢٢٨
٢- من تحقق إرادة القتال	٢٣٠
- المؤثرات الداخلية	٢٣١
- المؤثرات الخارجية	٢٣٥
المصادر والمراجع	٢٤٠
الفهرس	٢٤٥

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

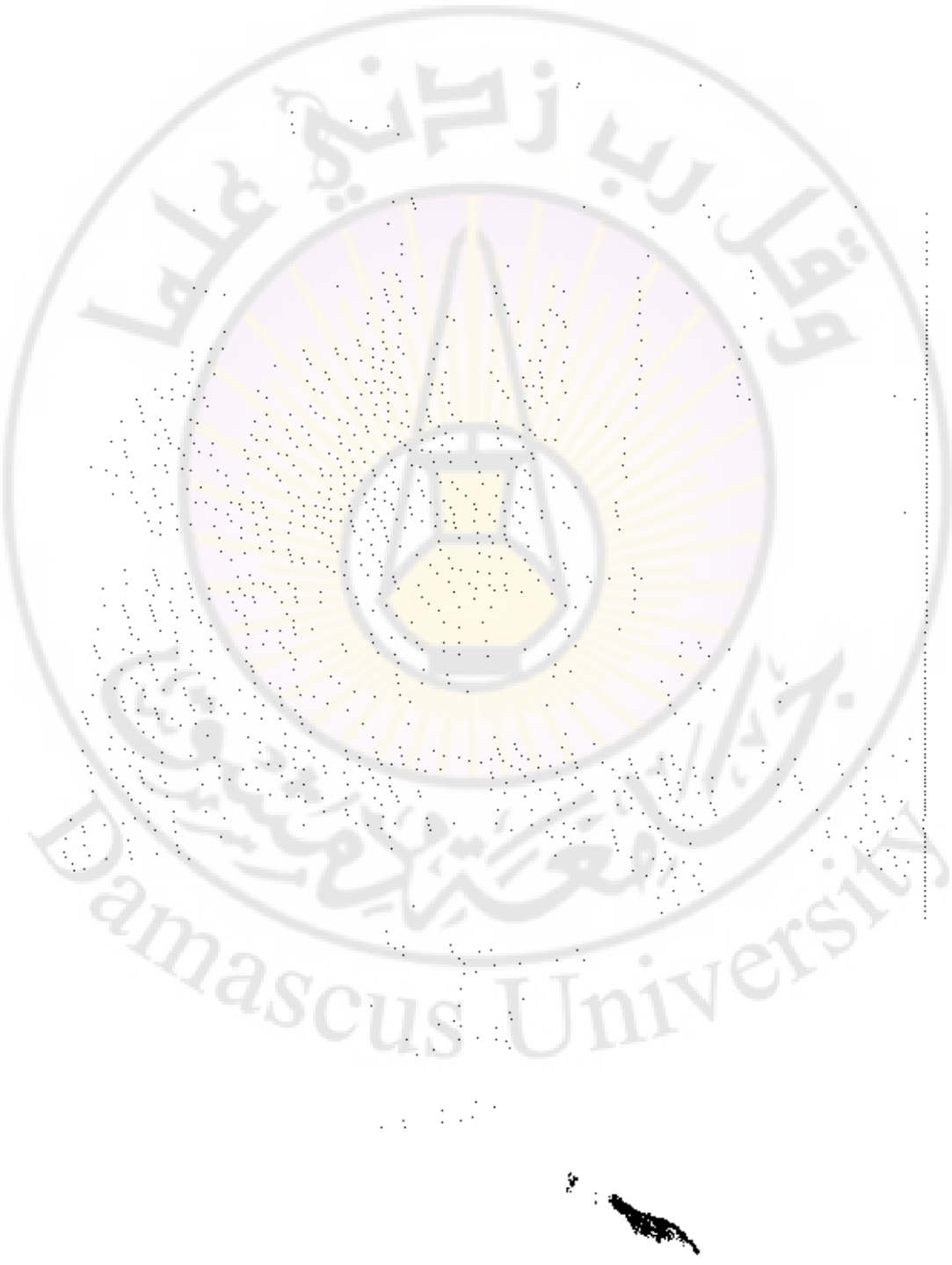
وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University